

الحجاء ليل الشجيرة
في سيرة ابن القيم



المجالس الشجيرة

في سيرة أم البنين التقية

شبكة كتب الشيعة



مهدي تاج الدين

shiabooks.net

رابط بديل < mktba.net



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ،
محمد وآله الطاهرين ، واللّعة الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم
الدين .

وبعد : فإن الكتابة عن حياة أهل البيت عليهم السلام ومن يرتبط بهم ، ودراسة
شخصياتهم ، وبيان فضائلهم من أعظم مصاديق إحياء شعائر الله
تعالى ، ومن أبرز مصاديق قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ
تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ ^(١) فهم مثال نور الله قد ضمتهم ﴿ يُبَيِّتِ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ
وَيُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ ﴾ ^(٢) فيجب الإشادة بفضل ذواتهم ومقاماتهم .

وفي طليعة هذه الذوات ، والتي ارتبطت بأهل البيت عليهم السلام هي السيدة
الفاضلة أم البنين عليها السلام ، فاطمة بنت حزام أم الشهداء الأربعة ، والتي خلد
التاريخ ذكرها إذ تقصد في المهمات لكونها باب من ابواب الحوائج إلى
الله تعالى .

(١) سورة الحج : ٣٢ .

(٢) سورة نور : ٣٦ .

وقد ذابت هذه المخدرة المكرمة في ولائها لأهل البيت عليه السلام وتمسكت بهداهم، واقتدت بآثارهم حتى صارت من أولياء الله المقربين عنده وعندهم، فارتفعت إلى أعلى عليين من خلال سبيل الكمال الذي رسمه الله لها ولجميع خلقه، فكانت أم البنين عليها السلام من السابقين في هذا الميدان حتى صارت ذا جاه عريض عند أهل البيت عليهم السلام وعند بارئهم.

وبالرغم من أنها كانت ولا زالت من أبواب الله، وأنها كانت ولا زالت من أبرز أعلام نساء التاريخ، إلا أن التاريخ لم يعطها حقها - كما هو شأنه مع الأبرار - فإنك لا تكاد تعثر في المصادر عن شيء فيه تفصيل عن حياة هذه الكريمة. عن تاريخ... طفولتها... شبابها... كم هو عمرها يوم دخلت بيت أمير المؤمنين عليه السلام... تفاصيل حياتها مع زوجها ومع أبناء رسول الله صلى الله عليه وآله.

فإنها لا شك كانت زوجة مثالية رغم أنها لم تكن معصومة كالسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، ولا ريب أنها كانت من أبرز مصاديق «عمال الله في الأرض» وفق روايات أهل البيت عليهم السلام وأدبياتهم الخاصة بالحياة الزوجية... فكيف عاشت مع أمير المؤمنين عليه السلام! وهكذا تفاصيل حياتها مع أبنائها - كأم - ربّت أفضل نموذج يمكن أن يقدمه القرآن والعرة الطاهرة من الذرية الصالحة....

وكيف عاشت بعد أمير المؤمنين عليه السلام وبعد واقعة الطف؟!

تغافل المؤرخون والزّواة عن متابعة تفاصيل حياة امرأة تعدّ لوحدها «أمة» و«مدرسة» متكاملة للأجيال، وخاضوا في جزئيات حياة حفنة من السفلة والأوغاد... ولعلّ من جملة الأسباب الكامنة وراء ذلك.

أنّها كانت زوجة أمير المؤمنين عليه السلام، وما حمل التّاريخ من الضغائن ضدّ هذا البيت المبارك ومحو آثارهم، والإنقلاب الذي حصل عليهم بعد شهادة رسول الله صلى الله عليه وآله، وقتلهم بضعة الصديقة فاطمة عليها السلام بعد كسر ضلعها، واسقاط جنينها، وحرّق دارها، حتى لحقت بأبيها صلى الله عليه وآله، وغضبهم لخلافة أمير المؤمنين علي عليه السلام بلا فصل بعد النبي صلى الله عليه وآله.

فإنّ أمّ البنين عليها السلام عاشت في ظلّ هكذا بيت ظلّم من قبل بعض الصحابة، ومن ثمّ عاشت في بيت ضمّ الحسن والحسين وزينب عليها السلام، الذي قال عنهم النبي صلى الله عليه وآله: «ستنزل عليكم المصائب كقطع الليل المظلم فعليكم بالصبر» وكما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «وكأنّي بكم وقد خرجت عليكم الفتن من ههنا وههنا فعليكم بالصبر فهو محمود العاقبة»^(١).

فلهذه الأسباب قد تغافل المؤرخون عن هذه السيّدة الجليلة، وغيرها من اتباع أهل البيت عليهم السلام فقد كانت أمّ البنين عليها السلام، من المخدّرات المستورات فهي الفتاة المهذّبة في بيت أبيها، وهي الزّوجة المطيعة في بيت بعلمها، هي الخادمة العطوفة لأبناء فاطمة عليها السلام، هي الأمّ المربيّة النّاجحة لأولادها، هي الحنان والإخلاص والإيثار والأخلاق كلّها،

هي الحياء والعفاف والحجاب والوفاء والثبات والمعاني التربوية جميعها. وأرجوا من الله تعالى أن يتقبل هذا الجهد بأحسن القبول وأن يوفقني لخدمة أهل البيت عليهم السلام ولنشر معالمهم وآثارهم ببركة هذه السيِّدة الجليلة، وأن تنظر إلي نظرة حبّ وولاء.

وقد كتبتُ هذه المحاضرات وقدمتها للطبع قربة إلى الله تعالى لتكون ذخيرة لآخرتي إن شاء الله تعالى، واستجابةً لطلب بعض المؤمنين عسى أن يتفضل الله عليّ بالقبول بفضله وكرمه إنّه واسع كريم.

هذا.. وقد جرت العادة أن يُهدي المؤلف كتابه إلى أحد شخصيات العصر وعظماء الزمن، وإني لا أعلم أحداً أفضل وأعظم من سيدنا ومولانا صاحب العصر والزمان الإمام الثاني عشر المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف وإلى أمّه فاطمة الزهراء سلام الله عليها، فإليك يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وبضعته الطاهرة، وإليك يا بقیة الله في أرضه وحجّته على خلقه. يا خاتم الأوصياء، أيها المنتقم لدم جدّك سيّد الشهداء، ويا فاطمة الزهراء عليها السلام، إليكما أهدي هذه الصفحات المتعلقة بأم البنين عليها السلام فاطمة بنت حزام، باب الحوائج إلى الله فتقبلوا مني هذه البضاعة المزجاة وتصدّقوا علينا إن الله يجزي المتصدّقين.

مهدي تاج الدين

١١ / ذي القعدة / ١٤٣١ هجري

قم المقدسة

زيارة السيدة أم البنين عليها السلام

هذه الزيارة مأخوذة من زيارة أبي الفضل العباس عليه السلام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ،
السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، السَّلَامُ عَلَى
الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ سَيِّدَيِ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا زَوْجَةَ
وَصِيِّ رَسُولِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا عَزِيزَةَ الزَّهْرَاءِ عَلَيْهَا السَّلَامُ،
السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أُمَّ الْبُدُورِ السَّوَاطِعِ فَاطِمَةَ بِنْتَ حَزَامِ الْكَلَابِيَّةِ الْمُكَنَّاةِ
بِـ(أُمِّ الْبَتِينِ) وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

أَشْهَدُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَنَّكَ جَاهَدْتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِذْ ضَحَّيْتَ بِأَوْلَادِكَ
دُونَ الْحُسَيْنِ ابْنِ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ، وَعَبَدْتَ اللَّهَ مُخْلِصَةً لَهُ الدِّينَ
بِوَلَائِكَ لِلْأَئِمَّةِ الْمَعْصُومِينَ، وَصَبَرْتَ عَلَى تِلْكَ الرِّزْيَةِ الْعَظِيمَةِ،
وَاحْتَسَبْتَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَزَرْتَ الْإِمَامَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي

طَالِبٌ ﷺ فِي الْمَحَنِ وَالشَّدَائِدِ وَالْمَصَائِبِ، وَكُنْتُ فِي قِمَّةِ الطَّاعَةِ وَالْوَفَاءِ، وَأَنْتَ أَحْسَنْتِ الْكِفَالََةَ، وَأَدَّيْتَ الْأَمَانَةَ الْكُبْرَى فِي حِفْظِ وَدِيعَتِي الزَّهْرَاءِ الْبُتُولِ ﷺ، السِّبْطَيْنِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ ﷺ، وَبَالَغْتَ وَآثَرْتَ وَرَعَيْتِ حُجَجَ اللَّهِ الْمَيَامِينَ وَسَعَيْتِ فِي خِدْمَةِ أَبْنَاءِ رَسُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، عَارِفَةً بِحَقِّهِمْ، مُؤَقِّنَةً بِصِدْقِهِمْ، مُشْفِقَةً عَلَيْهِمْ، مُؤَثِّرَةً هَوَاهُمْ وَحُبُّهُمْ عَلَى أَوْلَادِكَ السُّعْدَاءِ.

فَسَلَامُ اللَّهِ عَلَيْكَ كُلَّمَا دَجَنَ اللَّيْلُ وَأَضَاءَ النَّهَارُ، فَصِرْتَ قُدْوَةً لِلْمُؤْمِنَاتِ الصَّالِحَاتِ لِأَنَّكَ كَرِيمَةُ الْخَلَائِقِ تَقِيَّةُ زَكِيَّةٌ، فَرَضِي اللَّهُ عَنْكَ وَأَرْضَاكَ، وَجَعَلَ الْجَنَّةَ مَنْزِلَكَ وَمَأْوَاكَ، وَلَقَدْ أَعْطَاكَ اللَّهُ مِنَ الْكَرَامَاتِ الْبَاهِرَاتِ حَتَّى أَصْبَحْتَ بِطَاعَتِكَ لِسَيِّدِ الْأَوْصِيَاءِ وَبِحُبِّكَ لِسَيِّدَةِ النِّسَاءِ الزَّهْرَاءِ ﷺ، وَفِدَائِكَ بِأَوْلَادِكَ الْأَرْبَعَةِ لِسَيِّدِ الشُّهَدَاءِ ﷺ، بَابًا لِلْحَوَائِجِ، فَإِنَّ لَكَ عِنْدَ اللَّهِ شَأْنًا وَجَاهًا مَحْمُودًا.

وَالسَّلَامُ عَلَى أَوْلَادِكَ الشُّهَدَاءِ الْعَبَّاسِ ﷺ قَمَرِ بَنِي هَاشِمٍ بَابِ الْحَوَائِجِ، وَعَبْدِ اللَّهِ، وَعُثْمَانَ وَجَعْفَرَ ﷺ الَّذِينَ اسْتُشْهِدُوا فِي نُصْرَةِ الْحُسَيْنِ ﷺ بِكَرْبَلَاءَ، فَجَزَاكَ اللَّهُ وَأَجْزَاهُمْ أَفْضَلَ الْجَزَاءِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ عِدَّةَ الْخَلَائِقِ الَّتِي حَصَرُهَا لَا يُحْتَسَبُ أَوْ يُعَدُّ، وَتَقَبَّلْ مِنَّا يَا كَرِيمَ.

«وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ»

تقريظ

كتاب (مجالس عن حياة أم البنين عليها السلام) للعلامة الخطيب الشيخ مهدي تاج الدين أيّده الله، والنظم لشاعر أهل البيت الشيخ سلطان علي الصّابري الحائري غفر الله لهما.

لِتَاجِ الدِّينِ فِي طَوْلِ السِّنِينَ	صُرَاحٌ فِي (الْمَجَالِسِ) وَالْأَنِينِ
فَتُغْفَدُ عَنْ أَسَى فَقْدٍ وَوَجْدٍ	لِمَنْ تُدْعَى سِمَاءُ أُمِّ الْبَنِينِ
وَتِلْكَ لَمْ تَكُنْ إِلَّا كَ سِفْرِ	تَمِينٍ ذَا قَانُكِرِمٍ بِالثَّمِينِ
تَرَشَّعَ مِنْ أَنْامِلِ خَيْرِ شَهْمٍ	لِذِكْرَى فَاطِمٍ أُمِّ حَنِينِ
فَارُخَ سِفْرِ تَاجِ الدِّينِ (وَابِكِ	غُمُومًا مَجْلَسِ أُمِّ السِّنِينِ

٢٨ + ١٠٨٧ + ١٣٣ + ١٨٤

١٤٣١ الهجري^(١)

(١) لشاعر أهل البيت الشيخ سلطان الحائري الصابري (حفظه الله).



المجلس الأول

حول نسب أم البنين عليها السلام وولادتها

في مولد أم البنين عليها السلام

فاطمة أم البنين الأربعة	خير بنات عامر ابن صعصعة
زوج أمير المؤمنين المرتضى	ومن به نالت من الله الرضى
والدة العباس خير من وفى	للمرتضى وولده والمصطفى
حازت من الفضائل الكثيرة	ما قصرت عنه ذوو البصيرة
تفرعت من أغصن الكرامة	والتحقت بمنبع الإمامة
آباؤها أشرف سادات العرب	وزوجها من خرق السبع الحجب
سيدة من سادة النساء	حبّية للبضعة الزهراء
وقد رآها قبل يوم المولد	والدها في النوم درأ في اليد
وجاءه البشير في المنام	يخبر عن كريمة الكرام
يوصي بهذي الدرة الثمينة	توضع في كف يد أمينة
واستقبل الأحباب تلك الدرة	بالبشر والأفراح والمسرة

ترعرعت في أحضن الأشراف
قد غرقت من العلوم السالفة
حتى إذا ما بلغت في العمر
واشتهرت بالعلم والعفاف
اختارها سيد خلق الباري
قرينةً له بهذا الكون
فبارك الله لك من زوجة
خدمت أولاد الرسول المصطفى
علمت أولادك حب الزهراء
هناك الله بهذي الرتبة
وقد أقمنا لك هذا المحفلا
شفاعةً من فاطم الزهراء
فيا حبيبة البتول الزهراء
فأنني في حاجةٍ إليها
يا ربنا صلّ على البتول
وبعلها والحسنين النجبا

بالعلم والأدب والأعراف
فأصبحت من العلوم عارفة
مبالغ النسا بذاك العصر
سلالة الأكارم الأشراف
بعد النبي المصطفى المختار
فمن يكون مثلها في الصون
أدخلت في قلب الرسول البهجة
وكنيت للوصي خير من وفي
فكان في غدٍ إليهم ذخراً
وما حباك الله من محبة
في ليلة الميلاد حتى نحصلا
تنفع في السراء والضراء
ألا اذ كرّني عند هذي الحورا
يوم اللقى فالملتجا إليها
والمصطفى والدها الرسول
والتسعة الغرّ الكرام نسبا^(١)



(١) لشاعر أهل البيت عليه السلام إبراهيم عبد الله الدبوس .

قصيدة أخرى

أم البنين عليها الله قد سدا
 تجلبث فاطم جلاب خالقها
 عاشت مكرمة في بيت حيدرة
 أضحت تربى بني الزهراء تخدّمهم
 واستأثرت اسمها أكرم بما نطقت
 اسمي يهيج عليهم حزن أمهم
 فلا أحب بأن تبكي لهم مقل
 أم البنين أنا والكل يعرفني
 أم البنين أنا والله أيدني
 علمتهم حب أهل البيت في صغر
 قد قدموا النفس في مرضاة خالقهم
 واسترخصوا الروح في إنقاذ سيدهم
 يا ليتني قد طواني الموت قبلهم
 إلى المدينة ينعي وهو منتحبا
 جلاب فضل به جبريل قد نزا
 لما استقرت بيت آله فضلا
 كما يعيش الذي للخلد قد وصلا
 كالأم صارت لهم أنعم بها مثلا
 (أم البنين أنا لا أرتضي بدلا)
 إن قيل فاطم قال الدمع حي على
 ولا أحب لهذا الحزن أن يصلا
 في كُنيتي نبأ بالغيب مُتصلا
 بأنجم نورها تالله ما أفلا
 فاستعصموا بالو لا والقصد قد حصلا
 فالبذل شيمتهم ، أعظم بما بدلا
 أعني الحسين ولكن بالظما قتلا
 ولا سمعت بناعي الطف قد دخلا
 يا أهل يثرب عنكم عزكم رحلا^(١)



قال الله الحكيم في محكم كتاب الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ^(١).

(صدق الله العلي العظيم)

من هي أم البنين عليها السلام

للإجابة عن هذا السؤال نقول هي: فاطمة بنت حزام بنت خالد بن ربيعة بن عامر بن كلاب بن عامر بن صعصعة^(٢) الكلابية العامرية زوجة وصي رسول الله صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأم العباس واخوته عليهم السلام شهداء كربلاء.

أمها: ثمامة^(٣) وقيل ليلي^(٤) بنت السهيل بن عامر بن مالك بن أبي براء عامر بن ملاعب الأسنة ولقب أبو براء وهو جد أم البنين عليها السلام بملاعب الأسنة لشجاعته في الحروب حتى قال لبيد بن ربيعة فيه وفي أجداد أم البنين ملك الحيرة:

(١) سورة الحجرات: ١٣.

(٢) تنقيح المقال للهامقاني: ٣ / ٧٠ باب الكنى، عمدة الطالب: ٢٥٦، أعلام النساء المؤمنات لمحمد حسن.

(٣) مقاتل الطالبين: ٨٢، إصار العين: ٢٥، أدب الطف: ١ / ٧٢.

(٤) عمدة الطالب: ٣٥٦، أعلام النساء للأعلمي.

نحن بني أم البنين الأربعة الضاربون الهام وسط المجمة
 والمطعمون الجفنة المدعدة ونحن خير عامر بن صعصعة
 وليد بن ربيعة هو عم أم البنين عليها السلام وأخو حزام وقد أرسله أبو براء
 لاعب الأسنة إلى النبي صلى الله عليه وآله مع هدية لشفائه حيث صار به مرض
 الاستسقاء^(١) فلم يقبلها النبي صلى الله عليه وآله لأنه لم يقبل هدية مشرك، ثم أخذ
 النبي صلى الله عليه وآله جثوة (التراب المجتمع) من الأرض فتفل عليها، وقال للبيد
 دفها بماء (اخلطها) ثم اسقها إياه، فاخذها متعجباً يرى انه قد استهزء به
 فشربها أبو براء فأطلق وشوفي من مرضه^(٢).
 وأما لبيد بن ربيعة وهو الشاعر المعروف عمّ أم البنين عليها السلام فقد مدحه
 النبي صلى الله عليه وآله لبيت شعرٍ قالها في حق الله تعالى قال صلى الله عليه وآله: «اصدق كلمة
 قالتها العرب كلمة لبيد» وهي:
 ألا كُلُّ شيءٍ ما سوى الله باطلٌ وكلُّ نعيمٍ لا محالة زائلٌ^(٣)
 وكان يعد من فحول الشعراء منذ أسلم وقال: ما كنت لأقول شعراً
 وقد علمني الله تعالى سورة البقرة وآل عمران.

(١) وهو الذي يشرب الماء كثيراً ولا يرتوي.

(٢) أم البنين رمز التضحية والفداء: ٢١، أدب الطف: ١ / ٧٢.

(٣) مصباح الشريعة: ٦٠.

بشائر ولادتها ﷺ

يروى أن حزام بن خالد بن ربيعة كان في سفر له مع جماعة من بني كلاب، وبينما هو نائم في ليلة من الليالي، فرأى نفسه كأنه جالس في أرض خصبة، وقد انعزل في ناحية عن جماعته وبيده دُرَّة يقْلَبُها وهو متعجب من حسنها ورونقها.

وإذا به يرى رجلاً فارساً قد أقبل إليه من صدر البرية، على فرس له فلما وصل إليه سلَّم عليه فرد حزام السلام عليه ثم قال له الفارس بكم تبيع هذه الدُرَّة؟ وقد رآها في يده فقال له حزام: إني لم أعرف قيمتها حتى أقول لك ولكن بكم تشتريها؟

فقال له الفارس: وأنا كذلك لا أعرف ولكن اقترح عليك ان تهديها إلى من هو جدير بأن يُهدى إليه وحقيق بأن يُتحف بها، وأنا اضمن لك بشيء هو أغلى من الدراهم والدنانير، فقال له حزام: وما هو ذلك الشيء الأغلى من الدراهم والدنانير؟

قال أضمن لك الخطوة عنده والزلفى لديه والشرف والسؤدد أبد الآبدين، فقال حزام: أضمن لي بذلك؟

قال الفارس وبكل صلابة: نعم أضمن لك ذلك.

فقال حزام: وتكون أنت الواسطة والكفيل أيضاً في ذلك!!

قال الفارس: وأكون أنا الواسطة أعطني إياها فأعطاه حزام إياها وفوضه في أمرها. فلما انتبه حزام من نومه قص رؤياه على جماعته ومن كان معه من قومه، وطلب تأويلها.

فقال له أحدهم: إن صدقت رؤياك فإنك ترزق بنتاً ويخطبها منك أحد العظماء وتنال عنده بسببها القربى والشرف والسؤدد.

فلما رجع حزام من سفره، وكانت زوجته ثمامة بنت سهيل حاملاً بفاطمة أم البنين عليها السلام وصادق عند قدوم زوجها من سفره كانت قد وضعت بها فبشروه بذلك فتهلل وجهه فرحاً بذلك.

وقال في نفسه قد صدقت الرؤيا، فقليل له ما نسيمها؟ فقال لهم سموها: (فاطمة) وكنوها: (أم البنين).

ثم نشأت الوليدة نشأة صالحة في أحضان أمها ثمامة، وعلى يدي أبيها حزام، وتأدبت في بيت الوالدين بآداب العرب، وأخلاق الصالحين الأبرار، وشيم النبلاء الأحرار، حتى بلغت مبلغاً لائقاً تأهلت به للزواج، وتمكنت من إدارة الشؤون البيئية والعائلية، وذلك بعد أن إرتفعت إلى مستوى عال من الأدب والكمال، بحيث إستطاعت عبره لأن تكون زوجة لأشرف خلق الله تعالى بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأماً لذرية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ^(١).

(١) أم البنين سيرتها وكراماتها: ٤٥، الخصائص العباسية للكلباسي: ٢٦.

تاريخ ولادتها ﷺ

مما يؤسف له أن التاريخ قد تنكر لهذه المرأة العظيمة، ففي الوقت الذي يحصي لنا صغائر الأمور وتوافهها من مجالس اللهو والطرب في دولة بني أمية وبني العباس، حتى لون قلادة ذلك القرد، وشسع نعل تلك المومسة، ومواء قطّ في ذلك البلاط، وغير ذلك مما لا يُذكر حياءً أو ليس أهلاً أن يذكر.

نجد حياة هذه المرأة الجليلة مطموسة مغمورة، فأين أيام هذه المرأة المعجزة التي تكلفت بالقيم والمثل العليا، أين مواقفها الكريمة؟ أين مواعظها؟ أين علمها؟ أين بطولاتها؟ أين جهادها؟ أين صبرها؟ أين أيامها التي قضتها في بيت الإمامة؟ أين إحيائها الليل بالعبادة والمناجاة؟ وأين... وأين؟.

يصل الأمر إلى أن لا نجد في صفحات التاريخ ما يثبت حتى يوم ولادتها. إنه لأمر مؤلم حقاً، ولكن لئن طمس الظالمون ذكرها عقاباً وتحاملاً عليها لولائها لأهل بيت العصمة ﷺ، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، فقد قىض الله لها من يذوب في حبها، وولائها والذود عنها، والبحث عن مناقبها وفضائلها تحت كل حجر ومدر.

ومهما يكن من أمر فإنه يمكننا أن نعرف زمان ولادة أم البنين ﷺ

بلحاظ زمان ولادة ولدها الأكبر قمر العشيرة أبي الفضل العباس بن علي عليه السلام، فقد كانت ولادته على ما أثبتتها المؤرخون في السنة السادسة والعشرين من الهجرة النبوية.

وكان عمره الشريف يوم شهادته في كربلا (٣٤) سنة كما عن أعلام الورى للطبرسي وهو المشهور، وإن ذكر بعضهم أن عمره يوم عاشوراء كان (٣٨)^(١) سنة مع العلم أن تاريخ واقعة الطف سنة (٦١ هـ).

كذلك بالاعتماد على ما يظهر من كلام عقيل بن أبي طالب لأخيه أمير المؤمنين عليه السلام: «أين أنت من فاطمة بنت حزام»، وكذلك عقيب قول الإمام لأخيه عقيل «ابغني امرأة ولدتها الفحول من العرب» حيث يظهر أنها كانت في سن النضج الجنسي وبلوغ الرشد الذي يجعلها صالحة لأن تكون زوجة لأمير المؤمنين عليه السلام أو غيره، فلو كانت دون الخامسة عشرة من عمرها مثلاً فإنه يبعد أن يذكرها (عقيل) وهو العالم في الأنساب والأعراف من غيره بمن هي أصلح لتكون زوجة لأخيه عليه السلام من حيث العمر والكفاءة كما لا يمكن أن يكون زواجها من أمير المؤمنين عليه السلام بعد السنة السادسة والعشرين من الهجرة النبوية على كل الاحتمالات لأن ولادة ولدها العباس عليه السلام كانت سنة (٢٦ هـ) على القول المشهور وسنة

(١) السيدة أم البنين سيرتها وكراماتها (للشيخ أشرف الزهيري الجعفري): ٤٧ عن نساء حول أهل البيت : ١١٦.

(٢٣هـ) بناء على القول الثاني وهو أن عمره عليه السلام يوم شهادته (٣٨) سنة . كما أن نضوج الفتاة الجنسي وبلوغها سن الرشد يختلف من زمان إلى آخر وطبيعة المجتمع والبيئة التي تعيش فيها الفتاة لهما الأثر في نضوجها الجنسي وبلوغها سن الرشد ، وبحسب الدراسة لطبيعة مجتمع وأسرة وبيئة السيدة أم البنين عليها السلام وموقعها الاجتماعي الذي يجعل من المستبعد أن تظل إلى سن الثالثة أو الرابعة والعشرين بلا زواج من حيث هي ، وإلى سن الخامسة والعشرين بلا زواج من حيث عمر ولدها العباس يوم شهادته (٣٤) سنة .

نُرجح على نحو التقريب أن يكون عمرها يوم زواجها بعلي عليه السلام كان بين (١٧ - ٢١) سنة وحسب العادة أن يكون الولد البكر بعد الزواج بحدود السنة الواحدة ما لم تكن هناك عوارض فيكون عمرها يوم ولادة ولدها العباس عليه السلام بين (١٨ - ٢٢) سنة وبلحاظ ما ذكرنا من زمان ولادة العباس عليه السلام سنة (٢٦هـ) وأن عمره (٣٤) سنة يوم شهادته سنة (٦١هـ) نستنتج أن ولادتها عليها السلام تقع بين (٥ - ٩هـ) تقريباً نعم هناك من يقول: بأن عمر السيدة أم البنين يوم كربلاء أي في زمان واقعة الطف كان قرابة خمس وخمسين سنة^(١) على أكثر التقارير وبهذا القول يكون زمان ولادتها في السنة السادسة من الهجرة الشريفة .

(١) أم البنين سيرتها وكرامتها: ٤٨ للشيخ أشرف الزهيري عن نساء حول أهل البيت عليهم السلام: ١١٦.

كما ذكر السيّد محمد الأشيقر في كتابه (العباس رجل العقيدة والجهاد) قائلاً:

لقد ولدت فاطمة أم البنين عام (٥٥ هـ) في أصح الأقوال أي أنها تصغر بسنة واحدة عن عمر الإمام الحسين عليه السلام لكنه لم يشر إلى مصدر قوله هذا، وهل له مستند أم لا، وإن كان يظهر العدم خصوصاً مع تعبيره بكلمة (في حدود). والأمر سهل.

منزلتها وشأنها عليها السلام

تربت السيّدة أم البنين في أسرة عريقة شريفة من أجلّ الأسر منزلة وأعلاها شرفاً وأجمعها للمآثر الكريمة والخصال الحميدة التي تفتخر بها سادات العرب، كالجود والكرم والشجاعة والفصاحة والحمية والإباء، ومكارم الأخلاق ومحامد الخصال من العفة والطهارة والنبيل والكرم وأمثالها، ونشأت على الإيمان والزهد والتقوى، فكانت تقية متورعة، عفيفة النفس، لينة الجانب فبوركت لها تلك النشأة وهنيئاً لها تلك التربية.

يقول الشهيد الأول الفقيه الورع محمد بن مكي العاملي صاحب (اللمعة الدمشقية):

«كانت أم البنين من النساء الفاضلات، العارفات بحق أهل البيت عليهم السلام

مخلصة في ولائهم، ممحضة في مودتهم، ولها عندهم الجاه الوجيه،
والمحل الرفيع».

وقال سيد محسن الأمين في أعيان الشيعة أنها «شاعرة فصيحة
وهي من بيت عريق في العروبه والشجاعة»^(١).

ويقول النقدي في كتابه زينب الكبرى عند ذكره لأم البنين «كانت
من النساء الفاضلات العارفات بحق أهل البيت عليه السلام كما كانت فصيحته
بليغة، لسنة ورعة ذات تقى وزهد وعبادة، ولاكبارها وجلالته
زارتها زينب الكبرى بعد منصرفها من واقعة الطف»^(٢).

أولادها الأربعة عليهم السلام

اتفقت الكلمة في المراجع والمصادر على أن أولاد أمير المؤمنين عليه السلام
من السيدة الجليلة أم البنين أربعة كلهم ذكور، وقالوا كما في سر
السلسلة العلوية (: ٨٨) أنه عليه السلام لم يعقب من فهرية بعد فاطمة
(الزهاء عليها السلام) إلا منها، فقد رزقت السيدة أم البنين عليها السلام أربعة أولاد
ذكوراً استشهدوا جميعاً في معركة الطف الدامية ذوداً عن الدين بين
يدي أخيه سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام وهم:

(١) أعيان الشيعة : ٨ / ٣٨٩.

(٢) زينب الكبرى : ٨٨.

١ - العباس بن علي عليه السلام :

ويعرف بـ (العباس الأكبر) لأن لأمير المؤمنين عليه السلام ولداً آخر باسم العباس الأصغر وأمه الصهباء التغلبية كما في عمدة الطالب وقد استشهد يوم العاشر من المحرم وأما العباس الأكبر عليه السلام فهو أول مولود للسيدة أم البنين عليها السلام ، كانت ولادته يوم الجمعة الرابع من شعبان في السنة السادسة والعشرين للهجرة .

فكان عندها أعز من الحياة ، وكانت تخاف عليه ، وتخشى من أعين الحساد أن تصيبه وكانت بالله وتقول هذه الأبيات :

أعيذهُ بالواحدِ من عينِ كلِّ حاسِدٍ
قائمهم والقاعدِ مسلمهم والجاحدِ
صادرهم والواردِ مولدهم والوالدِ

سماه أبوه (عباساً) وهو من أسماء الأسد ويعني الأسد الضاري لما قد أحاط به علماً من غامض القضاء ولشجاعته وصولته في الحروب قال الشاعر :

عبست وجوه القومِ خوفَ الموتِ
والعباسُ فيهم ضاحك متبسمُ
قلبُ اليمينِ عن الشمالِ وغاصَ
في الأوساطِ يحصدُ للرؤوسِ ويحطِمُ

وكنيته المشهورة «أبوالفضل» وألقابه كثيرة منها قمر بني هاشم، وبطل العلقمي، وباب الحوائج، وساقى العطاشى.

ولقد عُرف بشدة تواضعه لأخيه الإمام الحسين (عليه السلام) فكان يمرّ غ خديه ورأسه بين يدي أخيه الإمام الحسين (عليه السلام) وكان إذا خاطبه لا يقول يا أخي بل يقول: «يا سيدي يا بن رسول الله».

ولقد سطر أبوالفضل العباس أروع الدروس في المواساة لأخيه الإمام الحسين (عليه السلام)، منها امتناعه عن شرب الماء وأخوه الحسين عطشان، رغم شدة عطشه، ووصوله إلى الماء، وتحسس برده بيده، حتى سقط صريعاً بجانب المشرعة.

فأكبّ منحنياً عليه ودمعُهُ	صَبَغَ البسيطَ كأنما هو عندمُ
قد رامَ يَلْتَمَهُ فلم يَرَ موضعاً	لم يُدِمِهِ عَضُّ السلاحِ فيلثمُ
نادى وقد ملأ البوادي صيحةً	صُمُّ الصخورِ لهولها تَنَالُمُ
أُخِيَّ يُهْنِكَ النعيم ولم أخلُ	ترضى بأن أرزى وأنت مُنْعَمُ
أُخِيَّ مَنْ يحمي بنات محمد	ان صرن يستنصرن من لا يرحمُ



٢ - عبدالله بن علي (عليه السلام):

ويكنى بأبي محمد وهو ثاني مولود للسيدة أم البنين (عليها السلام)، عاش مع أبيه أمير المؤمنين (عليه السلام) ست سنين وكان عمره يوم الطف كما ذكر المؤرخون

خمساً وعشرين سنة أي بينه وبين أخيه العباس قرابة تسع سنين ، ولعبد الله هذا موقف بطولي خالد يوم الطف فلقد تقدم للقتال وهو يقول :

أنا ابن ذي النجدة والإفضال ذاك عليُّ الخير في الأفعال
سيفُ رسولِ الله ذو الفصال في كلِّ يومٍ ظاهرِ الأهوالِ

فشدَّ عليه هاني بن ثبيت الحضرمي فضربه بالسيف على رأسه ، فسقط شهيداً ، وفي زيارة الناحية المنسوبة لإمامنا الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف بيان لهذا الموقف البطولي :

« السلام على عبد الله ابن أمير المؤمنين مبلي البلاء ، والمنادي بالولاء ، في عرصة كربلاء ، والمضروب مقبلاً ومدبراً » .

ويتضح من قول الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف (مبلي البلاء) تلك الشجاعة العظيمة والتضحية الكبيرة والبرسالة الحيدرية التي قدّمها ، كما يتضح من قول الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف « المضروب مقبلاً ومدبراً » إحاطة العساكر به وتعاونهم على قتله لما تعسّر أن يقاتلوه من جهة واحدة .

٣ - عثمان بن علي او عبد الرحمن بن علي عليه السلام :

وهو ثالث مولود للسيدة أم البنين عليها السلام ، ولد بعد أخيه عبد الله بسنتين ، وفي مقاتل الطالبين بأربع سنين وعمره يوم الطف ثلاث وعشرون سنة ، وفي مقاتل الطالبين واحد وعشرون سنة .

وقال ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح نهج البلاغة (٩ / ٢٤٣) أن اسمه عبد الرحمن وليس عثمان، وعلى فرض أن هذا اسمه فلما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام من انه قال [على فرض صحة الرواية]: «إنما سميته باسم أخي عثمان بن مظعون»^(١).

وله موقف بطولي خالد يوم الطف حيث تقدم إلى الميدان وهو يرتجز ويقول:

إني أنا عثمانُ ذو المفاخرِ شيخي عليُّ ذو الفعالِ الطاهرِ
أخي حسينُ خيرةُ الأخيارِ وسيدُ الكبارِ والأصاغرِ
بعد الرسول والوصي الناصر

فرماه خولي بن يزيد الأصبحي بسهم وقع في جبينه فأضعفه حتى سقط عن فرسه إلى الأرض، فجاءه رجل من بني أبان بن دارم فاحتز رأسه الشريف.

٤ - جعفر بن علي عليه السلام:

ويكنى بابي عبدالله، وهو المولود الرابع للسيدة أم البنين عليها السلام وآخر أولادها ولد بعد أخيه عبدالرحمن أو عثمان بنحو سنتين وكان يوم الطف ابن إحدى وعشرين سنة على الأكثر وفي مقاتل الطالبين ابن تسع عشرة سنة.

(١) مقاتل الطالبين: ٨٣ عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «إنما سميته عثمان باسم أخي عثمان بن مظعون».

وبطولته العظيمة يوم الطف تتجلى من خلال زيارة إمامنا الحجة عجل الله
 تعالى فرجه الشريف له :

«السلام على جعفر ابن أمير المؤمنين الصابر بنفسه محتسباً،
 والنائي عن الأوطان مغترباً، المستسلم للقتال، المستقدم للنزال،
 المكثور بالرجال».

ويوم تقدم إلى معسكر الأعداء أخذ يرتجز ويقول:
 إني أنا جعفرُ ذو المعالي ابنُ علي الخير ذي النزالِ
 حسبي بعمي شرفاً وخالي أحمي حُسيناً ذا الندى المِفضالِ
 فرماه خولي بن يزيد الاصبحي وقيل هاني بن ثبيت الحضرمي
 فأصاب شقيقته أو عينه فقتله.

سمّاه أبوه باسم جعفر بن أبي طالب المعروف (بالطيّار):
 وهكذا حفظ الأولاد الأبطال يقدمهم أخوهم قمر العشيرة وصية
 أبيهم أمير المؤمنين عليه السلام، وأهم المبجلة الصابرة أم البنين عليها السلام، في أخيهم
 الإمام الحسين عليه السلام، فكانوا كما وصفهم أهل البصائر (أمراء العساكر
 وخطباء المنابر).

نفوسُ أبثْ إلّا تِراثُ أبيهم فهم بين موتٍ لذاك وواترٍ
 لقد ألفتْ أرواحهم حومةَ الوغى كما أنستْ أقدامهم بالمنابر

فوارس من عليا قريش تسلموا من المجد صعباً ظهره ليس يُركب
أتوا في العُلا ماليس يدري فأغربت معاني الثناني مجدهم حيث غربوا^(١)

مدائح في ولادتها وأولادها

بورك حقاً مولدُ أم البنين فاطمة الملجأ للمؤمنين
في الشدة لشخصها نول وشأنها يُحيزُّ العقول
وما عساي وعسا غيري أن يذكُر ما لها بسرٍّ وعَلَن
من الوفاء لذو النبوه ومن بنيتها الغرُّ في الفتوه
مرفوعة الرأس أمام الزهرا بصبرها هناك تُعطى الاجرا

ناهيك عن مولدِ الفحل العباس شبلِ عليّ المجدِ صاحبِ الباش
هو الفتى نجلُ الفتى هو القمز يطيب مهما ذكرهُ العاطرُ مز
سرُّ أباهُ والحسينَ والحسنَ رمزُ البطولاتِ على مرِّ الزمنِ
وابتهجت أُمهُ أمُ البنين ازكى تهانينا لهم اجمعين
موقفهُ في الطف مثلَ الشمسِ حيثُ فدا إمامه بالنفسِ
نفديه ما اكرمه على الله بابَ الحوائجِ غدا وذا جاه

(١) أم البنين سيرتها وكرامتها (للشيخ أشرف الزهيري الجعفري) : ٧٣ - ٨١.

رَبُّنَا بَارِكْهُ لَنَا بِالْهِنَا مُحَقَّقًا لِلْمُؤْمِنِينَ الْإِنِّي
مِسْكُ الْخَتَامِ وَبِكُلِّ الْأَوْقَاتِ الصَّلَاةُ وَبِأَعْلَى الْأَصْوَاتِ^(١)

* * *

هُوَ بَابُ الْحُسَيْنِ مَا خَابَ يَوْمًا وَاقِدٌ جَاءَ لَائِذَا فِي حِمَاهُ
أَنَّهُ بَابُ حِطَّةٍ لَيْسَ بِخَشْيٍ كُلُّ هَوْلٍ مَسْتَمْسِكٌ فِي عِرَاهُ
قَفَ بِهِ دَاعِيَا وَفِيهِ تَوَسَّلَ فِيهِ الْمَرْءُ يَسْتَجَابُ دَعَاهُ

* * *

أَبَا الْفَضْلِ أَنْتَ الْبَابُ لِلْسَبْطِ مِثْلَ مَا أَبُوكَ عَلِيٌّ كَانَ بَابًا لِأَحْمَدَا

* * *

(١) لشاعر أهل البيت والخطيب الحجة الشيخ محمد محسن النجفي الفاضلي حفظه الله تعالى.



المجلس الثاني

حول زواج أم البنين عليها السلام

أُمُّ الْبَنِينَ زَوْجُ مَوْلَانَا عَلِي
أُمُّ أَبِي الْفَضْلِ فَتَى الطِّفْلِ الْقَمَرِ
بِهَا إِلَى اللَّهِ تَوَسَّلَ كَيْ تَنْلُ
تِلْكَ الَّتِي مَثَلَتْ الْمَوَدَّةَ
مَنْ لِّلْهِ صَبْرُهَا بِيَوْمِ أَقْبَلَ
تَسْأَلُهُ كَأَنَّهُ لَمْ تَسْمَعْ
تَقُولُ أَخْبِرْنِي عَنْ إِمَامِي
أَخْبِرْهَا آهٍ بِفَقْدِ الْأَرْبَعَةِ
قَالَتْ هُمْ الْفِدَاءُ لِلْحُسَيْنِ
لَا تُخَفِ بِاللَّهِ عَلَيْكَ عَنِّي
هَلِ الْحُسَيْنُ عَائِدٌ فَاَنْتَظِرْ
أَجْرَكَ اللَّهُ قَضَى بِكَرْبَلَا
نَاهِكُمُ عَنْ ذَلِكَ الْفَضْلِ الْجَلِيِّ
كَذَا أَشْقَاهُ الثَّلَاثَةُ الْفَرَزُ
كُلُّ الَّذِي تَرْجُو وَتَحْظِي بِالْأَمَلِ
فِي آلِ طَهٍ فِي الرَّخَا وَالشَّدَةِ
نَاعِي الْحُسَيْنِ وَالْدَّمُوعِ أُسْبَلِ
نَعِي شَهِيدِ كَرْبَلَا وَلَمْ تَعِ
وَالطَّرْفُ مِنْهَا بِالْدَّمُوعِ هَامِي
أَبْنَانُهَا وَهُوَ يُهْلُ أَدْمَعُهُ
رُوحِ نَبِيِّنَا وَنُورِ عَيْنِي
حَقِيقَةُ الْأَمْرِ أَهَجَتْ حُزْنِي
فَعِنْدَهَا قَالَ بَدَمِعٍ مُنْهَمِزٍ
ظَمَانَ مَذْبُوحاً بِهَاتِيكَ الْفَلَا

ولا تسل عن حالها مُذ سَمِعَتْ	ذلك بالحُرقة نادت وبكت
يا أسفا عليك يا بن المصطفى	بعدك مولاي على الدنيا العفا
هيهات أن أهني بعيشٍ حتى	أكون عاجلاً عِدادَ الموتى
فعلاً قضت أيامها حتى قضت	حُزناً ومن كثرة ما فيها بكت

* * *

قال أمير المؤمنين عليه السلام لأخيه عقيل عليه السلام:

«ابغني امرأة [اخترلي امرأة] وقد ولدتها الفحول من العرب
لأتزوجها لتلد لي غلاماً فارساً».
فقال عقيل: أين أنت عن فاطمة بنت حزام فانه ليس في العرب
اشجع من ابائها ولا افرس^(١).

زواجها من أمير المؤمنين عليه السلام

بعد أن توفيت ريحانة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وسيدة نساء العالمين البتول،
شهيدة في سبيل الله ودفاعاً عن الولاية والامامة، وكان مصاب بضعة
المصطفى قد هدّ ركنه عليه السلام وبعد أن تزوج امامة بنت زينب^(٢) بنت رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاة فاطمة عليها السلام بتسع ليالي وكان ذلك بأمر ووصية من
الصديقة الطاهرة فاطمة عليها السلام أن يتزوج بها للتولى شؤون أولادها، وأن
تكون لأولادها مثلها، ثم بعد ذلك تزوج أم البنين عليها السلام ومن هنا -دعى
أمير المؤمنين عليه السلام أخاه عقيلاً عليه السلام - وكان نسابة عالماً بأنساب العرب
وأخبارهم وقال له:

«انظر لي امرأة قد ولدتها الفحولة من العرب، من ذوي البيوت

(١) أعيان الشيعة ٧ / ٤٢٩ و ٨ / ٣٨٩. إصار العين ٢٦. ناسخ التواريخ ٤ / ٣٣٣.

(٢) منتخب التواريخ (للحاج ملا هاشم) ١٢٧ عن المجلسي في البحار ٤٢ - ٩٢.

والنسب والحسب والشجاعة؛ لكي أصيب منها ولداً يكون شجاعاً وعضداً، ينصر ولدي هذا، وأشار إلى الإمام الحسين عليه السلام يواسيه في طف كربلاء»^(١).

وذلك مراد أمير المؤمنين عليه السلام من البناء على امرأة ولدتها الفحولة من العرب، فإن الآباء لابد وأن تعرق في البنين ذاتياتها وأوصافها. فإذا كان المولود ذكراً بانت فيه هذه الخصال الكريمة، وإن كانت أنثى بانت في أولادها. وإلى هذا أشار صاحب الشريعة الحقة بقوله: «الخال أحد الضجيعين فتخبروا لنطفكم».

وقد ظهرت في أبي الفضل شجاعتان:

١- الهاشمية: التي هي الأربى والأرقى من ناحية أبيه سيد الوصيين وأمير المؤمنين عليه السلام، الذي كان حاملاً لواء الإسلام وكان النصر على يديه في جميع حروب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

٢- العامرية: من ناحية أمه أم البنين^(٢).

وعلى هذا رضى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بهذا الخيار وبعث أخاه عقيلاً ليخطب له أم البنين عليها السلام من أبيها.

(١) انظر: بطل العلقمي (للمظفر): ٩٧ / ١ - ٩٨، تنقيح المقال (للمامقاني): ١٢٨ / ٢.

(٢) أم البنين عليها السلام (للسالكي): ٢٩ عن العباس (للمقرم): ١٢٧.

مهمة عقيل عليه السلام

كان عقيل عليه السلام أخو الإمام علي عليه السلام نسابة معروفاً، وله في علم الأنساب باع طويل.

وكان -يومها- للشاعر والقصاص والنسابة وصاحب السيف والكاهن والعراف موقع خاص؛ لندرتهم وشدة الحاجة لتخصصاتهم، وكان الناس يرجعون إليهم وينفذون قولهم، ويكونون لهم احتراماً خاصاً، وهم قليلون معدودون في الغالب، فمثلاً اشتهر أمير المؤمنين عليه السلام بضربات سيفه وعلمه، واشتهر امرؤ القيس بشعره وقصائده، واشتهر عقيل عليه السلام بخبرته وحفظه في الأنساب ومعرفته بالعرب وأيامها وقبائلها.

لذا دعاه أمير المؤمنين عليه السلام ذات يوم وقال له:

«اختر لي امرأة ولدتها الفحول من العرب، من ذوي البيوت والحسب والنسب؛ لتلد لي غلاماً فارساً رشيداً».

فقلّب عقيل قبائل العرب ظهراً لبطن، وفكر وقدراً، وفحص ونقّر، وجاس ديار أنساب العرب ودرس أخلاقهم وطباعهم حتى اختار له «فاطمة عليها السلام»، والتي سميت فيما بعد بأم البنين عليها السلام، فعرضها على الإمام أمير المؤمنين ذكراً صفاتها وخصال أهلها وقبيلتها، فأمره الامام عليه السلام أن يخطبها من أهلها.

لماذا التشاور مع عقيل ؟

وهنا سؤال يفرض نفسه ليقول : أليس الإمام أمير المؤمنين عليه السلام باب مدينة علم الرسول صلى الله عليه وآله والعارف بأهل زمانه ، بل والأعرف بهم من كل أحد ؟ فكيف يسأل في أمر الزواج من مثل أخيه عقيل ؟
والجواب : صحيح أنه عليه السلام أعلم الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله بالأمور ، وأعرف الناس بأنساب الناس ، ولكنه عليه السلام فعل ذلك لأمر لا تخلو عن حكمة ولعل من أهمها ما يلي :

١ - أنه عليه السلام أراد أن يعلمنا بذلك كيف نبني أمورنا - صغيرها وكبيرها ، وإجتماعيها وشخصيها ، إقتصاديها وسياسيها - على التحاور والتشاور ، ونسير فيها على علم ومعرفة ، ونشارك الناس في عقولهم وتجاربهم ، فنتجنب بذلك مفاصل الأنانية والإستبداد بالرأي ، وما يتبعها من مساوئ ومهالك ، وخاصة في مثل أمر الزواج ، الذي هو أهم لبنة في تكوين الأسرة ، وإنجاب الذرية والأولاد ، وبناء المجتمع الصالح .

٢ - لعله أراد عليه السلام بذلك التجاهر والإعلان عن هذه السنة المباركة التي سنّها رسول الله صلى الله عليه وآله وهي سنة الزواج ، حيث ورد الأمر بإعلانها والإشهاد عليها .

٣ - لعله كان المرسوم في ذلك الزمان ، والمعتاد في تلك الأيام ، وهو : استنابة الآخرين في أمر الزواج ، وعدم الإقدام من الزوج شخصياً عليه .

٤ - لعلة عليها السلام أراد بذلك تعليم الأمة إرجاع الأمور إلى الخبراء من أهل الفن، وبيان أهمية التخصص ومكانة المتخصصين في المجتمع الإسلامي، ففي كل أمر يرى الإسلام الرجوع فيه إلى أهل فنه وخبرته، ففي أمر الزواج إلى العارف بالأنساب، وفي العمران إلى المهندس العالم بالعمارة، وفي التجارة إلى الخبير في أمرها، وفي الدين إلى المرجع الديني، وفي الحكومة والقيادة إلى من اختاره الله حاكماً وقائداً من الأئمة الطاهرين عليهم السلام زمن حضورهم، وشورى المراجع الفقهاء زمن غيبتهم عليهم السلام وهكذا.

٥ - لعلة أراد عليها السلام بذلك إظهار شخصية عقيل، وإثبات تخصصه في مجال الأنساب، حتى يكون من يمدحه عقيل في نسبه - من أمثال حزام وأم البنين - مرفوع الرأس بين الناس ومعتمداً، ومن يذمه عقيل في نسبه - من أمثال معاوية وهند - سنداً لخزيهم في الناس ومستنداً.

٦ - لعلة عليها السلام أراد بذلك الإخبار عن قضية كربلاء، والإشارة إلى فاجعة عاشوراء: من شهادة الإمام الحسين عليه السلام ومظلومية أبي الفضل العباس عليه السلام، وجناية بني أمية في حق أهل بيت نبيهم، وقتل ذريته، وسبي حريمه، حتى لا يدع مجالاً لأحد أن يدعي بعد ذلك عدم علم الإمام الحسين عليه السلام بشهادته من نهضته الإصلاحية، وأنه خرج يطلب الحكومة والسلطان - والعياذ بالله - وليؤكد للناس أنه عليه السلام إنما يخرج ليحيي بشهادته الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وينقذ بذلك الإسلام، والأمة الإسلامية.

تاريخ الزواج المبارك

لم ينصّ أحد من المؤرخين - فيما أعلم - على تاريخ هذا الزواج المبارك الميمون.

فما يمكن أن يعول عليه هو أنّ عليّاً عليه السلام تزوّج أمانة بنت زينب بعد شهادة الصديقة فاطمة عليها السلام بلا فصل، ولكنها لم تلد له ولداً كما يظهر من بعض الكتب^(١)، فعزم عليه السلام على الزواج المجدد وذلك بعد خمس عشرة سنة مضت من شهادة الصديقة عليها السلام.

وهذا أمر معقول وله شاهد صدق من بعض أرباب المقاتل المعول عليهم بلا تأمل ولا ريب، كما سنشير إليه الآن.

إن قلت: من أين تقول هذا مع اعترافك بأنهم لم يصرحوا على تاريخ الزواج تصريحاً بيّناً؟

قلت: يظهر هذا من الشيخ صدر الدين القزويني في كتابه رياض القدس بالفارسية، فإنّه قال ما هذه ترجمته: إنّ أم البنين عليها السلام ولدت العباس بعد سنة؛ يعني من زواجها^(٢).

(١) أم البنين (للسالكي): ٦٩ عن بدر الدين نصيري في كتابه «ابو الفضل يرجمدار كربلاء» بالفارسية. الفصل الثاني: ٢٤؛ إلّا أنّ علماء الأنساب وأرباب المقاتل ذكروا لها ولداً من علي عليه السلام باسم محمد الأوسط الذي استشهد في كربلاء. راجع: الرسالة الأسيدي (للعبيدي)، مناقب ابن شهر آشوب: ٣ / ٣٠٥، منتهى الآمال: ١ / ١٨٧.

(٢) رياض القدس: ٢ / ٦٧ صدر الدين الواعظ القزويني ابن الشيخ العلامة محمد حسن

ولمّا كانت ولادة العباس (عليه السلام) في الرّابع من شعبان سنة ست وعشرين كما هو المشهور فيمكن الحدس بتاريخ زواج أمّ البنين رحمها الله تعالى في سنة خمس وعشرين للهجرة وفي الرّابع والعشرين من شهر رجب والله العالم.

في عمر العباس بن علي بن أبي طالب (عليه السلام):
قلنا إنّهُ ولد في الرابع من شعبان سنة ست وعشرين وأنّه المشهور الآن. ومعلوم أنّه استشهد بالطفّ في سنة إحدى وستين فكان عمره المبارك خمساً وثلاثين سنة وقيل: أربعاً وثلاثين سنة^(١).

عمره يوم شهادة الحسن المجتبي (عليه السلام):
ويوم شهادة السبط الأكبر كان العباس ابن أربع وعشرين سنة.
قال المقرّم: وأمّا يوم شهادة أخيه الإمام المجتبي فكان له أربع وعشرون سنة، وقد ذكر صاحب كتاب «قمر بني هاشم»:

أنّه لمّا رأى جنازة سيد شباب أهل الجنة «الحسن (عليه السلام)» ترمى بالسّهام عظم عليه الأمر ولم يطق صبراً دون أن جرّد سيفه وأراد البطش بأصحاب البغلة لولا كراهيّة السّبط الشهيد الحرب عملاً بوصيّة أخيه...

→ القزويني صاحب رياض الأحرار الذي نقلنا منه في هذا الكتاب. والكتاب مشهور معروف في مجلدين كبيرين، ط. دار الكتب الإسلامية، طهران - إيران.

(١) راجع ابصار العين (للسماوي): ٢٦، ثمرات الأعواد (للخطيب علي بن الحسين الهاشمي النجفي): ١ / ١٥٩، مطبعة العلمية في النجف الأشرف، سنة ١٣٦٥ هـ.

فصبر أبو الفضل^(١).

نعم هناك قول بأن العباس كان حاضراً في حرب صفّين مع أبيه، كان في الرابع عشر من عمره^(٢).

أو في الخامسة عشر^(٣).

أو في السابع عشر من عمره^(٤).

يقول السالكي^(٥): إن الأكثرين على أنه مضت من عمر العباس بن علي أربع عشرة سنة حين اشترك مع أبيه في صفّين، وأنه ولد في سنة ست وعشرين بعد سنة من زواج أمّه وأبيه، واستشهد في أوائل السنة الواحدة والستين من الهجرة النبويّة على هاجرها آلاف التحية والصلاة وعلى آله عليه السلام، وأنّ عمره كان حين الشّهادة أربعاً وثلاثين سنة.

إلا أنّ الأقوال المذكورة لا توافق بينها بوجه ولا تآلف: فإن ابتداء

(١) أم البنين عليها السلام (السالكي): ٧٠ عن العباس (المقرّم): ١٥٦ عن قر بني هاشم: ٨٤، راجع إصار العين: ٢٦.

(٢) كما نقله الشيخ علي الفلسفي في «مجموعه انوار علمي معصومين عليهم السلام»: ١ / ٢١٩ عن عدّة كتب: كروضة الشهداء، ومعالي السطين، وزندگانی قر بني هاشم لعباد زاده، وبرجمدار كربلا (للمظفري). وقال في ثمرات الأعواد مكتبة العلمية في النجف: ١٥٨: قال بعض المؤرخين: حضر العباس بعض حروب أبيه كالجمل وصفين والنهروان ولم يقاتل. أم البنين (السالكي): ٧١.

(٣) كما في الخصائص العباسية (للكلباسي): ١٣٧.

(٤) الخصائص العباسية: ١٣٧، العباس (المقرّم): ١٥٤.

(٥) أم البنين (محمد علي السالكي): ٧٢.

حرب صفين كان في سنة ست وثلاثين ، فلو كان عمره في تلك الحرب أربع عشرة سنة .

فلا بد أن تكون ولادته عام اثنين وعشرين للهجرة ولو فرضنا عمره فيها (١٥) فولادته تكون في عام تسعة عشر .

ولو اعتبرنا عمره فيها (١٧) فولادته تكون في عام تسعة عشر . ومن جانب آخر لو اعتبرنا ولادته في (٢٦) فكان في تلك الحرب ابن العاشرة . ولو قبلنا قول الخوارزمي وأنه كان في صفين قد بلغ مبلغ الرجال بحيث لبس علي عليه السلام لباسه فلا بد أنه كان في الخامسة عشر أو في السابعة عشر من العمر ! وكل تلك الفروض تؤثر في تحديد مقدار عمره .

عقيل يخطبها لعلي عليه السلام

مضى عقيل بن أبي طالب عليه السلام في مهمته بأمر أخيه أمير المؤمنين عليه السلام حتى ورد بيت حزام بن خالد ضيفاً على فراش كرامته ، وكان خارج المدينة ... فقال له عقيل : « جئتكَ بالشرف الشامخ والمجد الباذخ وفي خبر آخر جئتكَ بشرف الدنيا والآخرة » .

فقال حزام : وما هو يا بن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟

قال : « جئتكَ خاطباً » .

قال : من لمن ؟

قال عقيل عليه السلام: «أخطب ابنتك الحرة فاطمة إلى أخي أمير المؤمنين عليه السلام علي ابن أبي طالب عليه السلام وقد أحب مصاهرتك لعلو نسبك وشرفك». فلما سمع حزام هشّ وبشّ ثم قال: بخ بخ بهذا النسب الشريف والحسب المنيف، لنا الشرف الرفيع والمجد المنيع بمصاهرة ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وبطل الإسلام وقاسم الجنة والنار ولا ينال هذا إلا ذو حظ عظيم.

ولكن - يا عقيل - أنت جدّ عليم ببيت سيدي ومولاي، إنه مهبط الوحي، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، وأنّ مثل أمير المؤمنين عليه السلام ينبغي أن تكون له امرأة ذات معرفة عن علم، وآداب في ثقافة، وعقل مع أخلاق حسنة، حتى تكون صالحة لشأنه العالي ومقامه السامي، وإنّ ابنتنا من أهل القرى والبادية، وأهل البادية غير أهل المدينة، ولعلها غير صالحة لأمر المؤمنين عليهم السلام.

فقال عقيل عليه السلام: «يا حزام أنّ أخي يعلم بكلّ ما قلته، وأنّه يرغب في التزويج بها». وفي خبر آخر قال له: «يريد أن يرزق منها أولاداً أبطال ينصرون ولده الحسين عليه السلام في طف كربلاء».

فقال حزام: إذا تمهّل حتى أسأل عنها أمها - ثمامة بنت سهل - هل تصلح لأمر المؤمنين عليهم السلام أم لا؟ فإنّ النساء أعلم ببناتهن من الرجال في الأخلاق والآداب^(١).

(١) أم البنين (علي رباني خلخال): ٣٠.

الرؤية الصادقة العجيبة

قام حزام من محله وجاء ليسأل زوجته بهذا العز والفخر فلما قرب من المنزل وإذا هو يرى فاطمة جالسة بين يدي أمها، وهي تمشط رأسها وشعرها وفاطمة عليها السلام تقول لأمها: «يا أماه إنني رأيت في منامي رؤيا البارحة رؤيا عجيبة، أحب أن أقصها عليك يا أماه».

فقالت لها أمها: خير رأيت - يا بنية - قصيها عليّ:

فوقف حزام في مكانه بحيث يسمع الصوت ولا يراه أحد. نعم هذه أم البنين الصادقة المؤمنة حيث جلست من نومها تتأمل في نجوم السماء، ذهبت بفكرها العميق ما رآته في منامها، قامت وغسلت وجهها وهي تحمد الله تعالى حتى جاءت تخاطب أمها:

السلام عليك يا امي الغالية؛

الأم: وعليك السلام ابنتي العزيز كيف أصبحت يا حبيبتي؟

قالت: أماه أصبحت برؤيا عجيبة!!

الأم: خير رأيتي إن شاء الله في تلك الرؤيا.

فقالت فاطمة عليها السلام لأمها: إنني رأيت فيما يرى النائم، كأني جالسة في روضة ذات أشجار مثمرة وأنهار جارية، وكانت السماء صاحبة، والقمر مشرقاً، والنجوم ساطعة، وأنا أفكر في عظمة خلق الله، من سماء مرفوعة بغير عمد، وقمر منير، وكواكب زاهرة.

فبينما كنت في هذا التفكير ونحوه، وإذا أرى كأن القمر قد انقض من كبد السماء ووقع في حجري، وهو يتلألأ نوراً يغشي الأبصار، فعجبت من ذلك، وإذا بثلاثة نجوم زواهر قد وقعوا أيضاً في حجري، وقد أغشى نورهم بصري، فتحيرت في أمري مما رأيت، وإذا بهاتف قد هتف بي، أسمع منه الصوت ولا أرى الشخص، وهو يقول:

بُشْرَاكِ فَاطِمَةُ بِالسَادَةِ الْقُرَرِ ثَلَاثَةُ أَنْجَمٍ وَالزَّاهِرِ الْقَمَرِ
أَبُوهُمْ سَيِّدُ فِي الْخَلْقِ قَاطِبَةٌ بَعْدَ الرُّسُولِ كَذَا قَدْ جَاءَ فِي الْخَبَرِ



فلما سمعت ذلك يا أماه ذهلتُ وانتبهت فزعة مرعوبة، هذه رؤياي يا أماه فما تأويلها؟!

فقالت لها أمها: يا بنية؛ إن صدقت رؤياك، فإنك تتزوجين برجل جليل القدر، رفيع الشأن، عظيم المنزلة عند الله، مطاع في عشيرته، وترزقين منه أربعة أولاد، يكون أولهم وجهه كأنه القمر، وثلاثة كالنجوم الزواهر.

[وعن بعضهم أنها قالت لأُمها وهي تقص رؤياها: «يا أماه فرحت فرحاً عظيماً ثم بعد حين لم أجد القمر ولا الكواكب فاشتد حزني وتضاعفت حسرتي».

وهذا لم يُفسر لها حتى مرت الأيام والليالي فكشفت لها عن تفسير

ما بقي من رؤياها فالحزن والحسرة في المنام هو لأنها عليها السلام سوف تفقد أولادها نعم تحقق حلمها وإذا بها تكلى بأولادها تردد بقلب مفجوع:
كانت بنون لي أدعى بهم واليوم أصبحت ولا من بنين]



حزام يستشير ثمامة

فلما سمع حزام قصة رؤيا ابنته تهلل وجهه وأقبل عليهما وهو مبتسم ويقول لزوجته: لقد صدقت رؤياها قالت كيف ذلك قال:

هذا عقيل بن أبي طالب جاء يخطب ابنتك للإمام أمير المؤمنين فلأل الكتاب، ومظهر العجائب، فارس المشارق والمغارب، أسد الله الغالب علي بن أبي طالب عليه السلام وقد استمهلتته حتى أسألك عن ابنتك؛ وأستشيرك في ذلك هل تجددين فيها كفاءة بأن تكون زوجة لأمير المؤمنين عليه السلام؟

واعلمي أن بيته بيت الوحي والنبوة، والعلم والآداب الحكمة، فان تجديها أهلاً لأن تكون خادمة في هذا البيت وإلا فلا.

فقال زوجته ذات القلب المفعم بالولاء للإمامة:

يا حزام إنني -والله- ربيتها وأحسن تربيته، ان ابنتنا وبحمد الله عاقلة نبيه، وادبية، لقد رايت فيها الكفاءة منذ صغرها، واحسست منها التفوق والنبوغ من أيامها الأولى، فأدبتها بآداب العرب، وربيتها تربية

الصالحين وأعددتها إعداداً تاهّلت عبره لأن تكون زوجة صالحة،
وأماً عطوفاً وربيبة بيت مدبرة ومديرة، فارجوا الله أن تكون عند
حسن ظننا، وإن تبيض بسيرتها الحسنة عند الأمام أمير المؤمنين (عليه السلام)
وجوهنا.

عندها تهلل وجه حزام، وأقبل على ابنته يسألها عن رايها، ويستعلم
موافقتها ورضاها بالزواج من الإمام علي (عليه السلام)، ثم عرض عليها أمر
الزواج يترب رأياها، وينتظر جوابها، لكن ما كان جواب البنت اللببية
عن رضاها بهذا الزواج المبارك إلا سكوتها، فإن السكوت علامة
الرضا، عندها غادر الأب البيت مسرعا واتجه نحو المضيف ليلتقي
بعقيل الذي تركه يترب جوابه حتى يبشره بالموافقة والقبول.

فأقبل حزام على ابنته يهنئها ويشركها في فرحته:

يهنيك فاطمة بالفارس البطل نعم القرين أمير المؤمنين
من للأنام إمام حجة وولي للمؤمنين أمير والغدير جلي
وعندها ذهب حزام إلى عقيل وهو مستبشر.

فقال له عقيل: ما وراءك؟

قال: «كل الخير إن شاء الله قد رضينا بأن تكون ابنتنا خادمة لأمر
المؤمنين (عليه السلام)».

فقال عقيل: «لا تقل خادمة بل زوجة».

مهرها عليها السلام ومهر السنة

فلما دخل حزام المضيف تلقاه عقيل متسائلاً وهو يقول: «ما ورائك يا أبا المحل؟».

فأجابه حزام: «يا ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله! كلّ الخير إن شاء الله تعالى، لقد رضينا بأن تكون ابنتنا خادمة متواضعة في بيت النبوة والإمامة، إن قبلها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بذلك؟».

فقال له عقيل: «يا أبا المحل لا تقل خادمة متواضعة ولكن قل: زوجة وقيّة، وقرينة كريمة»، ثمّ واصل عقيل كلامه وقال: «لابدّ للمرأة من صداق فهل لكم اقتراح فيه؟».

قال حزام: «لا، وإنما نفوّض ذلك يا ابن عمّ الرسول صلى الله عليه وآله إليك». فقال عقيل وهو يشكره على ذلك: «إعلم يا أبا المحل! إنّ أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله لا يتجاوزون في صداق بناتهم ونسائهم ما سنّه رسول الله صلى الله عليه وآله من الصداق لبناته ونسائه وهو: خمسمائة درهم».

فقال له حزام: «ونحن أيضاً لا ينبغي لنا أن نتجاوز ما سنّه رسول الله صلى الله عليه وآله من المهر والصداق، رضينا وسلّمنا».

ثمّ نهض حزام لإبلاغ الأمر إلى عياله، وذلك بعد أن استأذن من عقيل واسترخصه، فتوجّه نحو البيت، فلما دخله إلتفت إلى زوجته ثمّامه وابنته فاطمة، وقال لهما بكلّ بهجة وسرور: البشارة البشارة، لقد رضي

عقيل بن أبي طالب ابنتنا فاطمة لأخيه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على مهر السنة، وهو خمسمائة درهم، فإنه الصداق الذي سنّه رسول الله ﷺ لأزواجه وبناته^(١).

من مثلها عليها السلام ولها زوج كعلي عليه السلام

لما سمعت أم البنين عليها السلام أنها خطبت لأmir المؤمنين غمرها السرور وطار قلبها بالفرح، وتناثر عرق الحياء على محياها كاللؤلؤ على صفيحة النور، واختارت السكوت فلم تحرك لسانها، وجنانها يتدفق بالكلمات تعبيراً عن فرحتها بهذا الزواج السعيد...

أجل؛ كيف لا تفرح ولا تغمرها السعادة؟! وهي ترى الحياء في عيني علي عليه السلام، وسلطان الإسلام في يديه، والاستقامة والعدالة في خطواته، ونور الهداية المحمدية في قلبه؟! ... وإن في هذه الزيجة المباركة فخراً عميماً، وشرفاً عظيماً، وسعادة لم تخيب، لها ولأهلها وعشيرتها جميعاً. لقد أقسمت أم البنين عليها السلام أنها ستكون كالأم الرؤوف للحسين عليه السلام، فدخلت إلى بيت العصمة تحمل معها عالماً من المحبة والمودة والحنان. وهكذا خطبها عقيل عليه السلام، ثم أجرى النكاح وكالة عن أخيه أمير المؤمنين عليه السلام، فاستعدت أم البنين فاطمة بنت حزام للرحيل إلى بيت الإمام عليه السلام.

(١) الخصائص العباسية (آية الله الحاج محمد إبراهيم الكلباسي): ٣٣.

ولما دخل بها الإمام (عليه السلام) وجدها امرأة ذات عقل وإيمان وأدب، ورأى فيها ما أسرّه من الحسن والجمال والهيئة والكمال، حيث كانت أم البنين (عليها السلام) من النساء الفاضلات العارفات بحق أهل البيت (عليهم السلام)، كما كانت فصيحة بليغة لسنة ورعة ذات زهد وتقى وعبادة.

وبلغ من عظمها ومعرفتها وتبصرها بمقام أهل البيت (عليهم السلام) أنها لما دخلت على أمير المؤمنين (عليه السلام) وكان الحسنان مريضين أخذت تلاطف القول معهما، وتلقي اليهما من طيب الكلام ما يأخذ بمجامع القلوب، وما برحت على ذلك تحسن السيرة معهما وتخضع لهما كالأم الحنون. ولا بدع في ذلك فإنها ضجيعة شخص الإيمان، قد استضاءت بأنواره وربت في روضة أزهاره، واستفادت من معارفه، وتأدبت بآدابه، وتخلقت بأخلاقه^(١).

أم البنين هي تلك المرأة التي كان يريد لها أمير المؤمنين (عليه السلام)، امرأة وقور، تقعد في بيتها وتربي له رجالاً أشاوس، وفرسان أقوياء من أمثال أبي الفضل العباس (عليه السلام) الذي ضرب المثل الأعلى في الشجاعة والمواساة والاقدام والوفاء، وخاض لجج الموت، واقتحم غمرات الحروب، وجال بين صفوف الأعداء في ساحات الوغى منذ بدايات شبابه، وهو لا يهاب الموت، ولا يعبأ بوميض السيوف ورؤوس الحراب الخاطفة كالبرق... كان قلبه أشد من زبر الحديد أمام الأعداء.

(١) أم البنين (عليها السلام) (علي بن أبي طالب) عن العباس (عليه السلام) (المقدم) : ١٣٣.

حديث الزواج يصل إلى كربلاء

ورد في الخبر أنه قبل ان تبدأ المعركة في كربلاء بين الإمام الحسين (عليه السلام) وأصحابه وبين جيش عمر بن سعد عليه اللعنة جيش الكفر في كربلاء أتى زهير بن القين الى عبدالله بن جعفر بن عقيل . فقال له : « يا أخي ناولن هذه الراية » .

فقال له عبد الله : « أَوْفِي قصور عن حملها ؟ » .

قال : « لا ولكن لي بها حاجه قال فدفعها إليه واخذها زهير واتى تجاه العباس (عليه السلام) » .

وقال : « أريد أنا أحدثك بحديث وعيته ! » .

فقال العباس (عليه السلام) : « حدث فقد حلا وقت الحديث » .

فقال له : « اعلم يا أبا الفضل ان أباك أمير المؤمنين (عليه السلام) لما أراد أن يتزوج بأمك أم البنين ، بعث أخيه عقيل (عليه السلام) وكان عارفاً بأنساب العرب » .

فقال : « يا أخي أريد منك أن تخطب لي امرأة من ذوي البيوت والحسب والنسب والشجاعة لكي أصيب منها ولداً يكون شجاعاً وعظداً ينصر ولدي هذا وأشار إلى الإمام الحسين (عليه السلام) ليواسيه في طف كربلاء وقد ادّخرك أبوك لمثل هذا اليوم فلا تقصر عن حلائل أخيك وعن اخواتك » .

قال : « فارتعد العباس (عليه السلام) وتمطى في ركابه حتى قطعه » .

وقال: «يا زهير تشجعني في مثل هذا اليوم واللّه لأرينك شيئاً ما رأيته قط»^(١).

ولما رجع العباس عليه السلام من مكالمته مع شمر لعنه الله حيث عرض عليه الكتاب الذي فيه امان له ولاخوته استقبلته الحوراء زينب عليها السلام وقد سمعت كلامه مع الشمر عليه اللعنة.

فقالت له: «أخي أريد أن أحدثك بحديث».

قال: «حدثيني يا زينب لقد حلا وقت الحديث».

قالت: «اعلم يا ابن والدي لما ماتت أمنا فاطمة عليها السلام قال أبي لأخيه عقيل عليه السلام - وقد مر الحديث عنه - فقد ادخرك أبوك لمثل هذا اليوم فلا تقصّر يا أبا الفضل فلما سمع العباس عليه السلام كلامها تمطى في ركاب سرجه حتى قطعهما».

وقال لها: «في مثل هذا اليوم تشجعيني وأنا ابن أمير المؤمنين عليه السلام»^(٢) وكان لسان حالهما وتحاورهما عليهما السلام في ليلة العاشر من المحرم.

زينب كصدت العباس والهم كصد وياها

وحين الشافها العباس تتعثر بـممشاها

طلع من خيمته معضب والزينب تلگاها

(١) أسرار الشهادة (للدربندي): ٢٣٤.

(٢) ثمرات الأعواد (للهاشمي): ١ / ١٠٤.

هله يا زينب يگلها
 هله يا سلوتي گلها
 وزينب لعد جافلها
 صدت والگلب داوي وختنگت بعبرتها

* * *

زينب والگمر عباس تگله بين حامي الجار
 سمعت حسين أخوك يگول احنه ابهالمسه خطار
 يخويه ولازمه گلبي وخاف من الصبح لو صار
 انه مخدره تدري
 وانت مكلف بخدري
 عگبك ما ردت عمري
 الحرمة عگب ولياها مو تسواش ضلتها

* * *

يسمع زينب العباس وعينه من الزعل حمرة
 يگلها بشاربي خدرچ يا زينب ودك صدره
 يمدردت حامي الجار وحگ ضلع امچ الزهره
 لفني او رگاها دونچ
 اخوچ وگرت عيونچ
 لا لا ينخطف لونچ
 يزینب والعساچر هاي باچر کون اشتها

العساچر گال اشتها صل وگام يطوه
 وحين السمع حچي اخته هاج وهزته النخوه
 وزينب نادته بهونك يا والي الحرم تگوه
 هود يبن داحي الباب
 تگله الدليل انعاب
 حچي وياك الي وعتاب
 يبو فاضل وسولفلك تگله وتجر ونتها

* * *

قال لها «حدثي يا أخِي فقد حلّى وقت الحديث»:
 اسولفلك يبو فاضل عودك ليش راد امك
 وعن طيبة نسب حره ابونه من نشد عمك
 انت غايته منها والها لناييه ضمك
 ابونه المثل هذا اليوم
 رادك ضخر يا جيدوم
 هاي الخيل هاي الكوم
 وهاذي كربلا وعودك وصيته هاي ساعتها

* * *

اغتااض وگال يا زينب شنهي الخيل وتهمچ
 اخوچ وصارمي بيدي فنه اليکحم خيمچ
 وحگ الحسن يا زينب وچيده وكسر ضلع أمچ

لخلي جموعها طشار
 وخلي النايحة بكل دار
 وخلي كربلا تذكرا
 وخلي الناس جيلٍ جيلٍ ما ينسون عملتها

* * *

وثلث تنعام أبو فاضل مثل ما غال سواها
 فنه ذبيح الزلم والخيّل تموج مروج خلاها
 وزينب واجفه وتشوف وبعباس تتباها
 ساعه وطاحت الراية
 من اخوها على المسناية
 طاح وضلت الثاية
 طاح وصاح ابو فاضل يا زينب وهضمتها

* * *

طاح وصاح يا زينب يختي العذر لله وليج
 لون ايدي تلوح السيف ما جان العده تلويج
 يزنب هامتي وعيني ويميني ويسرّتي تفديج^(١)

تكله يعباس منته الي جبّتي وبيدك يخويه ركبتني
 هسارحت عني او عفّتي عگبك بني أميّه ولتني

فجیعة أم البنین^(١)

آنه أم البنین او دهري ذنبي حقي لو صحت یحسین یبني
فقد الأربعة ایهون وحسین السباني

* * *

فقد الأربعة ما هدم بيتي لو بحسین ملزومه ثنيتي
واشلون اصبر اشلون وحسین السباني

* * *

فقد الأربعة نشف ادموعي واعله حسین متکسره اضلوعي
أوصدر حسین مسحون وحسین السباني

* * *

أو عن الأربعة لا تنشدوني أو بیهم یا خلق لا تفجعوني
أو فازوا خل یفوزون وحسین السباني

* * *

بس یسلم حسین امن المنایة خل اتروح شباني ضحایة
أو عنهم لا تنشدون وحسین السباني

* * *

والحال الطفل ممرود حالي مسهر وآنه ساهرت اللیالي
أو ما تغمضلي اعیون وحسین السباني

(١) للشیخ کاظم منظور الكربلائی.



المجلس الثالث

أحفاد أم البنين عليها السلام

يا روضة الإيمان والأمجاد	سر بالمشاعر للحجاز ونادٍ
وبها بدا نور النبي الهادي	يا دوحةً نبت الهدى بربوعها
من عذب ذكر الآل والأسياذ	جنّناك يا خير البطاح لنتروي
فالقلب ناظره من الأشهاد	ونرى بعين القلب من سير الألى
أجيالنا عن رفعةٍ وجهادٍ	يا منبت الإسلام هيا أخبرني
وبذكرها السهل امتلا والوادي	أبدته بنت حزام فاطم من بها
أولاده وتذوب في الأولادِ	دخلت لدار المرتضى تحنو على
ما أدخلته عليه من إسعادٍ	أم البنين وحسبها من مفخرٍ
نعم الليوث لوقفة ونجادٍ	ومن الثمار نما لها بين الملا
وقدمت أولادها بعزيمة وسدادٍ	جادت بهم دون الحسين
تزل ترجو سلامة والد السجادِ	قتلوا جميعاً بالطفوف ولم
تسلين عنه أعولت بحدادٍ	حتى إذا قالوا لها قتل الذي

ولدي حسين فداك كل عشيرتي	وفداك نفسي يا حبيب فؤادي
ولدي قُتلت وليت قبلك مقتلي	يا مقرح الأجفان والأكباد
أحسين تذبح ظامياً في كربلا	والرأس منك يشال بالأعواد
ولدي بأي مسوِّغ يوم الجزا	ألقى البتول إذا أتت وتنادي
ولدي أما كانت لديك عشيرة	لتذب عنك وذاك للأعضاء
حتى أتتك بنو أمية مفرداً	وتواردوك بشفرة الأحقاد
سأقول أربعة فديت لأجله	وغمرته بمحبتني وودادي
لكنما شاء الإله لآله	شرف الخلود ينال باستشهاد ^(١)

أم البنين اتنوح والعبرة جرية
 اعلى اللّي جرى بحسين بارض الغاضرية
 ليل او نهار اتنوح لمصيبة العطشان
 تبكي وتلطم والدمع بالخد غدران
 وتذكر مصايب كربلا وتزيد لحزان
 وتعزّي فيه المرتضى وخير البرية
 تبكي وتواسي زينب والبنات الهاشمية
 وتعزي الزهره البتولة ابها الرزية

(١) القصيدة للخطيب البارع المرحوم الشيخ هادي المفاجي الكربلائي رحمه الله.

ولارض البقيع اتروح واتخط ليها
وتنعي غريب الغاضريه وتنعي لبدورالبهية
واتقول أنا وعزوتي فدوة يمرور
يا ليت راحوا عزوتي أو رديت لي
واتقول للنسوة اسمعوني يا مسلمين
بالله عليكم لا تسمّوني أم لبنين
أو تذكروني ابها الاسم بليوث لعرين
كلهم فرد ساعة على الرمضى رمية
أو تذكر العباس البطل حامي الحمية
أو تقول قالوا يا حبيبي والشفية
طببت نهر العلقمي وما اشربت ميه
تواسي اخوك احسين والحواري
او تذكر أبو فاضل وفعله بالاعادي
أو تقول جاب الماي لطفالي واولادي
لولا القضا ما قطعوا منه الايادي
ولا ركبوا زينب على الناقه سبيه
أو جازت الزهره ام البنين اعلى فعلها
بيوم القيامه اتطالب الزهره ابطلها

وأول شكايه تشتكي لله ابطلبها
ياخذ بحقها للبطل راعي الحميه
أو منديل تخرج فاطمه الزهره الزجيه
أو تكشف اجفوف البطل عباس
أو تقول يا رب السما ورب البريه
تأخذ ابحتي ابها المصيه والرزية^(١)

* * *

(١) للشاعر إبراهيم عبد الله الدبوس.

سئل معاوية بن عمار من الإمام الصادق عليه السلام : كيف قسمت فذك بعد ما رجعت إليكم ؟

فقال عليه السلام : لولد العباس عليه السلام ربع والباقي لنا ^(١).

أحفاد أم البنين والعلم والأدب والشجاعة والإمارة

لقد ازدان التاريخ بعدد كبير من أحفاد أم البنين من ولدها العباس عليه السلام ، فقد جاء في كتب التاريخ والأنساب أنه خلف من الأبناء عبيد الله والفضل والحسن ومحمد والقاسم وبتناً واحدة ^(٢) ، وعقبه الباقي إلى اليوم من ولده عبيد الله المشهور ، وبعضهم يقول من ابنه الحسن كابن قتيبة .

ومن ذلك اعتبارهم بمنزلة فاطمة الزهراء عليها السلام ، فعن معاوية بن عمار قال : قلت للصادق عليه السلام : كيف قسمت فذك بعد ما رجعت إليكم قال : لولد العباس عليه السلام ربع والباقي لنا ^(٣).

وأختصر في ذلك على بعض أحفادها عليهم السلام بعد حديثي السابق عن أولادها الأربعة عليهم السلام وكون ولدها العباس أبا هؤلاء الأحفاد شخصية جمع العلم والأدب والشجاعة والفروسية فهذا أشهر من أن يعرف .

(١) كتاب العباس عليه السلام (للمعزم) : ٨١ .

(٢) كتاب زينب الكبرى (للقدي) : ١٢ .

(٣) كتاب العباس عليه السلام (للمعزم) : ٨١ .

كذلك كونه وزيراً للحسين الإمام الشرعي . وحاملاً للوائه الأعظم وأميراً على عسكره وما إلى ذلك .

لقد كان الحفيد الأول لأم البنين عليه السلام عبيد الله بن العباس عليه السلام ويلقب بالرئيس . وقد خلف عدداً من الأولاد كان منهم ولده الحسن أكثر أعقاباً . ومن أعقابه الأشراف . ويقصد بهذا التعبير الرؤساء - ومنهم الأمراء وأهل الصيت الذائع وهم منتشرون في العراق واليمن والهند وطبرستان ، والشام ومصر - وغيرها ^(١) .

ومع أن عبيد الله بن العباس أكبر اخوته سناً . فقد تلا تلك الشهرة أنه كان أبوه العباس عليه السلام يكنى بولده الفضل الذي هو دون عبيد الله في السن . فلعل ذلك يرجع إلى ملابسة فضيلة العباس وفضله بالاسم المذكور فكنى بـ (أبي الفضل) ؛ فللملابسات دورها في الكنى . ومن ذلك مثلاً كنية الحسين عليه السلام بولده عبد الله الرضيع مع وجود غيره من الكبار . ولعبيد الله بن العباس حفيد من ولده الحسن اسمه عبيد الله أيضاً ويعرف بـ (الأمير) ، ذلك لأنه تولى على إمارة الحرمين مكة والمدينة في بداية العصر العباسي ، فقد جاء في تاريخ الطبرسي أن الرشيد ولّاه بعد ولاية صالح بن الرشيد ^(٢) .

(١) بطل الملقبى : ٣ / ٤٣٥ .

(٢) نفس المصدر .

ولعبيد الله الثاني هذا ولد اسمه الحمزة كان عالماً أديباً فصيحاً شاعراً شجاعاً. وكان يشبه جدّه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام. قال الداوودي في العمدّة: زاده المأمون مائة ألف درهم في العطاء لذلك الشبه ^(١).

وللحسن بن عبيد الله بن العباس عليه السلام ولد اسمه العباس أيضاً. وللعباس الثاني هذا ولد اسمه عبد الله، ويعرف بالخطيب وكان هو وأولاده من الأعيان البارزين، وكان شاعراً مجيداً ^(٢). وله ولد اسمه القاسم كان فقيهاً محدثاً ذا وجاهة كبيرة، وكان قاضي الحرمين مكة والمدينة. كما كان من أصحاب الإمام الحسن العسكري عليه السلام ^(٣).

وللحمزة بن عبيد الله الثاني ولد اسمه محمد، عرف بالشهيد لأنه قتل غيلة ظلماً وعدواناً أيام القرامطة. وكان عالماً سخيّاً شجاعاً فصيحاً جمع من الفضائل ما قلّ أن يجمع في غيره. كما أنّه كان من رجال الأعمال والعقار والضياع ثرياً محسناً وجيهاً محبوباً... الخ مع أنّه كان في غربة عن وطنه المدينة فقد كان في طبرية بالأردن وبها قتل مأسوفاً عليه. وعقبه يعرفون بـ(بنّي الشهيد) ^(٤).

(١) العمدّة: ؟؟؟ / ٣٢٥ و ٣ / ٣٣٦.

(٢) راجع كتاب العمدّة لابن بطريق.

(٣) راجع كتاب المناقب للسرور.

(٤) كتاب بحر الأنساب (للمعدي) : ٦٦.

كما ولعبيد الله الأول بن العباس عليه السلام من ولده الحسن حفيد اسمه الحمزة أيضاً. والحمزة هذا جد والد الحمزة الغربي المكنى بأبي يعلى بن علي بن الحمزة بن الحسن بي عبید الله بن العباس عليه السلام وهو ثقة جليل القدر^(١) وهو مؤلف عارف نبيل ومن مشايخ الإجازة ورواة الحديث فضلاً عما قاله عنه المؤرخون والنسابون وعلماء علم الرجال. فمثلاً جاء في رجال النجاشي قوله بعد ذكر نسبه الشريف المذكور أنه ثقة جليل القدر من أصحابنا - يقصد الإمامية - كثير الحديث. له كتاب: من روى عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام من الرجال وهو كتاب حسن. وهو ما يسمى في اصطلاح عصرنا الحديث بـ (البيلوغرافيا).

وله كتاب التوحيد وكتاب الزيارات والمناسك. وكتاب الرد على محمد بن جعفر الأسدي^(٢).

وقبره في الحلة قرب القرية المزيديّة. ولصاحب كتاب مشاهد العترة الطاهرة السيّد كمونة عليه السلام تحقيق عن قبره في الموضع المشار إليه^(٣). وللحمزة الغربي هذا كرامات باهرة حياً وميتاً. ولذلك ترى قبره الواقع في القرية المذكورة بين قبائل آل سلطان حافلاً بالزائرين يقصده

(١) راجع كتاب تحفة العالم للسيّد بحر العلوم.

(٢) الكتاب المذكور: ٢ / ٣٤.

(٣) رجال النجاشي: ١٠١.

ذوو الحاجات للتوسل إلى الله بمقامه عنده. عملاً بقوله تعالى ﴿ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾ في أحد جوانب معانيه، كما هو معلوم، فتقضى حوائجهم وتحل ببركة قداسته مشاكلهم.

هذه نماذج من أحفاد أم البنين ممن احتلوا المراكز العليا في مختلف الميادين.

ندبتها للحسين عليه السلام يوم عاشوراء في المدينة

إذ كان أول ناع نعى الحسين وأوصل الخبر إلى المدينة في نفس الساعة التي قتل فيها الحسين عليه السلام هو جده رسول الله صلى الله عليه وآله، وندبة السيدة أم البنين ونوحها على الحسين عليه السلام في ذلك اليوم يتجلى فيما رواه الشيخ الطوسي في الأمالي بسنده عن عمرو بن ثابت عن أبيه المقدم، عن ابن جبير، عن ابن عباس، قال: بينا أنا راقد في منزلي إذ سمعت صراخاً عالياً من بيت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله فخرجت يتوجه بي قائدي إلى منزلها، وأقبل أهل المدينة إليها الرجال والنساء فقلت: يا أم المؤمنين، ما لك تصرخين وتغوئين؟ فلم تجبني.

وأقبلت على النسوة الهاشميات وقالت: يا بنات عبد المطلب أسعدنني وابكين معي، فقد قُتل والله سيدكن وسيد شباب أهل الجنة. قد والله قُتل سبط رسول الله وريحانته الحسين عليه السلام.

فقلت: يا أم المؤمنين، ومن أين علمت ذلك؟

قالت: رأيت رسول الله ﷺ في المنام الساعة مشعثاً، مغبراً مذعوراً، باكياً، فسألت عن شأنه فقال: قُتل ابني الحسين وأهل بيته^(١)!!
«وكان ﷺ قد أعطاه شيئاً من تربة كربلاء جاء بها الأمين جبرئيل وقال: يا أم سلمة خذي هذه التربة وضعيها في قارورة وتعهدي أمرها فإذا رأيته قد انقلبت دماً عبيطاً فاعلمي أن ولدي الحسين قُتل، وقد فعلت أم سلمة ذلك وصارت تتعاهد تلك التربة حتى كان يوم العاشر من شهر محرم الحرام بعد الظهر بقليل، وكانت نائمة فرأت رسول الله ﷺ قد أقبل إليها مشعثاً مغبراً باكياً، حاسر الرأس، حافي القدمين، يلطم بيديه وجهه ورأسه فقالت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله. ما أصابك؟ قال: يا أم سلمة، أنا نائمة أنت وقد قُتل ولدي الحسين وحُزَّ رأسه، فجلست أم سلمة من نومها فزعة وأسرعت إلى القارورة وإذا هي تفور دماً عبيطاً»^(٢).

فأخذت أم سلمة من ذلك الدم فلطخت به وجهها وأخذت تصيح وا حسيناه، فتجيبها أم البنين بحرقة وأنين، يا ريحانة قلب البتول ويا قرة عين الرسول... فترتج المدينة بالبكاء، فكانت أول صرخة يدمى معها الفؤاد من بعد زينب، وأصبح ذلك اليوم مأتماً ومناحة على الحسين ﷺ

(١) أمالي الشيخ الطوسي : ١ / ٣٢٢، تاريخ البقوي : ٢ / ٢٤٥.

(٢) مقتل الحسين لأبي مخنف.

فجاءت الركبان بخبره، وأنه قتل في ذلك اليوم^(١).
 فالسيدة أم البنين لم تر الرؤيا بل سمعت ذلك من أم سلمة وليس من
 رأى كمن سمع. ومع ذلك تولّت أم البنين الندبة والنياحة وصارت تردد
 بحرقة وأنين: «يا ريحانة قلب البتول، ويا قرة عين الرسول».

فكانت السيدة (أم سلمة) أم المؤمنين والسيدة (أم البنين) تعولان
 وتبكيان دماً ونساء بني هاشم يساعدهما بالعويل والبكاء، ولم يمض
 شهر واحد من شهادة سيد الشهداء حتى ماتت السيدة أم سلمة حزناً
 وكمداً عليه، وأما أم البنين التي عرفت الحسين (عليه السلام) عن قرب، وفدته
 بأغلى ما عندها، هل تقدر الآن أن تنسى مصيبيته؟ وهل يمكن للأيام
 أن تنسيها رزيته؟ بالطبع لا.

فلقد كانت تقف على قارعة الطريق المؤدية إلى كربلاء فتسأل
 المسافرين والركبان القادمين من كربلاء. تسألهم عن تفاصيل الرزية،
 فهي إلى الآن ومع شدة بكائها على الحسين (عليه السلام) بعد لم تستطع استيعاب
 ما جرى، ولعل هول الرزية، وشدة العُلاقة بينها وبين الحسين (عليه السلام) جعلها
 كالتي لم تصدق ما سمعت، فهي لا تزال مذعورة، مذهولة، وحق لها
 ذلك فلقد أخذ الحسين بمجامع فؤادها فهي أمٌ وليست كأي أم، وهي
 تاكل وليست كأي تاكل.

وبقيت هكذا تحيي الليل والنهار بالبكاء والنحيب على ريحانة رسول الله ﷺ الحسين ﷺ إلى أن عاد السبايا من أسر الذل إلى المدينة واستخبرت الحقيقة فاستعرت نيران قلبها، وتضاعفت أحزانها، وبقيت مديمة لنوحها وبكائها وندبتها على من اسكنته قلبها، صاحب الشيب الخضيب والبدن السليب، والثغر المقروع بالقضيب، الإمام الغريب ذاك الذي هُتكت حرمة، وذبح في حجره فطيمه، ورُفع على رأس الرمح كريمه، المقطوع الوتين أبو عبد الله الحسين ﷺ.

إيثارها الوحدة والوحشة ذوداً عن الحسين ﷺ

ويتجلى هذا الموقف في إرسالها أولادها الأربعة مع أخيهما الحسين ﷺ ووصيتها لهم بالذود عن أخيهما، وتذكيرها لهم بما كان أمير المؤمنين ﷺ يقول لولده محمد بن الحنفية: بأنك ابن علي، أما الحسن والحسين فهما ابنا رسول الله ﷺ، فاعرف قدرهما. فكانت تقول لأولادها احفظوا قدر أخيكم واذكروا قول أبيكم، واجعلوا الحسين منكم مكان الرأس من الجسد ومكان العينين من الرأس فكانت وحشتها لفراق الحسين ووداعه ساعة خروجه من المدينة أشد من وحشتها ووداعها لأولادها الأربعة بما فيهم قمر العشيرة أبو الفضل العباس، وقد عزَّ عليها خروج الحسين في ليلة ظلماء ممطرة شديدة البرودة.

لم يدر أين يريح بُدن ركابه فكأنما المأوى عليه محرم^(١)



فلم تتعلق الأم الحنون بفلذات أكبادها، ولم تظهر جزءاً من فراقها لهم بل كان كل جزءها ونوحها وحسرتها على الحسين (عليه السلام).

فكانت حتى آخر لحظة توصي أولادها بالذب عن أخيهما الحسين حتى النفس الأخير من حياتهم ولم تستطع هذه الأم البطلة أن ترافقهم إلى كربلاء وأما عن سبب ذلك؟ فقد ذكر بعضهم أنها كانت مريضة، ومشغولة برعاية أولاد ابنها العباس (عليه السلام) إضافة إلى كبر سنها^(٢) فودعت أولادها بالآمال والأحزان، وقد علقت كل الآمال على تاج رأسها وبكر أولادها، وبغية بعلمها منها، قمر العشيرة أبي الفضل العباس في أن يتولى قيادة أولادها، وتحفيزهم ودفعهم إذا ما تغيرت الأحوال لترفع رأسها بين يدي سيدة النساء فاطمة الزهراء (عليها السلام). وقد حصل كل ذلك، فها هو التاريخ يحدثنا عن بطولاتهم يوم الطف كيف كانوا يقذفون بأنفسهم وسط الهول، وأخوهم العباس يهتف فيهم قائلاً: تقدموا حتى أراكم قد نصحتهم لله ولرسوله فيتقدمون إلى قلب الجيش المسعور بسيفه العاوية

(١) من قصيدة للسيد جعفر الحلي مظلماً:

وجه الصباح عليّ ليل مظلم وريبع أيامي عليّ محرم

(٢) أم البنين للإمام الشيرازي.

ورماحه الباغية وكلما لمحوا خطراً يقترب من أخيهام الحسين ﷺ تلقوه بأجسادهم حتى سقطوا جميعاً صرعى^(١).

فأكرم به من موقف، وأنى للزمان أن وجود لنا بمثل هذه المرأة الكريمة، صانعة المواقف العظيمة منجبة الأبطال والليوث إذا اشتد النزال؟

إيثارها الحسين ﷺ على أولادها وسؤالها عنه

ويتجلى هذا الموقف حينما عاد السبايا من أسر الذل إلى المدينة. قال الراوي: ثم انفصلوا من كربلاء طالبين المدينة، قال بشير بن حزم، فلما قربنا منها نزل علي بن الحسين ﷺ فحط رحله، وضرب فسطاطه، وأنزل نساءه، وقال: يا بشير رحم الله أباك، لقد كان شاعراً. ألا تقدر على شيء منه، قال: قلت: بلى يا بن رسول الله. قال ﷺ: أدخل المدينة وأنع أبا عبد الله الحسين ﷺ.

قال بشير بن حزم: فركبت فرسي وركضت حتى دخلت المدينة فلما بلغت مسجد النبي ﷺ رفعت صوتي بالبكاء وأنشأت أقول:

يا أهل يثرب لا مقام لكم بها قُتل الحسين فأدمعي مدرارُ
الجسم منه بكربلاء مُضَرَّجُ والرأس منه على القناة يدارُ



(١) راجع بطل الملقمى: ١٢٥، وأم البنين سيدة نساء العرب: ٦٣.

فما بقيت في المدينة مخدّرة ولا محجّبة إلّا برزّ من خدورهن،
يدعين بالويل والثبور، فلم أرَ باكياً وباكياً أكثر من ذلك اليوم، ولا يوماً
أمّر على المسلمين منه^(١)، فكان كأنه اليوم الذي مضى فيه رسول
الله صلى الله عليه وآله فأقبلت نحوي جارية تتوح على الحسين عليه السلام وهي تقول: أيها
الناعي جددت حزننا على أبي عبد الله، وخدشت منا قروحاً لم
تندمل، فمن أنت رحمك الله فقلت: أنا بشير بن حزم، وجهني مولاي
علي بن الحسين عليه السلام وهو نازل بمكان كذا مع عيال أبي عبد الله
الحسين عليه السلام وبناته، وخرجت أم لقمان^(٢) بنت عقيل بن أبي طالب حين
سمعت نعي الحسين ومعها أخواتها أم هاني وأسماء ورملة وزينب
بنات عقيل تبكي قتلاها بالطف وتقول:

ماذا تقولون إن قال النبي لكم	ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم
بعترتي وبأهلي بعد مفتقدي	منهم أسارى ومنهم ضُرّجوا بدم
ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم	أن تخلّفوني بسوء في ذوي رحمي ^(٣)



(١) حياة الإمام الحسين : ٢ / ٤٢٣.

(٢) واسمها : زينب.

(٣) أعيان الشيعة : ١ / ٦٢٢، كشف الغمة : ٢ / ٦٨.

استقبالها الحوراء زينب بصرخة (وا ولداه وا حسيناها)

يحدثنا التاريخ أنه بعد أن نعى بشير بن حزم الحسين وخروج الناس بين باك وبكية، وناع وناعية، واستباقهم إلى الموضع الذي حط فيه الإمام زين العابدين (عليه السلام) رحله وخطبته في ذلك الجمع من الناس وقوله (عليه السلام) في ضمن ما قال: «إن الله وله الحمد ابتلانا بمصائب جليلة، وثلمة في الإسلام عظيمة، قُتل أبو عبد الله وعترته، وسُبي نساؤه وصبيته، وداروا برأسه في البلدان، من فوق عامل السنان، وهذه الرزية لا مثلها رزية.

أيها الناس فأَي رجالات منكم يسرون بعد قتله، أم أَيّ فؤاد لا يحزن من أجله، أم أَيّ فؤاد لا يحزن من أجله، أم أَيّ عين تحبس دمعها، وتضنّ عن انهما لها؟!

أيها الناس: أي قلب لا ينصدع لقتله؟ أم أَيّ فؤاد لا يحنّ إليه، أم أَيّ سمع يسمع هذه الثلمة التي ثلمت في الإسلام ولا يُصمّ؟

أيها الناس: أصبحنا مطرودين مشردين مذودين شاسعين عن الأمصار، من غير جرم اجترمانه، ولا مكروه ارتكبناه، ولا ثلمة في الإسلام ثلمناها، ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين، إن هذا إلا اختلاق، والله لو أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تقدم إليهم في قتالنا كما تقدم إليهم في الوصاية بنا لما زادوا على ما فعلوا بنا فإننا لله وإننا لله وإننا إليه راجعون، من

مصيبة ما أعظمها وأوجعها، وأفجعها وأكظها وأفظعها وأمرها، وأفدحها فعند الله نحتسب فيما أصابنا، وما بلغ منا. إنه عزيز ذو انتقام»^(١).
بعد ذلك دخل (عليها السلام) المدينة فرآها موحشة باكية ووجد ديار أهلها خالية تنعى أهلها وتندب سكانها^(٢).

وحين وصلت الحوراء زينب (عليها السلام) دار أخيها الحسين لا تكاد تحملها رجلاها كانت شريكها في المصيبة السيّدة أم البنين صرختها التي خلدها التاريخ قائلة: (وا ولداه وا حسينا) وعانقت كل منهما الأخرى فضجت الدار ومن فيها بالبكاء والعويل.

فيالها من صرخة ستظل باقية خالدة مدى الأيام والعصور. إنها لم تقل: (وا ولداه وا عباساه) فلم تندب ولدها الذي ذابت في حاله أو أحداً من إخوته، بل ندبت حسيناً فيا له من موقف لا ينسى، وهكذا يصل الولاء الصادق بأهله.

وبعد أن كففت أم البنين دموعها تأملت في وجه الحوراء زينب واختنقت بعبرتها ثم قالت: سيدتي يا زينب! أراك وقد ضَعُفَ بدنك وأصفرَ وجهك، وأسرع الشيب إلى رأسك؟ فأمسكت الحوراء زينب عن الكلام قليلاً ثم قالت: والكلمات تنقطع في حلقتها:
«لا تلوميني فلقد شيبتني المصائب».

(١) الأعيان: ١ / ٦١٨.

(٢) المصدر السابق.

هذه دارهم تهيج شجوني	كيف حبس الدموع بين الجفون ؟!
ودعوني وأودعوا السهم قلبي	ليتني ما بقيت مُذَّ ودَّعوني !
أيها اللائمون كُفُّوا ولكن	بمصائب ابن فاطم ذكروني
تلك ذكرى بها تهون الرزايا	وهي من أمهات ريب المنون
تركت زينباً تنادي حسيناً	يا بَنَ أُمِّي ووالدي رَوَّعوني
غَيَّرَني مصائب الطف حتى	أَنْ مَنْ يَعْرِفوني لم يَعْرِفوني



تأكدتها من وفاء أولادها

من المواقف السامية التي ازدانت بها حياة السيدة أم البنين، أنها وبعد أن عاد السبايا إلى المدينة جاءت إلى الحوراء زينب عليها السلام تقسم عليها بأغلظ الأيمان لتخبرها عما فعل أولادها يوم عاشوراء خصوصاً سيدهم وكبيرهم قمر بني هاشم العباس بن أمير المؤمنين عليه السلام، وهل كانوا عند حسن ظن أمهم وأبيهم فيهم؟ وهل وفوا لإمامهم وسيدهم سيد شباب أهل الجنة، ولم ييخلوا عليه بشيء؟ وهل أدوا حق النصره كما ينبغي؟ ورحت تكرر السؤال على الحوراء زينب عليها السلام كل ذلك بغية التأكد من وفاء أولادها لإمامهم ونصرته والذود عنه، وما أعجبه من موقف!

إنها بدل أن تسأل عن جراحات أولادها أو مصارعهم، كيف سقطوا ومن قتلهم ومن حز رؤوسهم ومن مثل بهم وأية خيل رضت أجسادهم

إلى غير ذلك من الأسئلة التي تكشف مدى تعلقها بأولادها وحزنها لفراقهم، بدل كل ذلك تسأل عن وفائهم للحسين عليه السلام وعن ذودهم عنه، ومواساتهم له، مما يكشف عن عظيم إيمان ومسو معرفة، تميزت بهما هذه السيّدة الصابرة.

وجاءها الجواب من الصديقة زينب عليها السلام مبرداً لغليلها، ومنوناً لنحيبها، ذلك الجواب الذي هللت لسماعه، وشكرت الله تعالى لتحقيقه، فلقد بينت لها أنهم لم يكتفوا بالذود عن الحسين والقتال بين يديه والمواساة له بس سطروا أروع البطولات، وواسوا أخاهم وإمامهم الحسين حق المواساة خصوصاً بطل العلقمي وساقى العطاشى الذي تعجبت من بطولاته وصولاته ومواساته ملائكة السماء.

فلقد خاض الماء بجواده وملاً القرية ماءً وأحس ببرودة الماء ولم يذق من الماء قطرة واحدة مع شدة ظمئه وعطشه كل ذلك مواساة منه لأخيه الحسين عليه السلام الذي لم يشبهه أحد وقتئذ في ظمئه.

فاطمني يا أم البنين وتخطي عرصات القيامة رافعة الرأس، مبيضة الوجه، فالزهراء بانتظارك، وفيت لها فلا بد أن تفي لك، فطوبى لك ولأبنائك ومحبيك.

ومن المواقف التي لا تنسى، بل لا يصلح أن تنسى لأم البنين عليها السلام إعلانها لمظلومية الحسين عليه السلام وذلك عبر إقامتها لمجالس الغزاء، وطول بكائها عليه.

فقد ذكر المؤرخون أنها كانت تحمل حفيدها عبيد الله بن العباس وتخرج إلى البقيع كل يوم وتقيم النياحة على أولادها وتندبهم أشجى ندبة، وخروجها إلى البقيع حيث اجتماع الناس، من ناحية، وقربها من القبور مما يجعل النفوس المستمعة لندبتها أكثر تأثراً مما لو ناحت في مكان آخر من ناحية أخرى، كما أن نياحتها على أولادها لا تعني أنها نسيت الحسين عليه السلام بل إن الحسين عليه السلام بالنسبة لها هو سيد أولادها والنوح كل النوح عليه ومن أجله. نعم. لا يمكن أن نهْمَش مصيبتها في ولدها العباس قمر العشيرة وأخوته، فهي الأخرى مصيبة عظيمة، ورزية فادحة.

ولهذا نراها في بعض الأحيان رغم قوة إيمانها وصلابتها، وتضحيتها، ووعيتها وإدراكها ورضاها بما قسمه الله لها نراها تستسلم للعاطفة فتخنقها العبرة على ولدها العباس وإخوته، فيفيض قلبها حزناً وتقول:

يا من رأى العباس	كرّ على جماهير النّقد
ووراه من أبناء حَيّ	دَرَ كل ليثٍ ذي لبـد
أنبت أن ابني أصيب	برأسه مقطوع يد
ويلي على شبلي أما	لَ برأسه ضرب العمد
لو كان سيفك في يَدَيّ	لك لما دنا منه أحد



إنها تندب أولادها الأربعة وتتقطع ألماً عند تذكر أيامهم وذكرياتهم الجميلة. ولكن سرعان ما يشتد نحيبها ويعلو بكاءها على سيد أولادها،

وإمامها، ومخدومها: الحسين (عليه السلام) فلا تقدر على أن تملك عبرتها عند تذكر أيامه، وتتصور مصيبته، وتهشيم أضلاعه وحمله (بدل الكفن) في قطعة من البواري، فتهون عندئذ محنتها في أولادها الأربعة وتجثو مصيبة الحسين (عليه السلام) وحدها على صدرها، وتأخذ بمجامع فؤادها، فلا تبصر إلا الحسين، ولا ترى إلا الحسين، ولا تحس إلا بالحسين، ولا تتذكر إلا مصيبة الحسين ولا تردد إلا قول: يا حسين يا حسين يا حسين.

وهي إنما تقوم بذلك لتشتعل نار العداوة ضد بني أمية، فكانت هي والحوراء زينب (عليها السلام) قد أخذتا على أنفسهما إكمال رسالة الحسين (عليه السلام) ونشر مظلوميته في ربوع الدنيا، فعليك مني سلام الله يا سلالة الأطياب، وإلى موقفك هذا فلتنحني الرقاب، كلُّ الرقاب.

بالإضافة إلى ذلك هنالك مقدمات استيضاحية يمكن الإشارة من خلالها إلى الحجم الحقيقي للمصيبة التي بقيت تستجر الدموع والعبرات من مآقي ومن مشاعر صاحبة الحس المرهف سيدتنا (أم البنين)، إذ لا بد من الدخول إلى أجواء الفاجعة من مدخل الخصوصيات التي توسمت بها، والظروف التي عاشتها قبل الواقعة، الأمر الذي يلزمنا كشفه من السيرة الموروثة لهذه المؤمنة الصالحة مع زوجها أمير المؤمنين (عليه السلام) ومع أهل البيت (عليهم السلام) بصورة عامة.

يقول العلامة الشيخ عبد الحميد المهاجر: «فأم البنين استضاءت بنور العلم الذي استضاءت به من الإمام علي، وأخذت منه الأدب

والأريحية والوفاء، هذا بالإضافة إلى أصالتها وعمق إيمانها وأخلاقيها، وناهيك بمن تكون زوجة لبطل الإسلام الخالد كيف لا تتأثر به، وتلتصق بروحه وأخلاقه ومبادئه.

ولذلك يوم رجع الناعي ينعي الحسين إلى المدينة كانت أم البنين في طبيعة المستقبلين لبشر بن حزم وكانت تحمل على كتفها طفلاً صغيراً ولولدها أبي الفضل العباس كان قد تركه عندها لأسباب وظروف اقتضت ذلك»^(١). وذكر مؤرخو السيرة الحسينية، بأن أم البنين كانت في طبيعة الذين خرجوا لاستقبال الناعي وهو ينادي صارخاً:

يا أهل يثرب لا مقام لكم بها قُتل الحسين فادمعي مدرأى
الجسم منه بكرىلاء مُضْرَجُ والرأس منه على القنأة يدأى



وَلَخَّصَ هذه الحالة السيّد سلمان هادي آل طعمة قائلاً:
«ولما وقع بصرها على الناعي لم تسأله عن العباس، ولا عن أي واحد من أبنائها الذين قُتلوا مع أخيهام الحسين، وإنما سألته عن الحسين، هل هو حيّ أم لا؟
وعَلَّتْ الدهشة وجه بشر بن حزم عندما عرف أنّ هذه المرأة هي فاطمة بنت حزام العامرية، وهي أم البنين بالذات، كيف لا تسأله عن أولادها؟

(١) العباس بن علي بطل الحق والحريّة للشيخ عبد الحميد المهاجر.

وظنَّها لوقع الصدمة حيث ذهلت عن أبنائها، فراح يعددهم واحداً
بعد الآخر، وفي كل واحد منهم كان يعزيها يقول لها:
عظم الله لك الأجر بولدك جعفر.

فتقول: وهل سمعتني أسألك عن جعفر؟ أخبرني عن ولدي الحسين،
إني أسألك عن الحسين.

ولم يلتفت بشر إلى هذا الموقف وراح يخبرها ببقية أولادها إلى أن
وصل إلى العباس، فما كاد يخبرها بقوله: يا أم البنين عظم الله لك
الأجر بولدك أبي الفضل العباس، حتى نظر إليها وقد اعتراها اضطراب
شديد في تلك اللحظة التي سمعت فيها نبأ مصرع أبي الفضل العباس،
حيث اهتز بدنّها حتى سقط الطفل الصغير الذي كانت تحمله على
كتفها^(١).

قصيدة ملا عطية بن علي بن عبد الرسول البحراني الجمري

بالله استعدي للبواجي يم البنين
ردوا يتاما وانذبح عباس واحسين
يم البنين انذبحوا كلهم على القاع
واحسين ظل مجرد أو مكسور لظلال

(١) أم البنين (للسيد سلمان آل طعمة): ٢٠.

ومخدرة حيدر علي فرت بلا اقناع
 وبه الحرم والنار تسعر بالصياوين
 يم البنين الأربعة انذبخوا ظمايا
 اوظلوا ثلثت أيام بالغبرا عرايا
 اوليتك نظرتي اعلى النهر صاحب الرايه
 مفضوح راسه امقطعه اشماله وليمين
 يم البنين الاربعه محد دفنهم
 دمهم غسلهم والترب صاير كفنهم
 وامن الصبح زينب مشت للشام عنهم
 فوق الهزل مرت اوشافتهم مطاعين
 يم البنين الأربعة تشهدلج الناس
 ما صار بليوث الحرايب مثل عباس
 خلا الأرض روس أوجثت وامطهمه داس
 روس الاعادي أو غلق الميدان صوبين
 صاحت اولادي أو كل من بالعالم ايروح
 أو بالبيت بعد احسين ما تبقى لنا روح
 يا بشر بالله لا تقول احسين مذبوح
 ماشوف بالدنيا عوض عندي عن احسين
 عباس واخوانه عليهم ذاب الفؤاد
 اعزاز عندي أو حزنهم بالقلب وقاد

واحسين فت قلبي أو نسيت افراق لولاد
 فدوه لبواسكنه اولادي يا مسلمين
 يا ليت عندي امن الولد سبعين مولود
 بالمرجله كلها مثل عباس واتزود
 تنذبح وابن المصطفى لدياره ايعود
 سالم ولا تنظام زينب والخواتين^(١)

* * *

من أعظم الساعات التي مرت على زينب عليها السلام حتى كادت أن تموت
 في تلك الساعة: ساعة رجوعها إلى المدينة، ولقائها بأم البنين عليها السلام^(٢):
 أم البنين استقبلت زينب اتنادي
 قولي يزينب وين خليتي اولادي
 ايقولون ظل عباس مقطوع الأيادي
 والسهم صاب اعوينته والعمد بالراس
 والجسد ضل فوق النهر بالخيلىنداس
 واضيعة احوالي عقب عباس واحسين
 يم البنين الدهر برجالي رماني
 راحت اولادي ابكربلا او راحت ايامي

(١) جمرات الوديعه : ٩٥ / ١.

(٢) الشيخ عبد الحميد الشيخ منصور المرون.

يا ليت موتي من قبل عينك تراني
أو اعظم الله اجر ج اعباس واحسين

* * *

لطمية عتاب

عليج أم البنين أعتب	ويه حسين ما جيتي
مو أنتي ابدال أمه	ليش وجنح انسيتي
چان ايصيحلج يمه	ويكلج يا ضوه بيتي
لو شفتي حزن عنده	حزنتي ابداله وبجيتي
وانتي شكتر يم عباس	للمظلوم داريتي
أم وتعوف ابنها اشلون	أشلون أقبلتي ورضيتي
ظل ابكريله وحده	وانتي ابعيد ظلكيتي
چا جيتي مسحتي الدم	چا لجروحه داويتي
وعن حر الشمس لحسين	أبعباتج جان فييتي
وچان وياج جبتي الماي	للعطشان رويتي
ودفعتي الخيل عن صدره	وكعدتي وياه وحجيتي
عندي سرأكلج بيه	لابد وصل ودريتي
بآخر نفس صاح حسين	يمه وما تعنيتي
بآخر نفس صاح حسين	يمه وليش ما جيتي ^(١)

(١) لشاعر أهل البيت عليه السلام جابر الشكرجي.

المجلس الرابع

حول أم البنين وما جرى من المصائب على أهل البيت عليهم السلام

أُمُّ عَلَى أَشْبَالَهَا أَرْبَعٌ جَاءَتْ لِبَشَرٍ وَبِهِ تَسْتَعِينُ
وَتَحْمِلُ الطِّفْلَ عَلَى كَتِفِهَا تَسْأَلُ عَنْهُمْ خَبَرَ الْقَادِمِينَ
مَلْهُوفَةٌ مِمَّا بِهَا مِنْ أَسَى تَرَى بِذَاكَ الْجَمْعَ شَيْئاً دَفِينُ
فَقَالَ يَا أُمُّ ارْجِعِي لِلْخَبَا وَابْكِي بَنِيكَ قُتِلُوا أَجْمَعِينَ
فَمَا انْثَنَتْ وَمَا بَكَتْ أُمُّهُمْ وَخَابَ مِنْهُ ظَنُّهُ بِالْيَقِينِ
كَأَنَّهَا الطُّوْدُ وَمَا زُلْزَلَتْ وَحَقُّ تُجْرِي لَهُمْ دَمْعُ عَيْنِ
فَقَالَ يَا أُمَّ الْبَنِينَ اعْلَمِي بِأَنَّ عَبَّاساً قَتِيلًا طَعِنَ
قَالَتْ طَعَنْتَ الْقَلْبَ مِنِّي فَقُلْ النَّفْسَ وَالْدُنْيَا وَكُلَّ الْبَنِينَ
نَمْضِي جَمِيعاً كُلُّنَا لِلْفِنَا نَكُونُ قَرَبَاناً فِدَىِّ الْحُسَيْنِ^(١)

* * *

أم البنين وزينب

لقتها أم البنين اتقوم وتطيح
وين ابدور غالب والمصايح
تقلها والدمع يجري امن العيون
هو ما بين المطبر أو مطعون
صاحت ارد انشدك يا ضوه العين
اخافن قصروا عن خدمة احسين
لا يمي تقلها اشتقولين
بذلوا كل جهدهم دون الحسين
شقلك عن أبو فاضل واخرج
مثل حملات حيدر حمل شبلج
طلبه الماي منه أو حمل واغضب
وهو امن العطش منه الجبد عطب
جزا حد الوفه أو غاية المجهود
حته انقطعت من عنده لزود

وين أهلك يزنب راحوا اتصح
أو وين احسين اليه المشيم
قضوا يم البنين ابخطة الكون
وبين البلعمد راسه تهشم
عن عباس وولادي الميامين
أو عند امه ابخل وجهي ايتوسم
ثلث تنعام من اخوتي الطيبين
أو وقفوا سور ما دون المخيم
واگر اعيونج ابفعله وابشرج
من هز رايته أو لاح المطهم
واخذ جوده اييمينه أو للنهر طب
أبد بالورد قبل احسين ما هم
ويه احسين راعي العلم والجود
أو ظهر احسين لفراقه تفصم^(١)



من كلام لأم البنين عليها السلام لما نعى بشرُ إليها أولادها الأربعة:
 «لقد قطعتَ نياطَ قلبي يا بشرُ، وأولادي ومَن اظَلَّت الخضراء كلهم
 فداء لأبي عبد الله الحسين عليه السلام»^(١).

إيمانها الراسخ في أهل البيت عليهم السلام

كانت أم البنين عليها السلام مؤمنة بالله ورسوله من موالي الأئمة المعصومين
 أولهم زوجها أمير المؤمنين عليه السلام ويستفاد من قوة إيمانها وتشيعها
 وولائها ما قالت لبشر بن حذلم «أنا وأولادي ومَن اظلت الخضراء
 كلهم فداء لأبي عبد الله الحسين عليه السلام».

فإن تعلقها بأهل البيت عليهم السلام ليس إلا لأمامتهم ومقامهم الرفيع عند الله
 تعالى حيث يهون على نفسها موت أولادها إن سَلَّمَ الإمام الحسين عليه السلام
 ولذلك قال السيد المقرّم: «وكانت من النساء الفاضلات العارفات بحق
 أهل البيت، مخلصه في ولائهم محضه في مودّتهم، ولها عندهم
 الجاه الوجيه والمحل الرفيع» وقد زارتها زينب الكبرى عليها السلام بعد وصولها
 المدينة، تغريها بأولادها الأربعة كما كانت تزورها أيام العيد^(٢).

وكانت أم البنين عليها السلام عالمة فاضلة لأنها من أهل بيت الفضل والكمال
 والبسالة وشجاعة وهي زوجة باب علم النبي الذي ينحدر عنه العلم

(١) تنقيح المقال (للماقي): ٧١٠٣.

(٢) العباس (للمقرّم): ٧٢.

سبلاً ولا تحصى فضائله عدداً، وهي مع ذلك كانت محشورة مع النساء الهاشميات المؤمنات، ومأنوسة مع أولاد زوجها البنين والبنات، فمن كل تلك الجوانب كانت تجني ثمار العلم.

وقال صاحب كنز المصائب: أنا العباس أخذ علماً جماً في أوائل عمره عن أبيه وأمه وأخوته^(١) وقد وصفها صاحب العمدة بالعالمية^(٢). ولذلك تحملت جميع المصائب التي مرت على زوجها أمير المؤمنين عليه السلام وعلى الحسن والحسين وأولادها، ولا بأس بالإشارة إلى جملة من تلك المصائب التي تحملها أم البنين في بيت أمير المؤمنين عليه السلام.

أم البنين عليه السلام ومصائب أمير المؤمنين عليه السلام

المكان، مساحة قليلة من أرض الكوفة في العراق. والزمان هو ليلة التاسع عشر من شهر رمضان المبارك سنة (٤٠) من العام الهجري، وأما الحديث الذي هدأ أركان السماء واهتزت به الأرض، فقد قام أمير المؤمنين عليه السلام لصلاة الليل، ونظر إلى السماء نظرة الراحلين إليها وقال: «إنا لله وإنا إليه راجعون». ثم أضاف لأهل الدار، وتسمعه ابنته السيدة زينب بكل وجودها وشعورها: «والله ما كذبت ولا كذبت وإنها الليلة التي وعدت بها».

(١) أم البنين (للسالكي): ٧٦ - ٧٧ عن معالي السبطين: ١ / ٦٣ عن كنز المصائب للعلامة

محمد حسن القزويني، الخصائص العباسية: ٧٤.

(٢) أدب الطف: ١ / ٧٣.

ولا أدري أين كانت زوجته أم البنين حين تمتم الإمام بهذه الكلمات ؟ هل كانت واقفة عنده تسمع كيف يقرأ زوجها على نفسه المطمئنة آية الوداع ؟ أم كانت جالسة على سجاداتها تتهجد لله في صلاة الليل وتدعو لزوجها بالخير والنجاح ؟

لا أدري . فالتاريخ عجز عن نقل الكثير من الوقائع والحقائق ، وهذا أحدها . ولكن الإمام علي عليه السلام قد أوصاها في ساعة من تلك الساعات الأخيرة : يا أم البنين إني أوصيك بولدي العباس ، أن يواسي أخاه الحسين ولا يتخلى عنه في أية ساعة عند احتدام المعسكرين . وتقدم الإمام علي عليه السلام نحو الباب وهو يترنم بهذه الآيات الشعرية ويخطو مودّعاً كل الأحبة :

أشدُّ حيازيمَكَ للموتِ فإنَّ الموتَ لاقيكَا
ولا تَجزغُ من الموتِ إذا حَلَّ بواديكَا
كما اضحكك الدهرُ كذاك الدهرُ يُبكيكَا



إنها ساعة ما أصعبها على أم البنين التي أنجبت لعلي أمير المؤمنين من بعد العباس شبّاناً ثلاثة (جعفر وعبدالله عبد الرحمن أو عثمان) فقد كانت حزينه لفراق زوجها العزيز الكريم الحنون المظلوم العابد المجاهد العالم الشجاع الوليَّ المقرب إلى الله ، وكيف لا تحزن وعليّ

كان أول المسلمين إسلاماً، وأقربهم إلى سيد المرسلين نفساً وإيثاراً، وأعلمهم بالقرين والدين المبين وضوحاً ويقيناً، وأكثرهم جهاداً في مقارعة المشركين والناكثين والمارقين والقاسطين جهاداً كبيراً.

ولقد حمل الإسلام في غربته وهجرته ودولته، وحمله في نكسته والفتن التي أحاطت بأمته، حملاً متألماً وحكيماً ومدبراً وصابراً.

عليّ هذا يودّع الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم وزوجاته عليهن السلام اللواتي وقفن إلى جانبه سنوات مظلوميته، وكانت لزوجته أم البنين عليها السلام مواقفها المتميزة في كل المراحل، وفي هذه المرحلة الأخيرة من سويغات الوداع أخذت تنظر إلى الإمام الحسن الزكي المجتبي عليه السلام مرة وهو الإمام القادم، وتلقي بنظرها على الإمام الحسين عليه السلام أخرى وهو الثائر القائم. وتمسح بيدها الدموع من خد السيدة زينب عليها السلام الفتاة التي تنتظر دور الأسيرة المنتصرة، وتمرر كفها على رأس أم كلثوم، وتمسح على رأس أطفالها وتلاحظ العباس كيف يوزع نظراته إلى الجميع من حوله وإلى الموقف الغريب.

وتسترجع أم البنين ذاكرتها لتقرأ الأيام التي قضتها مع أمير المؤمنين عليه السلام ثم تقفز بفكرها إلى المستقبل وثقل المسؤولية من بعد إمام المسلمين. ووقفت أم البنين وقفها المعهودة وقالت بكل صدق: « لك الحمد يا رب، أنت الذي أعطيتني، وأنت الذي أخذت، لا ... لا يكون لي إلا

الوفاء والاستقامة على خط الولاء ... لا أبداً أنا المرأة التي أراها علي عليه السلام أن تكون ثابتة القدم، صابرة على الألم ... طائعة لله في الطريق الأقوم.

لك المُلْك يا إلهي تفعل ما تشاء ولا يفعل ما يشاء غيرك. هذا علي وصيِّك وأبو الأوصياء يودّعني ويودّع الأولاد راحلاً إليك، وأنت خير حافظاً وأنت أرحم الراحمين».

خرج الإمام عليه السلام إلى المسجد لإقامة صلاة الصبح «أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ». وكانت أم البنين تصلي وقلبها مع الله إلّا دقائقه، المقسّمة بين الله وبين ولي الله الم رابط في محراب العروج إلى الله.

وعلي عليه السلام هناك يصلي وقلبه مع الله ودقات قلبه أيضاً مع الله دون شك في ذلك ولا ريب. لأنه على كامل الاستعداد وفي سلامة من دينه الذي عاش لأجله وصانه حتى الفوز الأخير إلى خير المصير.

الأمر هكذا وإذا بضربة السيف المسموم من يد اللعين ابن ملجم الخارجي (بل الأموي) تفتق رأسه الشريف، ويقع أمير المؤمنين عليه السلام في المحراب مفلوق الرأس والجبين، وتسيل الدماء على وجهه وصدره. وهو يطلق نداءه الخالد للبشرية «فُزْتُ وَرَبِّ الكعبة»؛ «فُزْتُ وَرَبِّ الكعبة» فوزتُ والله فوزت، فسوف لن أراكم أيها التعساء المتخاذلون ولن أراكم يا من ملئتم قلبي قيحاً، فلا أراني الله وجوهكم بعد هذا،

وسوف لن ترون أحسن مني أيها الجاهلون. فُزْتُ واللَّه، وقسماً برب الأرض والسماء، وقسماً بالكعبة بيت الشرفاء، قسماً بها يوم وُلِدْتُ فيها كريماً وقُتِلْتُ لكرامتها شهيداً.

كأنني بأم البنين ؑ قامت من سجدة صلاتها وخرجت إلى ساحة الدار ويديها على رأسها إذ سمعت دوي السماء، نداء نداء نداء: «تهدمت والله أركان الهدى، قُتِلَ علي المرتضى، قَتَلَهُ أَشَقَى الأَشْقِيَاء».

فأسرعت أم البنين ؑ تحتضن اليتامى وتمسح على رؤوسهم وتمسح قطرات دموعهم وتوصيهم بالصبر، وكان العباس ؑ وهو ابن الخامسة عشرة آنذاك يبكي متجلداً وقبضاته الغاضبة تأتمر من قلبه المؤمن بالقيادة العلوية تترقب الأوامر الحسنية.

وأما الحسنان فقد هرعاً إلى المسجد يبكيان بكاء الصامدين أبداً، وجلست السيدة زينب ؑ عند الباب تنتظر بقية الواجبات، ومعها أم كلثوم ؑ الصغيرة في سنها والكبيرة في شخصيتها، فلقد بدأت مرحلة جديدة من مراحل الصراع بين الحق والباطل، والفضيلة والرديلة.

ولم تكن قد بكت أم البنين ؑ على أحد مثل بكائها على أمير المؤمنين علي ؑ ولم يكن بكائها من غير بصيرة كما هو بكاء بعض الباكين من شيعته، وفرق بين بكاء المعرفة بالحق وحق المعرفة، وبين بكاء مع الخلق منها.

وبقيت أم البنين (عليها السلام) حزينه على فقد زوجها حزناً واعياً، وأضحت صابرة على فراقه صبراً جميلاً.

ولم تتزوج بعده أحداً، ولم تفكر في ذلك أبداً، فقد أوقفت نفسها لبيت علي (عليه السلام) وأبناء علي (عليه السلام) وأحفاد علي (عليه السلام)، ونذرت نفسها لترجمة رسالة علي (عليه السلام) حرفياً قدر الإمكان حتى توافيها المنية وهي أم البنين (عليها السلام) وتلتحق بركب الصالحين والصالحات وهي نفسها لن يغيرها زمن الهزائم السياسية وفراغته المسلمين!

أم البنين (عليها السلام) ما فتئت بعد الإمام علي (عليه السلام) تذكره وتبكي عليه وترعى ودائعه عندها، وهي تتذكر فضائل زوجها ومناقبه وما قاله الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في منزلته وتذكر الناس بها من حولها. وكلما تذكر مثل قوله (عليه السلام) لعلي (عليه السلام): «من أحبك يا علي كان مع النبيين في درجتهم يوم القيامة»^(١).

كانت تزداد شوقاً إلى درجاتها في الجنة، أليست الجنة تحت أقدام الأمهات؟ فكيف إذا كانت في طليعتهن أم البنين (عليها السلام).

وبعد سنوات الهزات السياسية واستشهاد الإمام علي (عليه السلام) عادت القافلة العلوية من الكوفة إلى مدينة الرسول وليس فيها عليّ زوج البتول. وكان أمير القافلة هذه المرّة هو الإمام الحسن بن علي (عليه السلام) وكان وزيره

(١) ينابيع المودة (للقدوزي): ٢ / ٢٩١، مطبعة اسوة، والصفحة: ٢٥١، مطبعة اسطنبول.

والبحار: ٧٢ / ٧٩، عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ٢٢٠.

أخوه الحسين بي علي ؑ وكان ف طليعة العماية والحراس قمر بني هاشم... إنه العباس وما أدراك ما العباس ؑ.

نعم... هكذا سنة الحياة عند الصالحين والصالحات، يوم هنا ويوم هناك والساعات تزحف نحو النهايات والعاقبة للمتقين وهم الذين لا يهمهم شيء في الدنيا إلا ما رسمه لهم رسول رب العالمين، إذ قال محمد ﷺ: «من أعطي أربع خصال في الدنيا فقد أُعطي خير الدنيا والآخرة وفاز بحظه منها: ورع بعصمة عن محارم الله، وحسن خلق يعيش به في الناس، وحلم يدفع به جهل الجاهل، وزوجة سالحة تعينه على أمر الدنيا والآخرة».

فما أسعدك يا علي ؑ وقد جمعت كل هذه الخصال... ما أسعد زوجتك أم البنين ؑ معك يا خير الرجال.

أم البنين ؑ عند جثمان الإمام الحسن ؑ

تلاحقت الأحداث السياسية والهزات الاجتماعية والفكرية بعد الإمام علي ؑ وارتطمت مسيرة الأمة بصخور أموية ومؤامرات هدامة وكان الإمام الحسن ؑ من بعد أبيه سيد المواقف الصعبة والمهام الثقيلة. وعن أم البنين ؑ في هذه الحقبة الزمنية، يكفيننا أن نعرف بأنها عاشت بهوموم الإسلام وجرعت الآلام وهي ترى المظلومين من آل محمد وتري الظلام، انفجر باكياً.

وأما في ليلة السابع عشر من شهر صفر سنة (٤٩) الهجرية فقد جاءت باكية تنادي أولادها، يا عباس يا قمر بني هاشم، وأنت يا قرّة عيني عبدالله (المسمى باسم والد النبي) وأنت يا جعفر (المسمى باسم عمي جعفر الطيار)، وأنت يا عثمان (المسمى باسم الشهيد عثمان بن مظعون الصحابي الجليل صديق الإمام علي)، قوموا يا أحبتي... انهضوا فهذا أخوكم وإمامكم وولي أمركم الحسن بن علي عليه السلام قتلوه مسموماً، اذهبوا إلى داره واعملوا ما يأمركم سيّدكم الإمام الحسين عليه السلام. وحضروا جميعاً، وكان العزاء قائماً في بيت الإمام الحسن عليه السلام وهو في الزمن الأخير. وكان الإمام الحسين ينظر إلى أخيه ويبكي ويسأله عن قاتليه.

والامام الحسن يقول: إن يومك في كربلاء أكثر ألماً يا أخي... فلا يومٌ كيومك يا أبا عبدالله. آه... يا ويل للظالمين.

وفاضت روحه الكبيرة الشريفة الى بارئها وارتاح من الدنيا وغمها والعبّاس بين يديه يبكي على أخيه الامام الحسن عليه السلام.

حملوا الجنازة إلى ثرى جدّه الرسول محمد عليه السلام، وفجأةً أمطر الأوغاد جنازة سبط الرسول بوابل من السهام وأصابت بعضها جنازة الحسن المظلوم وبعضها أصابت المشيّعين، آه... يا لها من مصيبة فوق المصائب. كم بلغت درجة الوحشية في الذين انسلخوا عن وصية الرسول، أين المودّة في القربى يا مسلمون؟!

فصاحت نساء الفضيلة وبنات الرسالة وكان الرعب يخيم على قلوب الأطفال من هول الجريمة... لأول مرة في التاريخ، تُرمى جنازة مرفوعة على الأيدي بسهام مجنونة! يا لها من خسارة!

عند هذا الحدث الرهيب كان العباس -وهو الشاب في عمر الرابعة والعشرين- يرافق أخاه الحسين عليه السلام ويحرسه كتفاً بكتف وروحاً بروح، هنا لم يُطق العباس صبراً... فأمسك مقبض سيفه ليهاجم الأوغاد، فأخذ الإمام الحسين عليه السلام بيده وقال: قد أوصاني أخي الحسن أن نتمالك إذا ما حدث مثل هذا تحت جنازته، وكأنهم كانوا يتوقعون حدوثه من أجلاف بني أمية، فصبر أبو الفضل بأبي هو وأمي على طاعته للقيادة! وهذه لعمرى من مواقف الأبطال أصحاب المبادئ والقيم والثورية الموجهة بأحكام الشريعة وطاعة القيادة الرسالية. فلا للعواطف المجردة عن العقل والحكمة، ولا للحماسيات المفرغة عن الأخلاق والإنسانية، ولا للسياسات الخالية من القيم الدينية. تلك هي نسخة طابقت أصلها حينما أغمد الإمام علي عليه السلام سيفه بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله عملاً بالوصية المحمدية.

أم البنين تتكلم: آه... لقد رأيت الحدث، وكدت أصيح بولدي العباس أن اهاجم دفاعاً عن الطيبين من أبناء علي وفاطمة، اقتل... دمر... ولا تبقي لهم باقية، ولقد عرف ولدي ما هو الواجب عليه حينما مسك السيف ليهاجم، ولكن الوصية والطاعة كانتا هما الأوجب.

تقول لنا أم البنين: ليتكم يا أهل الغيرة والشهامة كنتم تشاهدون ذلك اليوم الحزين، كم كان أليماً على بني هاشم وشيعة آل محمد المستضعفين. ونقول يا أم البنين: إننا نعيش اليوم زماناً مثل زمانك، وكما وصفه زوجك أمير المؤمنين (عليه السلام): « صار الفسوق في الناس نسباً والعفاف عجباً »^(١).

وداعها (عليها السلام) للإمام الحسين (عليه السلام) وأولادها

أم البنين تحكي لنا حال لسانها تقول: وحانت ساعة أخرى من أصعب ساعات حياتي أيها الناس. إنها الساعة التي توشك بالكارثة والمصيبة العظمى، نحن اليوم في أواخر عام (٦٠) الهجري، وهذه قافلة الحسين سبط النبي تستعد لتحويل وجهة التاريخ وتأسيس انعطافة خالدة لمفاهيم الحرية والحركات التحررية. لا أدري كيف أودع الحسين في هذه الساعة، وكيف أفارق زينب وأم كلثوم، وكيف أنظر إلى قافلتهم وهي تخرج من مدينة جدهم إلى غير عودة، آه... وقد تعد بلا رجالها الأشاوس أو قد تعود وعلى الرماح رؤوس الأماجد. إلهي... إني أرى في الأفق مصائب تلوح على آل محمد بلون الدم. ها قد يأتي الحسين الآن ليقول: أمّاه... وداعاً. فماذا أقول أنا؟ إلهي كيف أنظر إلى وجهه، كيف أودّعه، كيف وبماذا... لا أدري!

إن الإمام الحسين عليه السلام قلبي الذي أطمئن به، ونبضي الذي أتحرك به، وحياتي التي أشعر بها الوجود، إنه معنى وجودي، إنه إمامي وسيدي وأمير مسيرتي. فكيف أجلس ليأتينني، أبداً، أنا أذهب إليه وإلى ابنتي زينب وأختها أم كلثوم، ولا أقول وداعاً يا أحبتي، بل أقول يا ولدي العباس هذه وصية أبيك علي أمير المؤمنين... فجاهد دون الطيبين، ناضل دون أخيك الحسين نصير المحرومين، ودافع عن أختك زينب وأم كلثوم، وقاتل بكل ذرات وجودك حتى آخر رمق من حياتك... وأما اللقاء يا ولدي فعند كوثر الزهراء. هي برأس الحسين وأنا بيدك المقطوعتين، والحكم العدل هو الله. وهنالك يخسر المبطلون لا محالة. وجاءت أم البنين إلى قافلة المهاجرين لله... للحق... للحرية. ودنت إلى ولدها العباس وإخوته حوله يسمعون: أولادي الأعزاء.. وأنت يا ولدي أيها القمر الزاهر للنجباء... ولدي أيها البطل الشامخ.. ولدي أيها العباس الباسل... انطلقوا في ركب الحسين إلى الجنة. ولكن من أرض كربلاء الناعية. وبلغوا سلامي لرسول الله محمد صلى الله عليه وآله، ولفاطمة أم الحسن والحسين عليهما السلام وحببتي زينب وأم كلثوم عليهما السلام، بلغوا سلامي لعلي عليه السلام إمام المتقين وقائد المجاهدين، وقولوا له إن أم البنين عليها السلام قد وفيت بالعهد ورضيت بالقدر وسلمت أفلاذ أكبادها لله أولاً، ولله آخرأً، دون اضطراب في الإيمان واليقين. فهل أنت راضٍ من أم البنين عليها السلام ؟

أجل وتقدمت أم البنين (عليها السلام) بهذه الرؤية العقائدية تودّع الإمام الحسين (عليه السلام) السبط أمير قافلة الشائرين، ومشت إلى خدر زينب، ولا أدري ماذا أسرت لها وماذا قالت؟ ومسحت على دموعها وهي تحتضن أم كلثوم وهمست في أذنها!

ثم عادت مرة ثانية إلى أولادها الأربع، العباس وعبدالله وجعفر وعثمان، فوضعت أيدي الثلاثة في يد العباس أخيهم الأكبر، وأوصتهم بالإمام الحسين (عليه السلام) وأخته زينب وأم كلثوم وشباب بني هاشم والعيال جميعاً والأطفال (عليهم السلام) خاصة أن لا تعطلوا جهداً في سبيلهم أبداً.

فنطق العباس هنا: أمّاه يا أم البنين، لا تقلقي فأنا الحسين والحسين أنا، أنا زينب وزينب أنا، نفسي لنفسهما الوقي، روعي لروحهما الفدى، عزيزتي أمّاه لا تقلقي على نصرتي للطيبين، فأم كلثوم أختي وكل الأطفال أنا ساقهم أنا كافلهم أنا أذب عنهم الأعداء.

لا تحزني أمّاه فموعدنا الجنة ولقاؤنا عند ملتقى الكوثر، عزيزتي أمّاه شكراً لك على ما بذلت من سَهَرٍ وَتَعَبٍ لتربيتي وإعدادي وتهيتي لمثل هذا اليوم، اجعليني أمّاه في دعائك وقولي لابني (فضل) إن أباك أبا الفضل كان يحبك، وطريق الحُب يمر من باب الحسين، فمن أحب حسيناً أحببته.

أمّاه... قولي للعالم واعلني للبشرية أن حب الحسين قد أجنّ الصادقين في صدقهم، والعباس في طليعتهم.

وداعاً يا أمّاه... لا تحملي هم إخوتي، إنهم رجال الحياة وسوف يغلبون الموت بحبّ الشهادة، ألسنا جميعاً من مدرسة أبينا علي أمير الأمناء وإمام الأتقياء؟! ومن مدرستك مدرسة الشجاعة والسخاء، مدرسة البطولة والفداء، مدرسة الإيمان والوفاء، مدرسة الإيثار والعطاء، مدرسة الغيرة والنقاء....

إذن يا أمّاه لا تخافي ولا تحزني ولا تقلقي ولا تبالي، لقد كنتِ لنا مدرسة كاملة وكنا لك خير تلاميذ وطلبة.

ودمعت عينها أم البنين عليها السلام. ومسح العباس عليه السلام على تلك القطرات الدرية وقال: أمّاه... ممّ بكأوك؟ فإني لم أقل شيئاً إلا وأنت عارفة به! أم البنين عليها السلام: من شموخك أبكي يا ولدي لقد ذكرني بابيك أمير المؤمنين فانت الشبل من ذاك الأسد، ومن... (سكتت ولم تستطع أن تكمل كلامها من البكاء ساعد الله قلبها وهي تودع أولادها وأولاد الزهراء عليهم السلام).

ثم التفتت إلى بقية أولادها، تقول وأنت يا عبدالله، يا جعفر، يا عثمان. لا تنسوا أنكم أولاد علي بن أبي طالب عليه السلام... أسد الله الغالب... الذي ضرب خراطيم الخلق حتى قالوا: لا إله إلا الله، فلا تنسوا يا أحبتي أنكم أولاد الذي ضرب بين يدي رسول الله بسيفين، وطعن برمحين، وهاجر الهجرتين، وباع البيعتين، وقاتل بيد وحنين، ولم يكفر بالله طرفة عين.

لا تنسوا يا أعزتي أنكم أولاد الذي كان بين المجاهدين الأوائل
أربطهم عناناً، وأثبتهم جناناً، وأمضاهم عزيمة، وأشدهم شكيمة، أسد
باسل، يطحنهم في الحروب إذا ازدلفت الأسنة وقربت الأعنة طحن
الرحا، ويذروهم فيها ذرو الريح الهشيم، ليث الحجاز وكبش العراق،
مكي مدني... من العرب سيدها، ومن الوغى ليثها، ذاك أبو السبطين
الحسن والحسين.

فلا تألوا جهداً يا أفلاذ كبدي، هاجروا واجاهدوا ولا تأخذكم في الله
لومة لائم. هكذا كان أبوكم علي الذي طلق الدنيا ثلاثاً فما كان يرى إلا
الله تعالى.

اذكروه يا أولادي، فقد كان يقول في مناجاته:
«إلهي ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنتك بل وجدتك أهلاً
للعادة فعبدتك» كونوا مخلصين لله وتقدموا إلى الله وحده، لا هروباً
من النار ولا طمعاً في الجنة، بل حباً في الله ومودة لأوليائه الله.
وتقدمت أم البنين إلى الإمام الحسين (عليه السلام) قائلة: بأبي أنت وأمي يا أبا
عبد الله، أستودعك الله يا نور عيني يا سيدي وإمامي، يا حسين.
«أجهشت بالبكاء وانقطعت عن الكلمات».

فقال لها الإمام الحسين (عليه السلام): جزاك الله عنا خير الجزاء يا أمّاه، فقد
كنتِ لنا أمّاً بارّة، وداعية مخلصّة.

تقدمت خطوة أخرى وقالت على مقربة من سمع الإمام الحسين عليه السلام:
 اذكرني يا ولدي عند أمك الزهراء وبلغها أجمل سلامي وتحياتي.
 الإمام الحسين عليه السلام: لك ذلك، فإنه وعد أمين. وداعاً يا أم البنين،
 وداعاً... وداعاً...^(١).

أم البنين عليها السلام تودع زينب وأم كلثوم والأطفال

أم البنين (وهي تنظر إلى السيدة زينب وأختها أم كلثوم): وداعاً يا
 ابنتي العزيزة... في أمان الله أيتها العابدة المجاهدة. أنت عالمة غير
 معلمة فلا أوصيك بأخيك الحسين إلا تذكرة وإن الذكرى تنفع المؤمنين.
 السيدة زينب عليها السلام: دعاؤك يا أمّاه، ولن أنساك، وهل تنسى البنت
 أمها الحنونة المخلصة المضحية؟ أبداً.

أم كلثوم (بكلمات محبوسة متقطعة): وداعاً أيتها الأم الصالحة.
 وودّعت أم البنين أطفال الإمام الحسين عليه السلام وقبّلت أصغرهم سناً
 وهي السيدة رقية وكان عمرها ثلاث سنين. ورفعت يدها لأختها
 سكينه تحية الوداع، وكانت تلك الدقائق تمر على قلبها مروراً عسيراً.
 وهنا عادت إلى ولدها العباس، فقالت له كلمتها الأخيرة ويسمعيها
 أبناؤه الآخرون: أطيعوا إمامكم الحسين وقاتلوا دونه أعداءه....

(١) أم البنين (للشيخ أشرف الزهيري): ١٣٩ - ١٤٥.

قاتلوا قتلاً حيدرياً، كزّاراً، بتّاراً، ذا الفقار يا بلا هوادة، ولا تهابوا الموت يا ليوثي البواسل.

ومشت القافلة ومشت خلفها عينا أم البنين حتى حجبها الدموع، ومشت برجليها حتى غابت القافلة في بطن الصحراء وعمق التاريخ لتطلع بفجر جديد^(١).

سؤالها من بشر عن الإمام الحسين (عليه السلام)

في مساحة بمقدار أرض كربلاء... انتهت معركة الدم والسيوف في عصر يوم عاشوراء، وكان الانتصار كلّهُ هو للدم المتدفق في عروق الأجيال الثائرة وليخساً الذين يقولون غير هذا.

ولقد خسر يزيد بن معاوية كل المعركة وعلى جميع الجبهات وإلى الأبد، فقد خسر حتى سلطته التي قتل الحسين لتشيبتها، وذلك بعد سنتين من الزمن المهلك فقط.

واستمر النصر الحسيني يتمدّد ويتمدّد نحو قلوب الملايين والملايين في مشارق الأرض ومغاربها، إنه الفتح المبين حقاً.

عجيب هذا الدم!

ولم لا يكون عجيباً والنبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) قال عنه: «إن لدم الحسين حرارة

(١) أم البنين (للشيخ أشرف الزهيري): ١٤٥.

في قلوب المؤمنين لن تبرد أبداً». فالفتح المحمدي لن يتوقف، والنصر الحسيني لن ينحسر. هذا هو الإسلام الحق الذي تديره يد الغيب في كل العصور، امتحاناً وابتلاءً وحكمة بالغة.

والآن نعود إلى أم البنين لنقرأ سطوراً من مواقفها الأخرى... ونحن على بوابة المدينة المنورة مع ركب العائدين من كربلاء، فقد كانوا سبايا، وأية سبايا هذه؟ وللمرة الأولى في تاريخ الثورات تعود سباياها حاملة لواء النصر تُرى، وهل يوجد نصر أعظم من نصر المبادئ وفتح القلوب بلا حدود؟!

كتب المؤرخون عن هذا الفصل من نهضة الإمام الحسين (عليه السلام): ولما وصل الإمام زين العابدين (عليه السلام) بالقرب من المدينة، نزل في الصحراء وضرب فسطاطه، وأنزل العلويات، وكان معه بشر ابن حذلم، فقال له الإمام: «يا بشر، رحم الله أباك لقد كان شاعراً، فهل تقدر على شيء منه؟». فقال بشر: بلى يا بن رسول الله.

فقال الإمام (عليه السلام): «فادخل المدينة وانعأ بأب عبد الله...». فانطلق بشر إلى داخل المدينة، ولما انتهى إلى الجامع النبوي الشريف رفع صوته مشفوعاً بالبكاء:

يا أهل يثرب لا مقام لكم بها قُتِلَ الحسين فادمعي مدرار
الجسمُ منه بكربلاء مُضَرَّجٌ والراسُ منه على القناة يُدَارُ

وكأنني حال لسان أم البنين عليها السلام لما سمعت نداء بشر:

يا ناس بالله دفرجوله	خلو ينزل عن ذلوله
بسايله واسمع گوله	من التگو ذوله بذوله
بالكون يا هو الصيتوله	عباس بيض وجهي يوله
يا سايله يلي تنشدين	انچان تردين الخبرزين
الج اربعة راحو شهيدين	ما بينهم عباس الحنين
لو تنجلب كل الارضين	ويچتل مثل عباس سبعين
بس كون سالم راس الحسين	ناداها ماجوره بالحسين
ضامي انذبح دامى الورددين	صاحت وهملت دمعه العين

لانصب مناحه اعليه كل حين



بكائها عليها السلام وزينب عليها السلام على الإمام الحسين عليه السلام

وعن بعض الخطباء قال: لما رجعت عائلة الامام الحسين عليه السلام إلى المدينة قالت زينب عليها السلام: «لا أريد أحداً يدخل عليّ إلا من فقدت لها عزيزاً في كربلاء»، وجلست في منزلها وجعلت جارياتها على الباب، وإذا بالباب يطرّق.

فقلت الجارية من على الباب؟ فإن سيدتي زينب لا تريد أحداً يدخل عليها إلا من فقدت لها عزيزاً في كربلاء.

فقلت لها: «قولي لسيدتك زينب عليها السلام إني شريكها في هذا العزاء، وأريد أن أدخل عليها وأساعد لها فإني مثلها في المصائب».

فلما أخبرت الجارية زينب عليها السلام قالت: «سليها من هي التي تكون مثلي في المصائب»، ثم قالت: «إن صدق ظني فإنها أم البنين»، فرجعت الجارية.

وقالت لها: سيدتي تقول من أنت التي مثلها في المصائب؟

قالت: «أنا الثاكلة!! الفاجعة الكبرى».

قالت: أوضحي لي من تكونين؟

قالت: «أو ما عرفتيني أنا أم البنين».

قالت الجارية: لقد صدقت سيدتي في ظنها، وإنك والله كما تقولين أم المصيبة العظمى والفاجعة الكبرى.

صاحت صوت أيا فكد الأطياب والله اشموحه يادور الأحباب

هناك أو سمع الصرخه على الباب أنا أم عباس اجيتج لا تفترين



ثم فتحت لها الباب فلما دخلت استقبلتها زينب واعتنقتها وبكت

وقالت: عظم الله لك الأجر في أولادك الأربعة، فأجابتها أم البنين وأنت عظم الله لك الأجر في الحسين عليه السلام ^(١).

(١) حياة العباس (للسيد عبد الرزاق المكرم) عن بعض الخطباء..

بجّت زينب أو نادت تلكنها	باللّٰه أويّاي گومن ساعدنها
هاي أم البنين الراح منها	صناديد اربعة أوبالحرب نفلين
بجّت زينب أو صاحت آيـحزني	أولفتها أم البنين ابضلع محني
تصيح ابصوت آيـحسين يبني	هاي امصيتك بجّت الدارين
اشلون أم البنين اصياح صاحت	اهنا يحسين بيني روحي راحت
تلكنها الحرم عيت او ناحت	زينب بالغزه كسرت الصوبين

سألتُ ربيعَ الندى والدمعَ يَنْهَلُ	عن معشرٍ هاهنا عهدي بهم نزلوا
اين استقلُّوا عن الأوطان وانتقلوا	بالأمس كانوا معي واليوم قدرحلو
وخلفوا في سويد القلب نيرانا	

لطمية عن أم البنين عليها السلام

لا تدعوتني ويك أم البنين
تذكروني بليوث العرين

لا تنادوني بـعد أم البنين	آنه وين او وُلدي الأربعة وين
راحوا بطف كربله	فدوه لحسين او هله
آنه وين او وُلدي الأربعة وين	

جَنِّي صوت الحِزن يعلّه من غلب أم الضحاياه
وهيه ام اربع اشبول الهّمّه انوار الهدايه
لا تنادوني بعدأم البنين آيالبرايه
آنه أذكر اولادي الغضوا واعلى العهد بالطف مضوا
لحسين او كل العز حضوا او للوفه نشروا إلراية
عَنِّي ولدي الأربعة راحوا چتل صعب فرگاهم أبد ما ينحمل
أَيِ وحق سيد المله فدوه لحسين او هله
آنه وين او وُلدي الأربعة وين

* * *

يوم گالت هالجليله الحيدره او حامي الحميه
طَلَبَتِي منك يحيدر يا من الهادي وصيّة
لا تناديني إباسمي فاطمه اليوم المنيه
کن نِشد منها حيدره بالسبب وهيه مجدره
گالت يضي غلب الوره إنته عالم بالخفيه
لو تناديني يحيدر فاطمه يذكرون أيتامك أمهم والدّمه
يجرى الأم الثعلّه فدوه لحسين او هله
آنه وين او وُلدي الأربعة وين

* * *

گلها حيدر عظم اجرچ ربيچ او حي هالاراده
 اسمچ امن اليوم صار ام البنين بكل سعادة
 وهيه وُلدت أربع اشبول الحضاوا امر الشهاده
 ويّه أبو اليمه من سروا للغاضريه وانشروا
 راية عزمهم وانصروا لحسين ابكل سياده
 عگب چتل اولادها گالت بَعد آنه موام البنين اسمي أبد
 روحي ظلت معوله فدوه لحسين او هله
 آنه وين او وُلدي الأربعة وين

* * *

گالوا الها انچتل ابنچ عون گالت ما يهمني
 وانچتل جعفر او عبدالله اصرخت لحسين ونّي
 خبروها انچتل راعي العلم گالت زاد حزني
 كل نيّتي سالم يظل شبل الوصي خير العمل
 بحسين أي كل الأمل منّه بس ليخيّب ظني
 خلي ولدي اجسومهم متگطّعه او لا أشوف حسين ظامي ابصرعه
 او ينحب العالم إله فدوه لحسين او هله
 آنه وين او وُلدي الأربعة وين

* * *

لچن حين إسمعت ظامي راح ابن زهره الزجّيه
 صاحت امن الكلب صيحه او ونت ابونه شجّيه
 طاح صيواني العاليي اوبيتي طاح اعلى الوطيّه
 ضحّيت ولدي ابكريله لاچن جنت متأمله
 حسين ابن عقد الوله يبگه واخيّم عليه
 ريت ويه ولدي أنه هم أروح اولاً اظلمكسورةالخاطر ونوح
 ويه هاي العايله فدوه لحسين او هله
 أنه وين او ولدي الأربعة وين

* * *

صاحت ابونّه الحزينه انطيت ولدي اودمعي يجري
 لبواليمه حسين ضنوة حيدرهِ والباري يدري
 او طاح عباس او چفيلي عالنهر وانهدم خدري
 ضحيت ولدي الأربعة لبن الزجّيه الشافعه
 او عينتهم اعلى المشرعه آه من غدرات دهري
 او صار عباس النفل باب الرجه للحوائج فاز من بيه التجّه
 او گليي اصبح حاصله فدوه لحسين او هله
 أنه وين او ولدي الأربعة وين

* * *

المجلس الخامس

حول مقام المرأة في الإسلام ومنزلة أم البنين عليها السلام

أُمُّ الْبَنِينَ وَمَا أَسْمَى مَزَايَاكَ خَلَّدَتْ بِالصَّبْرِ وَالْإِيمَانِ ذَكَرَاكَ
أَبْنَاؤُكَ الْغُرُّ فِي يَوْمِ الطُّفُوفِ قَضَوْا وَضُمُّوْهَا فِي ثَرَاهَا بِالْذَّمِّ الزَّاكِي
لَمَّا أَتَى بِشَرِّ يَنْعَاهُمْ وَيَسْتَدْبُّهُمْ إِلَيْكَ لَمْ تَنْفَجِرْ بِالْذَّمِّ عَيْنَاكَ
وَقُلْتَ قَوْلَكَ الْعَظَمَى الَّتِي خَلَّدَتْ إِلَى الْقِيَامَةِ بَاقٍ عِطْرُهَا الزَّاكِي
أَفْدي بروحي وأبنائي الحسينَ إذا عاش الحسينُ قريرَ العينِ مَولَاكَ^(١)



(١) القصيدة للشاعر الأديب الشيخ أحمد الدجيلي.

قال الله عليكم في محكم كتابه الكريم

«بسم الله الرحمن الرحيم»

«مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْشَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّه حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ»^(١).

(صدق الله العلي العظيم)

المرأة والرجل في مضمار السباق

هل يمكن للمرأة أن تتفوق على الرجل في ميادين المعرفة والعمل والتقوى والجهاد وغير ذلك فتصل إلى ما يعجز الرجل عن الوصول إليه كما وصلت السيدة الجليلة أم البنين عليها السلام؟

للإجابة على هذا التساؤل نحتاج في البدء أن نحرر أمرين هامين لهما مدخلة كبيرة في الإجابة.

الأمر الأول: تساوي الرجل والمرأة في القيمة الإنسانية.

الأمر الثاني: بيان مقاييس التفاضل بين الرجل والمرأة وهل هي اختيارية أم قهرية. ولكي يتضح المطلوب نشير إلى هذين الأمرين بشيء من الإيضاح:

هل إن الرجل والمرأة متساويان في القيمة الإنسانية بمعنى أن كلاً

منهما إنسان لا تمايز بينهما في هذا الجانب أم أن الرجل يتفوق في إنسانيته على المرأة؟

هناك ومنذ الجاهلية الأولى تصورات خاطئة تميز بين الرجل والمرأة وأنها إنما خلقت من أجل الرجل، ولولا الرجل لما خلقت المرأة؟ وبالتالي فهي أقل قيمة من الرجل، وأدنى مرتبة وفضلاً، ومادامت كذلك فلتطبق طوع أمره، أصاب أم أخطأ، تعيش على هامشه تابعة له في أهوائه، ليس لها من الأمر شيء.

لكن هذه التصورات سرعان ما بددها الإسلام، فجاء القرآن وفي العديد من الآيات المحكمات ليؤكد على وحدة النوع الإنساني بين الذكر والأنثى وأن منشأهما واحد وعبر نظام واحد، لا اختلاف فيه. كما في قوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾^(١).

وإن الهدف من خلق الإنسان ذكراً كان أم أنثى هو تحقيق العبودية لله وحده كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٢). وإن عدااء الشيطان لهما مشترك فليس الشيطان عدواً للرجل فقط دون المرأة قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾^(٣).

(١) سورة الطارق: ٥ - ٧.

(٢) سورة الذاريات: ٥٦.

(٣) سورة يوسف: ٥.

وكذلك كل آية فيها ذكر كلمة (الناس) أو (الإنسان) لا تختص بالرجال بل تشمل النساء أيضاً.

وقد ورد أن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها سمعت النبي ﷺ يقول على المنبر: يا أيها الناس وكانت الجارية تمشطها، فقالت للجارية: استأخري عني (أي أمهليني حتى أسمع). فقالت الجارية: إنما دعا الرجال ولم يدع النساء فأجابتها أم سلمة: إني من الناس^(١).

اشتراك الرجل والمرأة في الخطابات الإلهية

كما أن الواضح من القرآن الكريم اشتراك الرجال والنساء في مختلف الخطابات التكليفية العبادية والمعاملاتية كأداء الصلاة والصيام والحج والزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحرية البيع والشراء، والمساقاة والمزارعة والمضاربة وغير ذلك مما نظقت به الآيات الكريمة كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٢).

(١) السيدة أم البنين سيرتها وكراماتها (للشيخ أشرف الزهيري): ٧ - ١٠، عن صحيح مسلم، كتاب الفضائل، حديث رقم ٢٢٩٥.

(٢) سورة البقرة: ١٨٣.

وقوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾^(١).

وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾^(٣).

وقد يتذرع البعض ببعض النصوص الدينية ليستدل بها على أفضلية الرجل ذاتاً على المرأة كقوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾^(٤). ولكن الآية المباركة لا تدل على الأمر المراد، ذلك لأنها تتحدث عن العلاقة الزوجية وأن الرجل مسؤول عن القيام بحقوق زوجته والإنفاق عليها ورعايتها وحمايتها كمسؤولية شرعية كلفه الله تعالى بها وهي مسألة (القوامة) وليس المراد من الآية أن كل رجل قوام على كل امرأة حتى لو كانت خارج نطاق الزوجية والأسرة.

ومسألة (قوامة) الرجل (الزوج) على المرأة (الزوجة) تأتي أهميتها

(١) سورة البقرة: ٢٣٨.

(٢) سورة آل عمران: ٩٧.

(٣) سورة التوبة: ٧١.

(٤) سورة النساء: ٣٤.

لضبط نظام الأسرة، لأنه لو لم يكن للأسرة مسؤول لاختل نظامها وهذا ما يحكم به العقلاء، وعوداً إلى الآية المباركة . فالقيّم، معناه الذي يقوم بأمر غيره والقوّم والقيّام مبالغة منه، والمراد بما فضل الله بعضهم على بعض هو ما يفضل ويزيد فيه الرجال بحسب الطبع على النساء من شدة البأس والقوة والطاقة على الشدائد من الأعمال ونحوها فإن حياة النساء حياة أرادها الله أن تكون عاطفية مبنية على الرقة واللطافة بما يتناسب مع ماهو مطلوب منها من الحنو على الأطفال وأمثال ذلك، وبالحزم من جانب والعاطفة من جانب آخر يستقيم نظام الأسرة، وإلا فما ظنك بأسرة تعيش بلا حنو ولا عاطفة بل حزم في حزم؟

فالنساء هنا يفضلن على الرجال بزيادة في درجة العاطفة والرجال هنا يفضلون على النساء بزيادة في درجة البأس والقوة فاقتضت الحكمة الإلهية أن يكون الحمل والإرضاع وما أشبه مختصاً بالزوجة وأن تكون القوامة والإنفاق وإدارة شؤون الأسرة كل ذلك مختصاً بالرجل. وهذه القوامة تكون أيضاً في حدود العلاقة الزوجية فقط وما زاد على ذلك فخارج عن دائرة القوامة فلا شأن للزوج بآراء زوجته وأفكارها ولا بتصرفاتها المالية أو مواقفها الإجتماعية وما أشبه .

يقول الشيخ مهدي شمس الدين رحمته الله : « والظاهر من الآية الكريمة أن المراد منها قوامية الرجال على النساء في الأسرة فقط وباعتبار

الزوجية فقط ، بحيث لا منافاة بين كون الزوج قِيَمًا على المرأة باعتباره زوجاً ، وتكون قِيَمَة عليه باعتبار آخر ككونها رئيسة لجمعية خيرية أو سياسية أو نقابية هو عضو فيها»^(١).

معايير التفاضل بينهما

مما سبق تبين أن الرجل ليس بأفضل من المرأة باعتبار رجولته وأن المرأة ليست بأقل من الرجل باعتبار أنوثتها، بل هما متساويان في القيمة الإنسانية بينهما من جهة، نعم هناك قيم ومبادئ أرشدنا إليها الإسلام وجعلها معايير وموازن للتفاضل بين الناس فمن كان ملتزماً بها كان عند الله أكرم وأفضل. وهي أربعة معايير:

الأول - التقوى:

قال تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ»^(٢).

وقال عليه السلام: «لا فضل لعربي على عجمي ولا عجمي على عربي، ولا أحمر على أسود إلا بالتقوى»^(٣)، فمن كان أتقى وأقرب إلى الله وأكثر التزاماً بأوامره واجتناباً لنواهيه فهو الأكرم عند الله سواء كان

(١) السيدة أم البنين (للشيخ أشرف الزهيري): ١٣ عن أهلية المرأة لتولي السلطة.

(٢) سورة الحجرات: ١٣.

(٣) كنز العمال، حديث رقم ٥٥٦٥.

رجلاً أم امرأة، حراً أم عبداً، أحمر أم أسود، عربياً أم أعجمياً. وهذا المعيار هو أهم المعايير فيه تنفع المعايير الأخرى، وبدونه لا قيمة لها إلا عند أهل الدنيا.

الثاني - العلم:

قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١). وقال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾^(٢).

وقال الرسول ﷺ: «أكثر الناس قيمة أكثرهم علماً، وأقل الناس قيمة أقلهم علماً»^(٣).

وقال أمير المؤمنين ﷺ: «لا شرف كالعلم»^(٤).

وقال ﷺ: «ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ولكن الخير أن يكثر علمك ويعظم حلمك وأن تباهي الناس بعبادة ربك»^(٥). وفي شعر منسوب له ﷺ قال:

الناس من جهة التمثال أكفاء أبوهم آدم والأم حواء



(١) سورة الزمر: ٩.

(٢) سورة المجادلة: ١١.

(٣) البحار: ١ / ١٦٤.

(٤) النهج، الحكمة: ١١٣.

(٥) في ظلال نهج البلاغة (لمغنية): ٤ / ٩٢، الحكمة.

إلى أن يقول:

ما الفضل إلا لأهل العلم إنهم على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقيمة المرء ما كان قد كان يحسنه والجاهلون لأهل العلم أعداء
فقم بعلم ولا تطلب به بدلاً فالناس موتى وأهل العلم أحياء^(١)

فمن كان أكثر علماً كان أكثر جدارة ونفعاً لنفسه ولغيره بل وأكثر طاعة لله تعالى وخشوعاً له قال تعالى: « إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ »^(٢)، ومن ثم يكون هذا المعيار مرتبطاً بالمعيار الأول.

الثالث - العمل كيفاً لا كمّاً:

وهذا المعيار مرتبط بالمعيار الأول أيضاً، ذلك لأن التقوى لا تتم إلا بالعمل وإنما أفردنا (للعمل) نقطة خاصة وجعلناه معياراً لزيادة التوضيح ولدفع وهم، إذ ربما يظن البعض أن التقوى تعني الركون في صومعة العبادة والزهد، ولا ترتبط بدخول ساحة العمل.

وإلا فالدين عمل كله، والآيات التي تشير إلى هذا المعيار كثيرة جداً. منها قوله تعالى: « الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا »^(٣).

(١) ديوان الإمام علي عليه السلام.

(٢) سورة فاطر: ٢٨.

(٣) سورة الملك: ٢.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۖ ﴾^(١).

وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِنَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۖ ﴾^(٢)، إلى غير ذلك من الآيات.

فعمل الإنسان هو الذي يحدد موقعه عند الناس وعند الله، في الدنيا وفي الآخرة ومعلوم بالبدهة أن العمل الحسن يختلف عن العمل السيئ والعمل الأحسن يختلف عن العمل الحسن، لذلك أكد القرآن على (العمل الأحسن) فجاء: بصيغة التفضيل (أحسن) كما عبّر بالكيف لا بالكم في قوله: ﴿ الْأَرْضِ فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ۚ ﴾ ذلك لأن المقام مقام تفاضل فمن كان (أحسن عملاً) كان الأفضل والأكرم عند الله تعالى.

الرابع - النفع لعباد الله:

وهذا المعيار يرتبط أيضاً بالمعيار الثالث، وإنما افردنا له نقطة تأكيداً على أهميته، خصوصاً وقد ورد عن الرسول ﷺ وأهل بيته ﷺ الكثير من النصوص التي تؤكد على أهميته من قبيل ما قاله ﷺ حينما سئل: من أحب الناس إلى الله تعالى؟ قال ﷺ: «أنفع الناس للناس»^(٣).

(١) سورة الكهف: ٧.

(٢) سورة هود: ٧.

(٣) السيدة أم البنين (للشيخ أشرف الزهيري): ١٧ عن سفينة البحار، مادة (نفع).

وعن الصادق عليه السلام قال: «خير الناس من انتفع به الناس»، فمن كان أكثر نفعاً للناس كان الأحب لله تعالى والأكرم عنده سواء كان رجلاً أم امرأة. ومن هذا المنطلق تكتشف حرص الإسلام على رعاية حقوق هذا الإنسان، وكرامته، وحرمة الإضرار به، أو هتك حرماته.

فهذه الأمور الأربعة (التقوى والعلم والعمل والنفع لعباد الله) التي جعلها الإسلام مقاييس ومعايير للتفاضل وإن جمعها عنوان التقوى دقيماً يمكن لأي إنسان أن يتحصل عليها وتكون نسبة حصوله منها مرتبطة بمقدار جده واجتهاده وسعيه والتزامه وإرادته، فهي معايير كسبية يتحصل عليها الإنسان بالعمل، واختيارية يكون الإنسان مخيراً في الحصول عليها ليس مكرهاً مسلوب الإرادة.

كما أن مضمار السباق في ميدان هذه الأمور الثلاثة ليس خاصاً بالرجل فالمرأة معه في هذا المضمار ومن كان الأسبق كان الأفضل ويشير القرآن في جملة من الآيات إلى هذا الأمر.

يقول تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَاباً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ۝^(١)﴾.

فالمرأة كما الرجل فمن كان منهما أكثر جهاداً وصبراً وأكثر تقوى، وعلماً وأحسن عملاً كان هو الأكرم والأفضل عند الله ولذلك قد تصدرنا المجلس بهذه الآية المباركة: «مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ»^(١).
فالمؤمن التقى العامل للمصالحات سواء كان رجلاً أو امرأة يكون هو صاحب قصب السبق في هذا المضمار فالمؤثر هو التقوى والعمل الصالح وليس الذكورة أو الأنوثة.

أم البنين عليها السلام والحياة الزوجية الناجحة

لقد جسدت أم البنين صفات الزوجة المؤمنة والأم الصالحة والمديرة الناجحة، وحسب ما أرادت هي أن تسمي نفسها: الخادمة المخلصة. فكانت تقوم في بيت الإمام علي عليه السلام بما تقوم به المرأة التي تريد لزوجها كامل السعادة، وتريد لأبنائها وأبناء زوجها كل الخير والتقدم، وتريد لحياتها كل ما في قضاء الله وقدره ورضاه.
لم تكن أم البنين تقدم راحتها على راحة زوجها وأبناء سيدتها فاطمة الزهراء، فكانت أول يوم دخلت المنزل وجدت الحسن والحسين مريضين فأخذت تسهر معهما وتقابلهما بالبشاشة ولطيف الكلام وتعاملهما كالأم الحنون.

ولم تكن تنام إلا بعد أن تطمئن قد هيئت للحسن والحسين وزينب وأم كلثوم ما يريح نومهم ويسعد أحلامهم.

ولم تكن تأكل إلا بعد أن تُشبع أبناء علي وفاطمة من الطعام، وتنتشر عليهم من كلمات الحنان، وتوزّع على الجميع في البيت ابتسامات الرضا والابتهاج بهم.

ولم تكن أم البنين تترك المنزل وحجره وساحته والمطبخ أيضاً إلا إذا تأكدت من نظافته ورتابة محتوياته، وهي تعلم أن ذلك كله ليس واجباً، وإنما كانت تتطوع خيراً لنفسها، تدّخره ليوم الحاجة إلى الأجر الأخرى، ولأن بذلك تتكامل فصول التعاون في الأسرة.

ولم تكن أم البنين تؤخر صلاتها عن وقت الفضيلة، ولم تكن تنسى تلاوة القرآن والدعاء. ولم تكن تهمل الجيران إذا طرّقوا باب دارها. أم البنين هي الزوجة المثالية، هي أم بكل معاني الأمومة الموفقة، هي مديرة بكل معاني الإدارة الناجحة، هي خادمة بكل ما للخدمة من أجر وثواب وتواضع وإخلاص.

أم البنين ما كانت ترى لنفسها وجوداً من دون واجباتها الشرعية والأخلاقية والإنسانية. وما كانت تفكر في حقوقها كزوجة ولا كأم ولا كمديرة لبيت الزوج ولا كخادمة. بل ذابت وأذابت نفسها بكل فخر واعتزاز في أن تؤدي دوراً في رضا الله وسرور زوجها وأبنائه الحسن والحسين وبناتها زينب وأم كلثوم.

وإذا سألتها لماذا هكذا أنت في بيت زوجك؟
 لعلها كانت تقول: أريد رضا الله، وشفاعة محمد رسول الله ﷺ،
 وأن أسمع الزهراء في يوم القيامة تقول لي: أحسنت يا أم البنين، ما
 قصرت مع أفلاذ أكبادي... بيض الله وجهك!

هكذا كانت الزوجة التي اختارها الإمام علي عليه السلام في سياق عدة
 زوجات تزوجهن بعد زوجته الأولى فاطمة الزهراء عليها السلام التي غيبتها
 مظالم الحزب القرشي عن الحياة وهي لم تكمل الثامنة عشرة من شبابها....
 هكذا كانت أم البنين... صديقة حميمة للزهراء عليها السلام... ومثالاً صادقاً
 للتفاني والحب والإخلاص ونكران الذات والعمل الدؤوب في سبيل الله.
 عاشت في المدينة المنورة وانتقلت إلى الكوفة ثم عادت إلى
 المدينة، مسيرة كلها طاعة للزوج المطيع لله، لا تهدر على زوجها ولا
 زوجها كان يظلمها ليستحق الهدرة!

صفات أم البنين، كانت هي الصفات التي تسعدها وتسعد زوجها
 علياً عليه السلام، وكانت تتمنى صفاتها لكل امرأة مسلمة في كل الأزمنة.

أم البنين عليها السلام وذكريات أليمة للزهراء عليها السلام مع أم كلثوم عليها السلام

كانت أم البنين هذه السيدة الجليلة تحادث أيتام الزهراء وتجلس
 معهم لتشبعهم بحنانها وعطفها وحبها. وذات يوم لاحظت أم البنين على
 وجه الطفلة أم كلثوم شرود البال وهي تنظر إلى زاوية من البيت!

فقالت لها: فيم تفكرين يا ابنتي؟

أم كلثوم: نظرتُ ثم تأوّهتُ ثم هكذا نظقت بصوت الطفلة البريئة: كانت أُمي الزهراء تجلس هنا يا خالة، وتمشّط شعري وتقبلني وهي تقرأ لي من القرآن آيات بصوتها الخاشع، وتروي لأخت زينب أقوال جدنا رسول الله صلى الله عليه وآله، وتنشد لنا أشعار الإيمان والأمان وتزرع في قلوبنا روح الأمل بالخير والجنان....

آه... يا خالة، كانت أياماً حلوة....

أسألك يا خالة: لِمَ ماتت أمنا؟! إنها لم تكن كبيرة بالسن يا خالة! أم البنين عليها السلام (وهي تمسح دموع عينيها بطرف كُمّها) وقد اختنقت الكلمة في حنجرتها، وحاولت أن تكلم الطفلة اليتيمة ولو ببعض كلمات متقطعات. ولكنها ضعفت عنها تماماً وانهارت بين يدي اليتيمة أم كلثوم. وعادت أم كلثوم تسأل الخالة أم البنين: ليس مهماً خالتي أن تقولني شيئاً، فأنا أعرف كل شيء. إنهم ضربوا أُمي وعصروها بين الباب والجدار (وأشارت الطفلة إلى المكان) وما رأينا ونحن مذعورين إلّا نادت أمنا والباب يحترق والدخان يتصاعد: يا أسماء يا فضة هلمّوا فقد أسقطوا جيني.

وأجهشت أم البنين بالبكاء شديداً، والطفلة أم كلثوم تخطب فيها وهي تنعى مصيبة أمها: إيه يا خالة، ما كنتِ معنا، فقد دُعرنا وما كدنا

ندرك عمق الحدث والمصيبة وحجم الكارثة التي وقعت بعد وفاة أبيها جدنا محمد ﷺ ثم تمرضت وماتت خلال تسعين يوماً.

صدّقي يا خالة! ان امنا فاطمة ماتت حزينة مظلومة مضطهدة وساخطة على الذين ظلموها.

أم البنين ﷺ - وبكاؤها ارتفع حدّه -: عزيزتي يكاد قلبي يتقطع وفؤادي يتمزق كلما أسمع مقطوعة من هذه الظلمات التي لو كانت واحدة منها تُصَبّ على امرأة أخرى غير أمك الطاهرة لابتلعته من هذه الحياة قبل أوانها. إن أمك الزهراء يا حبيبتي كانت أسوة في الإيمان بالله الحق، وقدوة في الصبر عليه، كاملة فيها دون أقلّ نقص. وستبقى أمك فاطمة الزهراء رمزاً خالداً للحق وعنواناً راشداً للصبر وليس للنساء بعدنا فحسب بل للرجال أيضاً، فلا تحسبي يا ابنتي أن الله يضيع أجر المحسنين، فأملك (فاطمة) الزهراء العظيمة قد اختارها الله سيدة المحسنين جميعاً والمحسنات.

أم كلثوم ﷺ: كلامك هذا يا خالة يذكّرني، أننا لما كنا نجلس هناك (وأشارت إلى ساحة البيت) تقول وتقول أمّا إن أخانا الجديد سوف نسميه محسناً، ولكنه مات يا خالة... قصدي أنهم قتلوه في بطن أمنا يا خالة! (وبكت أم كلثوم ولم تقل كلمة أخرى).

أم البنين ﷺ، سيطرت عليها الدموع الساخنة فلم تستطع شيئاً من الكلام أيضاً ونظرت بصعوبة بالغة إلى الطفلة اليتيمة أم كلثوم وإذا بها

تبكي هي بدورها. فما كان منها إلا أن تمسح على رأسها وتحضنها،
مرت دقائق وهما هكذا حتى حضرت السيّدة زينب!

السيّدة زينب عليها السلام: ما بكما؟ خيراً يا خالة! حبيبتي أم كلثوم أخبريني
عن الحدث؟ هل حصل ما يزعجكما يا أحبتي؟

أم كلثوم عليها السلام: لا يا سيدتي.. كنا نتذكر أمنا فاطمة الزهراء، ونتكلم
ما أعظمها كانت، وما أسرع موتها يا أختاه، أليس هذا يحرق القلب
يا زينب؟

السيّدة زينب عليها السلام: صحيح ما تقولين يا أختي ولكن لله في الأمور
حكماً ودروساً تمتد على مساحة الزمان كله. نحن قوم شرفنا الله بكل
الفضائل وطهرنا من كل الرذائل، فلا نقول حين المصائب إلا ما علّمنا
الله عز وجل: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ هكذا أدبنا جدنا محمد صلى الله عليه وآله.
عزيزتي يا أم كلثوم قومي حبيبتي وتوكّلي على الله ودعي الخالة أم
البنين لا تحزن كثيراً في بيتنا، فإن لديها ما يكفيها من الأمور التي
تحملت مسؤوليتها ونحن لها شاكرين.

أم البنين عليها السلام (وهي تقبل أنامل السيّدة زينب عليها السلام): بأبي أنتم وأمي
ومالي ونفسي أيها الأطهار من آل بيت محمد المختار... لي الفخر
والاعتزاز أن أخدمكم طول بقائي معكم يا سادتي الأبرار. إن
أم البنين عليها السلام تفديكم بكل إخلاص ما تملكه من كل غال ورخيص.

نعم أم البنين خدمتهم بكل وسعها بل قدمتهم حتى على أولادها ولذلك الزهراء عليها السلام ترد هذا الجميل الى أم البنين في يوم القيامة تطلب من الله تعالى ان يأخذ بحق مصاب ولدها ابو الفضل العباس .

وفاء الزهراء عليها السلام لأم البنين عليها السلام في يوم القيامة

وورد في الحديث ^(١):

أن الزهراء سلام الله عليها تخرج يوم القيامة وفاء لأم البنين عليها السلام التي ما سألت عن أولادها وانما سئلت عن الإمام الحسين عليه السلام، فتخرج يوم القيامة وتحت رداها طبق في كفا أبي الفضل العباس عليه السلام.

تأتي وهي حزينه تصيح: «إلهي خذ بحقنا، وأنتقم ممن ظلمنا، وأحلل غضبك بمن سفك دماءنا». فيأتي النداء من رب العزة: «يا زهراء: ماذا تريدين؟»

فتقول: «يا رب شيعتي». فيقول الله عز وجل: «قد غفرت لهم». فتقول عليها السلام: «يا رب شيعة ولدي». فيقول الله عز وجل: «قد غفرت لهم». ثم يقول الله: يا فاطمة «إنطلقني فمن اعتصم بك فهو معك». فتسير ويقوم كل هؤلاء فيسيرون معها.

وفي رواية: تلتقط شيعتها كما يلتقط الطير الحب الرديء من الحب الجيد. نعم الصديقة الطاهرة عليها السلام تتقدم للشفاعة ولكن بماذا تشفع؟

(١) الطريق إلى منبر الإمام الحسين عليه السلام (للشيخ الكاظمي): ٢ / ٢٠٩.

ورد في الخبر: أنها تخرج وتحت ردائها طبق فيه كفاً أبي الفضل العباس عليه السلام المقطوعتين .

ثم يأتي النداء: «ماذا تريدان؟ هل جئتِ تطالبن بكسر رُبَاعِيَّةِ أبيك مُحَمَّدٌ عليه السلام؟» فتقول: «لا يا رب» .

يا فاطمة: «هل جئتِ تطالبن بكسرِ ضلعك وما جرى عليك من المصائب يوم الباب؟» فتقول: «لا يا رب» .

يقول: «يا فاطمة: هل جئتِ تطالبن بمظلومية بعلك علي أمير المؤمنين عليه السلام وبما جرى عليه من غضب حقه من الخلافة؟» فتقول: «لا يا رب» .

يقول: «هل جئتِ تطالبن بحقٍّ ولدك الحسن المجتبي وبكبدِه المقطَّع؟» .

فتقول: «لا يا رب» .

فاطمة: «هل جئتِ تطالبن بمصائب ولدك الإمام الحسين عليه السلام؟» .

فتقول: «لا يا رب» . فها هنا يتعجَّب الخلائق فيقول: «إذن بمَ جئتِ

تُطالبن يا فاطمة؟» فتخرج فاطمة الزَّهراء عليها السلام طبقاً فيه كفاً أبي الفضل

العبَّاس عليه السلام اليمين والشَّمال، فتنادي فاطمة الزَّهراء: «إلهي ما ذنبُ

هذين الكفَّين حتَّى قُطِعا من الرِّند» .

أنظر إلى وفاء الزَّهراء عليها السلام لأمِّ البنين . لاشك أنَّ هذا الموقف من

الزَّهراء عليهن السلام هو قَمَّةُ الوفاء لأم البنين عليها السلام، التي ما سألت عن أولادها الأربعة يوم أخبرها بشر بشهادتهم وإنما سألت عن أبي عبد الله عليه السلام.
ولذلك لَمَّا أتى النَّاعي بشر بن حزام المدينة وقف على باب مسجد رسول الله ﷺ وجعل ينادي:

يا أهل يثرب لا مقام لكم بها قُتِلَ الحسين فادمعي مدار
الجسمُ منه بكرِلاء مُضَرَّجُ والرائسُ منه على القناة يُدارُ



ضجَّ الناس بالبكاء والتَّحبيب، يقول بشر: بينما أنا أخترق الأزقة والطُّرقات، إذ استقبلتني امرأة طويلة القامة، على كتفها طفلٌ صغير سألتُ عنها، قيل لي: هذه أم البنين وعلى متنها طفلٌ للعبَّاسِ إسمُهُ الفضل، فقالت لي: «يا بشر هل عندك علمٌ بولدي الحسين؟» فقلتُ لها: يا أم البنين تسألين عن الحسين وعندك أربع شباب مع الحسين لا تسألين عنهم.

يا أم البنين عظمَ الله لك الأجر بولدك جعفر. قالت: «يا بشر هل سئلتك عن أولادي أخبرني عن ولدي الحسين».

قلتُ: يا أم البنين عظمَ الله لك الأجر بولدك عبد الله وبولدك عبد الرحمن. قالت: «يا بشر أخبرني عن ولدي الحسين عليه السلام».

عند ذلك قلتُ لها: يا أم البنين عظمَ الله لك الأجر بولدك قمر العشيرة أبي الفضل العبَّاس. لَمَّا سَمِعَتْ أم البنين وَضَعَتْ يدها على قلبها.

قالت: «يا بشر لقد قَطَعْتَ نياط قلبي، أخبرتني بشهادة أربعة من أولادي، ولكن إعلم أنَّ أولادي وجميع من تحت الخضراء فداء لأبي عبد الله الحسين. أخبرني عن ولدي الحسين عليه السلام هل هو حيٌّ؟». عند ذلك قلتُ لها: يا أم البنين عَظَّمَ اللهُ لك الأجر بأبي عبد الله الحسين عليه السلام، فقد خَلَفناه بأرض كربلاء جُثَّة بلا رأس.

يسأيله يلي تنشدين انجان تردين الخبر زين
گعدي وهلي دمه العين الج اربعة بالطف مطاين

يگللهاعظم الله أخرج ابجعفر وعون تگلله الكل فده لحسين يرحون
يگلله عبد الله غده وياهم فرد كون تگلله الفخر ريحانة المختار
يگلله انجتل عباس اشتگولين التوت واتگول گلي ابگرة العين
بچه ودگ على رأسه وصاح يحسين اهي يحسين صاحت يبني الصار

حنت وصاحت يا هظيمه راح الحسين الجان خيمه
ابن فاطمه وراعي الحشيمه حزني على أمصابه لجيمه

بالله استعدي للجواحي يم البنين
ردوا يتامى وانذبح عباس وحسين
يم البنين الأربعة محد دفنهم
دمهم غسلهم والترب صاير جفنهم

وأمن الصُّبُح زینب مِشت للشام عنهم
 فوگ الهزل مرت وشافتهم مطاعین
 یا یم البنین الأربعة انذبحوا ظمايا
 وظلوا ثلاث تيام عالغبره عرايا
 وریتج نظرتي عالنهـر صاحب الرايه
 مفضوخ رأسه امكطعه اشماله واليمين
 یم البنین الأربعة تشهدلج الناس
 ما صار بلیوث العرايب مثل عباس
 خلا الأرض روس وجث ومطهمه الراس
 روس الاعادي وغلق الميدان صوبین

عند ذلك صاحت : وا ولداه، وا حسیناه :

اتگلّه اجاني الخبر حسین مذبح ودّمه علی التّربان مسفوح
 وجسمه علی التّربان مطروح ورأسه علی رأس السمھري ایلوح
 أنا لنوحن وگضي العُمر بالثّوح وأعمي اعيوني واتلف الروح

أبوذیه :

علی أولادي یزید النوح یمهم او فرد ساعه الدهر یمهم
 احب اکصد وجاور کون یمهم اجاورهم لمه اتجینی المنیه

المجلس السادس

إِثَارَ أُمِّ الْبَنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا

وإن أنسى لا أنسى أمَّ البنين
تنوحُ عليهم بوادي البقيع
ولم تَشل من فَقَدَت واحداً
بيومٍ به ضاع عهد النبي
غداة أبا الفضل لفَّ الصفوف
فتى ذُكِر القومُ مُذ راعهم
إذا ركَعَ السيفُ في كَفِّهِ
وحولَ الشريعةِ تحمي الفرات
وآبَ ولم يُروَ من جرعةٍ
فخرٌ على صُفَّةٍ، العَلَمِي

وقد فُقدت ولدها أجمعاً
فيَذري (الطريدُ) لها الأدمعاً
فما حال من فَقَدَت أربعاً
وخانت (أُميَّةُ) ما استودعا
وفلَّ الظُّبى والقنا الشُّرعاً
أباه الفتى البطلَ الأورعاً
هوتَ هائمهم سُجَّداً رُكَّعاً
جموعُ قضى البغى أن تجمعا
وجرَّعه الحثفُ ما جرَّعاً
صريعاً فأعظمَ به مَصْرَعاً^(١)



أم البنين عليها السلام في بيت من وصفته الزهراء بالزهد والعبادة في خطبة
فدك قائلة :

« مَكْدُوداً فِي ذَاتِ اللَّهِ مُجْتَهِداً فِي أَمْرِ اللَّهِ، قَرِيباً مِنْ رَسُولِ اللَّهِ،
سَيِّدِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ مُشْمِراً نَاصِحاً مُجِدّاً كَادِحاً، وَأَنْتُمْ فِي رَفَاهِيَةِ مِنَ الْعَيْشِ
وَادِعُونَ فَاكِهِونَ، آمِنُونَ، تَتَرَبَّصُونَ بِنَا الدَّوَائِرَ وَتَتَوَكَّفُونَ الْأَخْبَارَ ».

زهد أم البنين عليها السلام في بيت أمير المؤمنين عليه السلام

مما تميزت به أم البنين عليها السلام هو شدة ولائها لأهل البيت عليهم السلام فكانت
تتمنى أن تخدمهم بأجفان عيونها، وتبذل في سبيلهم أعز ما عندها،
حتى وهي لم تدخل رياض البيت العلوي، أما بعد دخولها البيت العلوي
فقد حولت تلك الأماني إلى واقع أدهش العقول وحير الأبواب، وبذلك
ارتقت ذروة المجد، وكانت في الخالدات.

ومع أن التاريخ لم ينصف لنا هذه المرأة المعجزة الخالدة، ولم يكتب
لنا شيئاً يستحق أن يذكر من تلك المواقف الشريفة التي أثبتت من
خلالها شدة إيمانها وولائها لأهل بيت العصمة عليهم السلام وذوبانها في حبهم
والذود عنهم، غير أننا نكتشف من خلال بعض المواقف التي وجدناها
ضائعة في بطون الكتب.

وعلى هوامش التاريخ أن هناك المئات من أمثال هذه المواقف الكريمة،
والعطر لا يُعرف بالوصف بل يتضوع فيدل على طيبه ورائحته، فمن طيب

هذه المواقف نستدل على وجود أمثالها خصوصاً في حياة ما تكللت ولا اتصفت ولا تميزت إلا بها.

ومن تلك المواقف هي إشارها علياً ﷺ على الدنيا وزينتها. منذ اللحظات الأولى التي جاءها فيها عقيل يخطبها لأخيه أمير المؤمنين ﷺ وهو يقول لأبيها: جئت بك بشرف الدنيا والآخرة أدركت جيداً أن زواجها من علي ﷺ يعني طلاقها للدنيا، وطلاقها للراحة واستعدادها للبلاء، بل لشتى أنواع المصائب والمحن، لأنها امرأة واعية وناضجة وتعرف جيداً سيرة من جاء يطلب يدها للزواج منها، فحياته مع الزهراء ﷺ، إشاره وصبره، وعناؤه حتى أنه يبقى مع الزهراء ﷺ أياماً لا يجدان ما يقتاتان به غير خاف على أحد، ولم تكن ناسية لكلام الزهراء ﷺ وهي تصف علياً في خطبتها (المعجزة) الخالدة: «مكدوداً في ذات الله مجتهداً في أمر الله، قريباً من رسول الله، سيداً في أولياء الله مشمراً ناصحاً مجداً كادحاً، وأنتم في رفاهية من العيش وادعون فاكهون آمنون، تتربصون بنا الدوائر وتتكفون الأخبار». وفي كلامها لنساء المهاجرين والأنصار وهي تصف علياً ﷺ.

«ولم يكن يحل^(١) من الغنى بطائل^(٢)، ولا يحظى^(٣) من الدنيا بنائل

(١) يحل: يعني يصيب ويستفيد.

(٢) البطائل: كثير الفائدة.

(٣) يحظى: يظفر والنائل العطاء.

غير ري الناهل^(١)، وشبعة الكافل^(٢)، ولبان لهم الزاهد من الراغب والصادق من الكاذب^(٣).

كما أنها تعرف مستوى بيت علي عليه السلام ذلك البيت المتواضع المصنوع من سعف النخل، ولم تكن في غفلة أو منأى عما حلّ به من المحن والمصائب خصوصاً بعد رحيل سيد الأنام الرسول صلى الله عليه وآله، فموافقتها للزواج من علي عليه السلام تعني أن ترضى بحياة الزهد والتقشف والهجران لمختلف مباهج الحياة الدنيا وزينتها، واستعدادها للعناء، والأواء، ومصائب الأعداء، فهي ستكون زوجة لرجل أعداؤه ومناوئوه في كل حذب وصوب، قد أعدوا لكل حق باطلاً ولكل قائم مائلاً، ولكل ليل مصباحاً، ولكل باب مفتاحاً.

لكنها تدرك جيداً في نفس الوقت أن اقترانها بعلي عليه السلام يعني سعادتها الأبدية والفوز المحقق بدار الخلود، ذلك لأنها تخدم وتطيع وتتبع أوامر ومواعظ سيد الأوصياء، وإمام الأتقياء صلى الله عليه وآله ومن يأخذ بيدها حتماً إذا ما أحسنت تبعّلها له وسارت على نهجه إلى جنات النعيم.

فالمرأة هنا أي امرأة تقف بين أمرين أحدهما مُرٌّ:

(١) الناهل : العطشان.

(٢) الكافل هنا : المحتاج إلى الطعام.

(٣) راجع أعلام النساء (لعمركأالة) : ٤ / ١٢٣.

١ - بين رغبتها في الهدوء، والحياة الدنيوية الهائلة وابتعادها عن المشاكل والمتاعب خصوصاً فيما يرتبط بالمأكل والمشرب والملبس والسكن والعشرة مع من تخالط من أبناء جنسها خصوصاً عندما تنظر إلى قريناتها يتنعمن بالمسكن الجميل، والفراش الوثير، والعيش الرغيد، والمال الكثير وهي لا تملك بل ربما تعرضت إلى السخرية والاستهزاء والتشهير والتعير ذلك لأن قيم الحياة ومفاهيمها قد تبدلت فحولت من المعروف منكراً ومن المنكر معروفاً، ومن الحق باطلاً، ومن الباطل حقاً.

٢ - وبين أن تفوز بشرف الاقتران بزوج ينقلها حتماً باتباعها له إلى سعادة الآخرة، وجنة عرضها السماوات والأرض، وهذا هو الامتحان الصعب، الذي تتعرض له المرأة على مر التاريخ وإن تغيرت صور هذا الامتحان وأشكاله.

ولهذا نجد أن زوجات الرسل والأئمة والأولياء الصالحين والعلماء يتعرضن إلى ضغوط نفسية واجتماعية ومعيشية مختلفة، فالبعض منهن تتجاوز هذه الضغوط وتتحداهن وتتصر عليهن وهذا دليل وعي وإدراك وبعضهن تفشل أمام الامتحان، وهذا كاشف عن الجهل وقلة الوعي والخلود لهذه الدنيا الفانية.

ومن هنا نجد أن الرسول صلى الله عليه وآله يصارح زوجاته منذ بداية العلاقة بينه وبينهن بين السمو وإيثار الآخرة وبين الانحدار إلى دركات حب الدنيا

وعبادة اللذة والشهوة فيقول: «إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُمْ وَأُسْرِخْكُمْ سَرَاحاً جَمِيلاً* وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُمْ أَجْراً عَظِيماً»^(١).
فمن الضغوط التي تتعرض لها زوجة النبي أو الإمام أو العالم ما يمارسه في حياته الشخصية من أرقى درجات الكمال الأخلاقي من الزهد والقناعة والإنفاق وكل ذلك ينعكس أولاً في بيته وحياته، ومع زوجاته إذ لا يعقل أن يكون أمراً للناس بتلك المثل ومخالفاً لها في منزله.

وهنا تتعرض الزوجة تلك للامتحان فإما أن تستجيب لنمط تلك الحياة طائعة وترتقي بنفسها إلى ذلك المستوى العالي لزوجها فتساعده وتسعد به، كما كان حال الصديقة خديجة بنت خويلد (سلام الله عليها) مع النبي ﷺ وإما أن تبقى حيث هي، فلا تحظى مع الرسول أو الإمام بغير المنام والمضاجعة وأحياناً بغير الطلاق والمفارقة.
لقد وجدنا من زوجات الأنبياء والأولياء من كانت كذلك... فقد ضرب الله سبحانه وتعالى في القرآن مثلاً للذين كفروا امرأتين من زوجات الأنبياء خانتا خط الأنبياء، وتركنا المسيرة الرسالية وأحبنا الدنيا، وركننا إليها، فكانتا مثلاً لكل الذين كفروا:

« ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوحٍ وَامْرَأةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاهِلِينَ »^(١).

وهذا الامتحان الصعب تعرضت له السيِّدة أم البنين عليها السلام فلم تُحَقِّق نجاحاً وتجاوزاً للضغوط فحسب، بل حققت فوزاً ساحقاً، وعملاً بطولياً شامخاً، فكانت من قوم أرادتهم الدنيا فلم يريدوها وأسرتهم ففدوا أنفسهم منها، فغدوا في رياض الجنة يرتعون، ومن نَمير الكرامة يشربون، فإيثارها علياً عليه السلام على الدنيا، وفرحها بالاقتران به هذا الموقف يثبت لنا حقيقة وعيها وعظيم ولائها لسادات الخلق الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

وفائها في بيت الزهراء عليها السلام

وكونها سيِّدة نساء العالمين من الأولين والآخرين وأنه لا يمكن أن يقاس بها من هذه الأمة بل ولا من كل الأمم أحد.

ويتجلى هذا الأمر في قولها للحسن والحسين عليهما السلام وزينب ليلة زفافها من علي « أنا ما جئت هنا لأحل محل أمكما فاطمة » ثم اختنقت بعبرتها وقالت: « أنا هنا خادمة لكم جئت لخدمتكم فهل تقبلون بهذا وإلا فإني

(١) سورة التحريم : ١٠. السيِّدة أم البنين (للشيخ أشرف الزهيري) : ٦١ عن نساء حول أهل

راجعة إلى داري»^(١) فرحب بها الحسن والحسين وزينب عليهم السلام وقالوا لها: «أنت عزيزة كريمة وهذا بيتك».

تأمل: هذا الموقف يصدر من (ضرة) تجاه (ضرتها) وتجاه أبناء (ضرتها) مع أنه إنما سميت الزوجة الأخرى (ضرة) لأن من شأنها الإضرار بسابقتها، والسابقة بلا حققتها وإن كان الإضرار حراماً.

فانظر إلى أي درجة بلغت هذه المرأة العظيمة؟ إننا نجد في حياة زوجات سيد البشر الرسول صلى الله عليه وآله التغاير، والتنافس حتى في صفات الأمور، فإذا ما أثنى الرسول صلى الله عليه وآله على واحدة من زوجاته تستحق الثناء، يلوح الغضب وتعترض الغيرة من زوجة أخرى وإن كانت المذكورة بالثناء ميتة، كما حصل للسيدة خديجة أم المؤمنين عليها السلام واعتراض الرسول صلى الله عليه وآله عليه حيث قالت: «لا زلت تذكر عجوزاً قد أبدلك الله خيراً منها» فيقول الرسول صلى الله عليه وآله: «والله ما أبدلت خيراً منها، آمنت بي حين كفر بي الناس، وأعطتني حين منعتني الناس، وصدقني حين كذبتني الناس»^(٢).

أما أم البنين عليها السلام فقد بلغت من التقوى والإيمان والولاء لأهل البيت عليهم السلام حداً جعلها تؤثر ضرتها وأبناء ضرتها على نفسها التي بين

(١) السيدة أم البنين (للشيخ أشرف الزهيري): ٦٧ عن العباس رجل العقيدة والمجاهد: ٣٤.

(٢) السيدة أم البنين (للشيخ أشرف الزهيري): ٦٧ عن سيرة ابن هشام، والسيرة الحلبية.

جنبها ذلك لعلها بأنهم سادات الأنام وأنه لا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروه.
ومعرفتهم تتطلب معرفة حقوقهم والإذعان إليهم وطاعتهم طاعة مطلقة ليست مقيدة بقيد ولا مشروطة بشرط لأنهم المعصومون الذين لا يخالفون الحق ولا يختلفون فيه.

تمريضها ﷺ للحسينين ﷺ

كل امرأة وكل فتاة تنتظر (ليلة العمر) بفارغ الصبر لتنعم بسعادة الحياة الزوجية، وخدمة من يقوم بخدمتها، إذ ليس من المتعارف لا في السابق ولا في الحاضر أن تتحول ليلة الزفاف على نحو الاختيار إلى ليلة نكد وتعب وعناء ينغص عيش الحياة الزوجية، ويكدر صفو متعتها.
ومن الصعب جداً بل ربما قارب المستحيل أن نجد امرأة في عز شبابها، وفي ليلة زفافها، تحوّل بمحض إرادتها أنسها، وهناء عيشها، في تلك الليلة إلى سهر في رعاية أبناء ضررتها، بل إننا نجد في عرفنا اليوم أنه لو تزوجت المرأة وعندها أولاد صغار من زوج سابق، فإن ليلة زفافها بل الثلاثة الأيام الأولى من زفافها لا يكون أولادها معها حتى لا ينغصوا عليها صفو سعادتها الزوجية، بل تأخذهم وترعاهم امرأة أخرى تقرب إليهم، فكيف يُترك معها أو ترضى هي بأن يبقى معها أولاد ضررتها؟

أما السيدة أم البنين عليها السلام حين زُفت إلى أمير المؤمنين عليه السلام علمت بأن الحسن والحسين عليهما السلام مريضان، والكل وقتئذ حاضر ومستعد لرعايتهما وتمريرهما في تلك الليلة وما بعدها، إلا أن أم البنين عليها السلام أبت وأصرت على أن تكون هي التي تمرضهما وترعاهما وهي (عروس) في ليلة زفافها، وقالت كلمتها التي خلدها التاريخ: «إني لن أشعر بفرحة الزواج إلا بعد شفاء أبنَي الحسن والحسين عليهما السلام»^(١).

يقول السيد المكرم في ذكر فضل أم البنين عليها السلام: «وبلغ من فضلها ومعرفتها وتبصرها بمقام أهل البيت عليهم السلام أنها لما أدخلت على أمير المؤمنين عليه السلام وكان الحسان مريضين، أخذت تلاطفهما وتسهر معهما وتقابلهما بالبشاشة وتلقي عليهما من طيب الكلام ما يأخذ بمجامع القلوب، وما برحت تحسن السيرة معهما وتخضع لهما كالأم الحنون»^(٢).

وإذا ما وجدنا امرأة ما في أيام زواجها الأولى أو فيما بعدها تحنو على أبناء ضررتها فربما كان للتقرب لزوجها ولإثبات صفاء جوهرها كيما تنال بذلك رضا زوجها وتكسب حبه وودّه، بيد أن السيدة أم البنين لم تفعل ذلك إلا من منطلق الوعي والإدراك والعلم بأن محبة أهل البيت عليهم السلام وخدمتهم والتضحية من أجلهم واجب شرعي تقوم به كيما تنال رضا الله تعالى وعفوه.

(١) العباس رجل العقيدة والجهاد : ٣٤.

(٢) أم البنين سيدة نساء العرب : ٥٠، أدب الطف : ١ / ٧٢.

ولهذا يقول الشيخ محمد رضا الحكيمي في (أعيان النساء): «ولم تخرج أم البنين إلى أحد قبل أمير المؤمنين عليه السلام ولا بعده وكانت من النساء العالمات الفاضلات، العارفات بحق أهل البيت، مخصصة في ولائهم»^(١).

حرصها على مشاعر أبناء الزهراء عليها السلام

نقل لنا التاريخ أن السيدة أم البنين عليها السلام لما انتقلت إلى بيت أمير المؤمنين عليه السلام رأت شدة تعلق أبناء الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام بأمرهم وفي نفس الوقت كان الإمام علي عليه السلام إذا ما أراد مخاطبة زوجته السيدة أم البنين عليها السلام كان يخاطبها باسمها لا بكنتيتها فكان يقول (يا فاطمة) فكانت تستأنس بسماعها اسمها (وهو خير الأسماء) من لسان בעلها الطاهر الصديق.

ولكن في نفس الوقت كانت ترقب ماذا يرتسم على وجوه أبناء الزهراء عليها السلام وهم يسمعون اسم (فاطمة) فيجدون المجيب امرأة أخرى غير أمهم! إنها مع شدة رعايتها لهم وشدة حرصها بهم وكونها لهم كالأم الحنون حتى لا يشعروا بفراغ أمهم الزهراء عليها السلام وغياها.

إلا أنها مع ذلك كانت تلحظ بعض التأثير وإن اختلفت نسبته يعلو وجه الحوراء زينب وأخويها الحسن والحسين عليهما السلام فلم تحتمل ذلك، لأنها

(١) السيدة أم البنين (للزهري): ٦٩ عن أعيان النساء (للشيخ محمد رضا الحكيمي): ٥٠.

كانت لهم أمٌ حقيقية لا أمّاً شكلية فكان تأثرهم يمزق على نحو الحقيقة أحشاءها، ويدمي فؤادها فهل ترضى بأن تستأنس بسماع اسمها العذب من لسان زوجها البر التقي والصادق الوفي، ويكون ثمن ذلك ألم أبناء الزهراء عليها السلام بتذكرهم لفراق أمهم، أو إشعارهم بأن امرأة أخرى حلّت محل أمهم؟

لو كانت امرأة أخرى غير السيدة أم البنين ربما كانت لا تعير هذا الأمر اهتماماً، بل تراه أمراً لا يستحق أن يلتفت إليه.

إلا أن السيدة العفيفة البرة الوفية أم البنين عليها السلام لم تغفل عن هذا، ولم تستهن به بل جاءت إلى بعلمها سيد الوصيين ووقفت بين يديه وقفة الأمّة المذنبية بين يدي سيدها وقالت: «يا بن العم لي عندك حاجة».

فأجابها الزوج الكريم وهو يعرف مقام من تحدّثه: «ما حاجتك يا ابنة العم يا فاطمة؟».

قالت: «حاجتي أن لا تسميني فاطمة!!!».

وأدرك علي عليه السلام سر ذلك فسألها مبتسماً سؤال العارف وما تبسمه إلا شهادة رضا بموقفها العظيم. ولماذا يا ابنة العم؟

قالت: أرى آثار الحزن والتأثر على وجه الحسن والحسين وزينب عند سماعهم اسم أمهم وهذا يؤلمني ويشق عليّ.

فقال عليه السلام: «يا ابنة العم وأي الأسماء أحب إليك؟».

فقلت عليها السلام: «سَمَّني بـ(أم البنين)» وقد أطلق عليها هذه الكنية تفاؤلاً بالبنين بعد ولادتها على أصح الأقوال فاستجاب لها الإمام وبقي لا يناديها إلا بأم البنين وكان الناس لا يخاطبونها إلا بهذا الاسم إلى ما بعد واقعة الطف وإلى أن وصلها نبأ مصرع كل أبنائها.

خروجها عليها السلام إلى البقيع للنياحة

فكانت تخرج إلى البقيع كل يوم وتصنع قبوراً أربعة أو خمسة تكتب عليها أسماء أولادها، وتأن أنين السقيم وتتوح على أولادها حتى أن مروان بن الحكم العدو للددود لأهل البيت يبكي لبكائها وأنيها، وكان يجتمع الناس لسماع رثائها فيكون لشجى ندبها، وإذا ناداها أحد باسم أم البنين، كانت تجيبهم بكل ألم وحرقة:

لا تدعوني ويك أم البنين	تذكريني بليوث العرين
كانت بنون لي أدعى بهم	واليوم أصبحت ولا من بنين
أربعة مثل نسور الربي	قد واصلوا الموت بقطع الوتين
تنازع الخرصان أشلاءهم	فكلهم أمسى صريعاً طعين
يا ليت شعري أكما أخبروا	بأن عباساً قطع اليمين



وكأنني بها تنادي بين القبور وا حسيناه، وا إماماه، وا عباساه، وا ولداه.

[مجاريد]

يا لوالها اعليمن تنوحين	تقول البجه والنوح لحسين
احنه أمهات أولاد حيين	أو عن نوح ابنها فاطمه وين
الها العزه واحنه المعزين	أنا الفاجده اثنين واثنين
محاريب خمسه امد كل حين	عليهن ارش ابدمة العين

* * *

[أبودية]

على الأولاد زيدي النوح يمهم	ابفرد ساعه بالطبگ يمهم
احب اكصد وجاور كون يمهم	اجاور لما اتجيني المنية

* * *

يا ليت غائبنا يعود لأهله	فتقول أهلا بالحبيب ومرحبا
يا غائبا عن أهله اتعود أم	تبقى إلى يوم المعاد مغيبا

* * *

لطمية لأم البنين عليها السلام (١)

يالحادي الخذت مني شبابي	ريّض بالظعن وأسمع عتابي
آنه الوادله انخاك	روحي راحت اوياك
ريّض بالظعن وأسمع عتابي	

خف الظعن هالصوت الينادي ارحم حالتي ورِيض يحادي
من عندي خذت مهجة الهادي يلحادي وخذت اربعة اولادي

خليت الكلب يلحادي محتار

المن ظَلّتي اشظل عندي بالدار

صوتي ابخره ناداك روحي راحت اوياك

رِيض بالظعن وأسمع عتابي

يلحادي الدهر ما أنصف ابيوم امحزّم بالحزن واغبالي ابحوم
انحسّب والكلب مجمن للهموم من عندك لون ما رجعت اعلوم

مابطل يهالحادي ونيني

لمن طارش احبابي يجيني

وبلجن ترد اتناك روحي راحت اوياك

رِيض بالظعن وأسمع عتابي

هاي ام البنين اتودّع حسين ابحسره اموجّره وبدمعة العين
صاحب راشده يوليدي لا وين ملجوم الكلب من سطرة البين

خوفي امن الدهر يوليدي غدار

لگعد عالدرب وأنشد عالاخبار

وابگه يبني برجاك روحي راحت اوياك

رِيض بالظعن وأسمع عتابي

صاحت يا گمر هاشم يعباس يومك هذا يا صاحب النوماس
وبيوم الكلايف رفعة الراس من شفت الدرع والسيف والطاس

كبرت فرحتي ودلالي ارتاح

ومن كثر الفرح يبني الكلب صاح

هذا حسين بحماك روحي راحت اوياك

ريّض بالظعن وأسمع عتابي

ذوله اخوتك يبني اوياك يرحون للزهره اريدنكم توافون
طول الدرب ويّه الظعن تبرون وينام الأخو وانتم تسهرون

وصّاني اخبركم ابوكم

لو كلّفكم ابواجب اخوكم

ابشر صيحوا عيناك روحي راحت اوياك

ريّض بالظعن وأسمع عتابي

عبّاس الظعن انتّه چفيله وبيدك سلّمت يبني العقيله
غيبّتكم لون صارت طويله دمع امكم فلا يبطل مسيله

يا با الفضل يا زهرة زماني

انتّه الوفي الما تنسه حناني

يبني اتذكّر ارباك روحي راحت اوياك

ريّض بالظعن وأسمع عتابي

المجلس السابع

حول مجربات التوسل بأُم البنين عليها السلام

سِرَ بالمشاعرِ للحجازِ ونادي
عن وجهة الإسلام هلا تُخبري
أيام بنت حزامَ فاطمَ مَنْ بِها
دخلت لدار المرتضى تحنوا على
أُم البنين وحسبها من مفخرٍ
ومن الثمارِ غالها بين الملا
جادت بهم دون الحسين وقَدّمت
حتى إذا قالوا لها قتل الذي
ولدي قُتلت وليت قبلك مقتلي
أحسين تذبح ظامياً في كربلا
ولدي أما كانت لديك عشيرةُ
حتى أتتك بنو أمية مفرداً
سأقول أربعةً فديتُ لأجله

يا روضةَ الإيمانِ والأُمجاد
أجيالنا عن رفعةٍ وجهادٍ
ويذكرها السَّهل امتلى والوادي
أولاده وتذوب في الأولادِ
ما أدخلته عليه من إسعادٍ
نعم الليوث لوقفه ونجادٍ
أولادها بعزيمةٍ وسَدادٍ
عنه تذودي أعولت بحرادٍ
يا مقرح الأُجفان والأُكباد
والرأس منك يُشالُ بالمِئادِ
لِتَذُبَّ عنك تلهُفاً بتفادي
وتواردوك بشفرةِ الأحقادِ
وغمرتهُ بمحبّتي وودادي

قال الله الحكيم في محكم كتابه الكريم :

«بسم الله الرحمن الرحيم»

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(١).

(صدق الله العلي العظيم)

حقيقة التوسل إلى الله وأوليائه

إن مسألة التوسل من أهم الضروريات العقائدية الينا لا يمكن للمؤمن من ان يتغاضى عنها ولا للمؤمنه ان تنهاون بها، وقد اشارت الآية المباركة إلى ذلك «وابتغوا إليه الوسيلة» فان: توجه هذه الآية الخطاب إلى الأفراد المؤمنين، تتضمن تكاليف ثلاثة يؤدي الإلتزام بها وتطبيقها إلى نيل الفلاح، وهذه التكاليف هي:

١ - اتّباع الحيطة والتقوى، كما تقول الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ...﴾.

٢ - إختيار وسيلة للتقرب إلى الله سبحانه وتعالى، حيث تقول الآية: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ...﴾.

٣ - الجهاد في سبيل الله، إذ تقول الآية: ﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ ...﴾.

وستكون نتيجة الالتزام بهذه التكاليف الإلهية وتطبيقها نيل الفلاح، بشرط تحقق الإسلام والإيمان فتقول الآية الكريمة في هذا المجال: **لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ** .

إنَّ أهم موضوع سنتناوله بالبحث في هذه الآية، هو الدعوة الموجهة للإنسان المؤمن لاختيار طريقة تؤدي إلى الله سبحانه وتعالى .
فكلمة «الوسيلة» في الأصل بمعنى نشدان التقرب أو طلب الشيء الذي يؤدي إلى التقرب للغي عن ميل ورغبة، وعلى هذا الأساس فإن كلمة «الوسيلة» الواردة في هذه الآية لها معان كثيرة واسعة، فهي تشمل كل عمل أو شيء يؤدي إلى التقرب إلى الله سبحانه وتعالى .

وأهم الوسائل في هذا المجال هي الإيمان بالله وبنبيه ﷺ والجهاد في سبيل الله، والعبادات كالصلاة والزكاة والصوم، والحج إلى بيت الله الحرام، وصلة الرحم، والإنفاق في سبيل الله سرّاً وعلانية، وكذلك الأعمال الصالحة ج كما يقول الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في خطبة له وردت في «نهج البلاغة» منها:

«إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَوَسَّلَ بِهِ الْمُتَوَسِّلِينَ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِيْمَانُ بِهِ وَبِرَسُولِهِ وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ فَإِنَّهُ ذِرْوَةُ الْإِسْلَامِ وَكَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ فَإِنَّهَا الْفِطْرَةُ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ فَإِنَّهَا الْمِلَّةُ^(١)، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ فَإِنَّهَا فَرِيضَةٌ

وَاجِبَةً، وَصَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ فَإِنَّهُ جُئْتُ مِنَ الْعِقَابِ، وَحَجُّ الْبَيْتِ
وَاعْتِمَارُهُ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ، وَيَرْحَضَانِ^(١) الذَّنْبَ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ فَإِنَّهَا
مَثْرَاءُ^(٢) فِي الْمَالِ وَمَنْسَاءُ^(٣) فِي الْأَجَلِ وَصَدَقَةُ السَّرِّ فَإِنَّهَا تُكَفِّرُ
الْخَطِيئَةَ، وَصَدَقَةُ الْعَلَانِيَةِ فَإِنَّهَا تَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ، وَصَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ
فَإِنَّهَا تَقِي مَصَارِعَ الْهَوَانِ ...»^(٤).

كما أن شفاعة الأنبياء والأئمة والأولياء الصالحين تقرب - أيضاً -
إلى الله وفق ما نصّ عليه القرآن الكريم، وهي داخلة في المفهوم الواسع
لكلمة «الوسيلة»؛ وكذلك إتباع النبي والإمام والسير على نهجهما، كل
ذلك يوجب التقرب إلى الساحة الإلهية المقدسة.

وحتى عندما نقسم على الله بمقام الأنبياء والأئمة والصالحين فإنه يدل
على حبنا لهم والاهتمام بالدين الذي دعوا إليه، هذا القسم يعتبر - أيضاً -
واحداً من المعاني الداخلة في المفهوم الواسع لكلمة «الوسيلة».

والذين خصصوا هذه الآية وقيدوها ببعض هذه المفاهيم لا يمتلكون
في الحقيقة أي دليل على هذا التخصيص، لأن كلمة «الوسيلة» تنطلق
في اللغة على كل شيء يؤدي إلى التقرب.

(١) يرحضان : يطهران أو يغسلان.

(٢) مثراة : مكثرة.

(٣) منساة : مطيلة.

(٤) نهج البلاغة، الخطبة : ١١٠.

والجدير بالذكر هنا هو أَنَّ المراد من التوسل لا يعني -أبداً طلب شيء من شخص النبي أو الإمام، بل معناه يبادر الإنسان المؤمن - عن طريق الأعمال الصالحة والسير على نهج النبي والإمام- بطلب الشفاعة منهم إلى الله، أو أن يقسم بجاههم وبدينهم (وهذا يعتبر نوعاً من الإحترام لمنزلتهم وهو نوع من العبادة) ويطلب من الله بذلك حاجته، وليس في هذا المعنى أي أثر للشرك، كما لا يخالف الآيات القرآنية الأخرى، ولا يخرج عن عموم الآية الأخيرة موضوع البحث «فتدبر».

التوسل في القرآن الكريم

هناك آيات قرآنية أخرى تدل بوضوح على أَنَّ التوسل بمقام إنسان صالح عند الله، وطلب شيء من الله عن طريق التوسل بجاه هذا الإنسان عند الله، لا يعتبر أمراً محظوراً ولا ينافي التوحيد. كما تذهب إلى ذلك الوهابية البغيضة.

فنحن نقرأ في الآية (٦٤) من سورة النساء قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَّحِيماً﴾؛ وكما نقرأ في سورة يوسف، إِنَّ أخوة يوسف طلبوا من أبيهم أن يستغفر لهم الله، فقبل يعقوب هذا الطلب ونفذه.

قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ قَالَ

سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ^(١).

وكذلك من سورة التوبة تشير إلى موضوع استغفار إبراهيم لأبيه كما قال تعالى: «وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ»^(٢).

ولابد أن نعلم ان استغفار إبراهيم والدعاء لأبيه لأنه كان يأمل منه الإيمان وأن يجذبه إلى التوحيد عن هذا الطريق وكان استغفاره هو «اللهم اهده وتجاوز عن ذنوبه السابقة» لكن لما ارتحل آزر من هذه الدنيا وهو مشرك ترك استغفاره لازر.

وعلى هذا فان المسلمين أيضاً يستطيعون ان يستغفروا لأصدقائهم وأقاربهم من المشركين ماداموا على قيد الحياة إذا كان هناك أمل لهدايتهم، إلا أنهم إذا ماتوا وهم كفار فلا مجال للاستغفار بعد ذلك^(٣).

ومن الآيات الواردة والتي تحرّض على التوسل قوله تعالى: «أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً»^(٤).

وقد ورد هذا الموضوع في آيات قرآنية أخرى أيضاً.

(١) سورة يوسف : ٩٧ - ٩٨.

(٢) سورة التوبة : ١١٤.

(٣) الأمل : ٦ / ٢٣٨.

(٤) سورة الأسراء : ٥٧.

التوسل في الروايات الإسلامية

إن الروايات العديدة التي وردت عن طرق الشيعة والسنة تفيد بوضوح أن التوسل بالمعنى الذي عرضناه لاريب فيه ولا شبهة فيه، بل أنه يعد عملاً جيداً أيضاً، وهذه الروايات كثيرة وقد نقلتها كتب عديدة، ونحن نورد بعضاً منها مما ورد في مصادر جمهور السنّة على سبيل المثال لا الحصر.

١ - جاء في كتاب «وفاء الوفا» لمؤلفه العالم السنّي المشهور «السهودي» إن طلب العون والشفاعة من النبي ﷺ أو التوسل إلى الله بجاه النبي ﷺ وشخصه جائز قبل أن يولد ص وبعد ولادته ووفاته وفي عالم البرزخ وفي يوم القيامة.

ثم ينقل «السهودي» في هذا المجال عن عمر بن الخطاب الرواية المعروفة التي تتحدث عن توسل آدم ﷺ إلى الله بنبي الإسلام محمد ﷺ وذلك لعلم آدم بأنّ هذا النبي سيأتي إلى الوجود في المستقبل، ولعلمه بالمنزلة العظيمة التي يحظى بها عند الله، فيقول آدم: «رَبِّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ لَمَّا غَفَرْتَ لِي»^(١).

ثم ينقل «السهودي» حديثاً آخر عن جماعة من رواة الحديث كالنسائي والترمذي، وهما عالمان مشهوران من أهل السنّة، كدليل على جواز التوسل

(١) تفسير الأمتل : ٣ / ٦٨٩ عن وفاء الوفاء (للسهودي) : ٣ / ١٣٧١ في كتاب «التوصل إلى حقيقة التوسل» : ٢١٥؛ نقل الحديث المذكور أعلاه كواحد من دلائل النبوة.

بالنبي ﷺ في حياته وخلاصة هذا الحديث إن رجلاً بصيراً طلب من النبي أن يدعو له بشفاء مريضه، فأمره النبي ﷺ بتلاوة هذا الدعاء: «اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي لتقضي لي، اللهم شفعه في»^(١).

وبعد هذا الحديث ينقل «السهودي» حديثاً ثالثاً في جواز التوسل بالنبي ﷺ بعد وفاته، فيذكر أن صاحب حاجة جاء في زمن عثمان إلى قبر النبي ﷺ، فجلس بجوار القبر ودعا الله بهذا الدعاء: «اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد ﷺ نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك أن تقضي حاجتي».

ثم يضيف «السهودي» إنه لم تمض فترة حتى فضيت حاجة الرجل^(٢).
٢ - أما صاحب كتاب «التوصل إلى حقيقة التوسل» الذي يعارض بشدة موضوع التوسل فهو ينقل (٢٦) حديثاً من كتب ومصادر مختلفة ينعكس منها جواز التوسل، ومع أنه سعى في أن يطعن بإسناد تلك الأحاديث، إلا أن الواضح هو أنه متى ما كانت الروايات كثيرة - في موضوع معين لدرجة التواتر - لا يبقى عند ذلك مجال للطعن، والتجريح في سند الحديث، والروايات التي وردت في المصادر الإسلامية بشأن التوسل قد تجاوزت حد التواتر لكثرتها.

(١) تفسير الأمل عن كتاب وفاء الوفاء (للسهودي): ١٣٧٢.

(٢) وفاء الوفاء: ١٣٧٣.

ومن هذه الأحاديث التي رواها صاحب الكتاب المذكور، الحديث التالي: نقل «ابن حجر المالكي» صاحب كتاب «الصواعق» عن الإمام «الشافعي»، وهو أحد أئمة السُنَّة الأربعة المشهورين، أنه كان يتوسل إلى أهل بيت النبي ويقول:

آل النبي ذريعتي وهم إليه وسيلتي
أرجو بهم أعطى غداً بيد اليمين صحيفتي^(١)



وينقل صاحب كتاب «التوصل...» أيضاً عن (البهيقي) أن الجفاف أصاب المسلمين في أحد الأعوام من عهد الخليفة الثاني، فذهب بلال ومعه عدد من الصحابة إلى قبر النبي ﷺ وقال: «يا رسول الله استسق لأمتك... فإنهم قد هلكوا...»^(٢).

ونقل أيضاً عن «ابن حجر» من كتاب «الخيارات الحسان» أن الإمام الشافعي كان أثناء وجوده في بغداد يزور أبا حنيفة ويتوسل إليه في حوائجه^(٣).

ومن صحيح «الدارمي» ينقل صاحب كتاب «التوصل...» أيضاً، أن بعض الصحابة في المدينة اشتكوا إلى عائشة ما يعانونه من الجفاف

(١) كتاب التوصل : ٣٢٩.

(٢) تفسير الأمتل : ٦٩٠ عن كتاب التوصل : ٢٥٣.

(٣) كتاب التوصل : ٣٣١.

الشديد الذي أصاب البلدة في أحد الأعوام، فأشارت عليهم أن يفتحوا فجوة في سقف المسجد على قبر النبي ﷺ حتى ينزل الله المطر ببركة قبر النبي ﷺ ففعلوا ذلك ونزل مطر غزير!

ونقل «الآلوسي» في تفسيره الكثير من الأحاديث والروايات الشبيهة بالأحاديث المارة الذكر، ولكنه بعد إجراء تحليل ونقاش طويل حولها حتى أنه تشدد في نقدها اضطر إلى الإذعان بها، فذكر أنه بعد البحث الذي أجراه لا يرى مانعاً من التوسل إلى الله بمقام النبي ﷺ سواء في حياته أو بعد وفاته، ثم أطال البحث في هذا المجال، وقال بأن التوسل إلى الله بمقام غر النبي لا مانع فيه - أيضاً - شريطة أن يكون المتوسل به صاحب منزلة عند الله^(١).

أما مصادر الشيعة فقد تناولت هذا الموضوع بشكل واضح، لا نرى معه أي حاجة إلى نقل الأحاديث الواردة بهذا الصدد.

ملاحظات ضرورية في التوسل

نرى من الضروري - هنا - الإشارة إلى عدة أمور:

١ - لقد أسلفنا القول بأن التوسل ليس معناه طلب الحاجة من النبي أو الإمام، بل المراد منه جعل النبي أو الإمام شافعاً إلى الله في قضاء

(١) تفسير الأمل: ٦٩٠، روح المعاني: ٤ - ٦ / ١١٤ - ١١٥.

الحاجة، وهذا الأمر - في الحقيقة - توجه إلى الله، لأن احترام النبي ﷺ إنما هو من أجل أنه رسول الله والسائر على هداه، والعجب هنا أن يدعي البعض أن هذا التوسل نوع من الشرك، في حين أن المعروف عن الشرك هو القول بوجود من يشارك الله سبحانه في صفاته وأعماله، والتوسل الذي تحدثنا عنه لا صلة له مطلقاً ولا تشابه مع الشرك.

٢ - يصرّ البعض وجود الفرق بين حياة النبي ص والأئمة المعصومين ﷺ وبين وفاتهم، وكما رأيت فإن الكثير من الأحاديث السالفة كان يخص ما بعد وفاة النبي ﷺ، بالإضافة إلى ذلك فإن الفرد المسلم يعتقد بأن للنبي والصالحين بعد وفاتهم حياة برزخية أوسع من الحياة الدنيا، وقد صرح القرآن في هذا المجال بخصوص حياة الشهداء، حيث أكد أنهم ليسوا «أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ...»^(١).

٣ - وأصرّ آخرون على أن هناك فرقاً بين طلب الدعاء من النبي ﷺ وبين القسم على الله بجاه النبي، فهؤلاء يجيزون طلب الدعاء ولا يجيزون ما سواه، في حين لا يوجد بين هذين الأمرين أي فرق منطقي.

٤ - يسعى البعض من كتاب وعلماء السنة وبالأخص «الوهابيون» منهم، وبعناد خاص، إلى الادعاء بضعف جميع الأحاديث الواردة في موضوع التوسل، أو تجاهلها بشتى الحجج الواهية.

وهؤلاء يبحثون هذا الموضوع بأسلوب خاص يظهر من خلاله لكل ناظر محايد أنهم اختاروا في البداية هذا الاعتقاد لأنفسهم، ثم يحاولون -بعد ذلك- فرضه على الروايات الإسلامية ويعمدون بشكل من الأشكال إلى إزاحة كل من يخالف معتقدهم هذا عن طريقهم، وهذا الأسلوب المشوب بالعصبية ومجافاة المنطق لا يقبل به أي باحث منصف مطلقاً.

٥ - لقد بينّا أنّ أحاديث التوسّل قد وصلت بكثرتها إلى حد التواتر، أي أنّها لو فرقتها تغني الباحث عن التحقيق في أسانيدها، إضافة إلى ذلك فإنّ من بين هذه الأحاديث الكثير من الروايات والأحاديث الصحيحة، فلا يبقى بذلك لمن يريد الاعتراض على بعض الأسانيد أي مجال.

٦ - ويتبيّن ممّا قلناه سابقاً أنّ لا تناقض بين الروايات التي وردت في تفسير الآية الأخيرة تلك التي تقول بأنّ النّبي دعا الناس إلى أن يطلبوا له الوسيلة من الله، أو ما جاء عن الإمام علي عليه السلام في كتاب «الكافي» من أنّه قال: بأنّ (الوسيلة) هي أرفع وأسمى منزلة في الجنّة فلا ينافي ما ذكرناه نحن في تفسير الآية، لأنّ الوسيلة -كما أوضحنا- تشمل كل أنواع التقرب إلى الله، وإنّ تقرب النّبي ﷺ إلى الله، وكذلك ما قيل عن أرفع منزلة في الجنّة، هما من مصاديق الوسيلة^(١).

مجربات التوسل بأم البنين عليها السلام

نذكر هنا بعض الختومات والنذورات المجربة وآداب التوسل بهذه السيّدة المباركة وعن طريق بعض العارفين والعلماء الصالحين .

يقول المرجع الكبير السيّد محمود الشاهرودي المتوفى في (١٧ شعبان ١٣٩٤ هـ): «إني أصلي على محمّد وآل محمّد مائة مرة وأهديها إلى أم البنين عليها السلام فتقضى حاجتي» .

ومن المجربات: قراءة سورة «يس» عشر مرات في أربعة أسابيع وهو كما يلي:

يقرأها في ليلة الجمعة من الأسبوع الأول (ثلاث مرات) .
وفي ليلة الجمعة من الأسبوع الثاني يقرأ (ثلاثاً) .
وفي ليلة الجمعة من الأسبوع الثالث يقرأ (ثلاث مرات) أيضاً .
وفي ليلة الجمعة الأخيرة في الأسبوع الرابع يقرأها (مرة واحدة) ويهديها لأم البنين عليها السلام نيابة عن أبي الفضل العباس عليه السلام فإنها ستقضى حاجته إن كانت مشروعة إن شاء الله تعالى .

وينقل عن السيّد محمّد الروحاني (عليه الرحمة) أنه كان يتوسّل في المهمات والمشاكل المعضلة بأم البنين عليها السلام فتقضى وتنكشف، وحتى في عوارضه الخاصة حيث ذكر بأنه:

ابتلي ذات مرة بآلم شديد في أحد أسنانه، وكان ألماً مُبرحاً لا يطاق،

فراجع طبيبه الخاص الدكتور الطريحي فلم يجده، فلما اشتد به الألم نذر الله إن نجاه من هذا الألم أن يستأجر من يزور كربلاء نيابة عن أم البنين عليها السلام في ليلة الجمعة القادمة، فلم تمض لحظات حتى سكن الألم وكأن شيئاً لم يكن. وفي عصر اليوم التالي عاد الألم مجدداً فقال السيد: يبدو أن الطبيب قد حضر، فراجعته فوجده في مطبّه، فقلع سنّه بعد أن كان لا بد من قلعه فارتاح من بلائه، كل ذلك السكون من بركة أم البنين عليها السلام.

إهداء زيارة عاشوراء واطعام الطعام لأم البنين عليها السلام

قال السيد محمد حسين زاه العقيد المتقاعد المعروف في مدينة (كرج) الإيرانية من ضواحي طهران العاصمة: كنت مشغولاً بالتدريس يوم الجمعة وقت العصر إذ دخل أحد التلاميذ ذاهلاً فاستأذن وقال: إن أبي الآن يعالج الموت، وقد تركته في سكراته محتضراً ووجهته إلى القبلة وجئت لأعتذر إليك عن التأخير وأعود إليه.

فقلت له: اسمع مني سأروي لك حديثاً عن سيدتي فاطمة الزهراء عليها السلام فإنها قالت: سألت أبي رسول الله صلى الله عليه وآله أي ساعة أفضل لاستجابة الدعاء؟ فقال صلى الله عليه وآله: عند الغروب يوم الجمعة.

فنحن ندعو ولكن الأفضل أن تنذر أيضاً نذراً قال: إني الآن في حالة من الاضطراب وتشّت البال بحيث لا أدري ماذا أفعل وماذا أنذر، أرجو أن تنصحنني وتعلمني وترشدني إلى ما أفعل؟

فقلت له: انذر الآن أن تقرأ زيارة عاشوراء (عشر مرات) وتهديها لأُم البنين ﷺ بقصد شفاء والدك.

فقال: أفعل، ورجع إلى البيت مسرعاً، فلما دخل البيت بلغ له العجب غايته، إذ رأى أباه واقفاً في ساحة الدار مشغولاً بالضوء والاستعداد لصلاة المغرب، فسأل عن ذلك، فأخبروه أنه منذ نصف ساعة انقطعت عنه الحمى فجأة وأخذ يتمائل إلى الشفاء وبدأت أعراض الموت تزول منه حتى قام واقفاً على قدميه.

قال العقيد: وها هو ذا الأب حفظه الله يشغل بالقرب منا سالماً غانماً يواصل عمله.

وفي إطعام الطعام لأُم البنين ﷺ والذي يعتبر من المجربات. نقل السيّد صادق الواعظ في قم المقدسة حيث قال:

كنت في طهران أرتقي المنبر وكان اليوم التاسع من المحرم، وركبت سيارة للذهاب إلى قراءة المجلس، وكان الشارع مزدحماً لا تكاد السيارة تقطع الطريق إلّا بشق الأنفس، وذلك لكثرة المواكب المنطلقة ذلك اليوم فتساءل السائق قائلاً: ماذا حدث؟ لماذا كل هذا الزحام؟ فقلت: ألسنَ مسلماً؟ ألا تدري أن اليوم هو اليوم التاسع من المحرم، وهو يوم عزاء أهل البيت ﷺ ومصائبهم.

قال: كلا أنا مسيحي.

قلت: اليوم يوم العباس ﷺ - عند بعضهم ينسبون التاسع للعباس ﷺ -.

قال: نعم أنا أعرف أبا الفضل العباس جيداً، واستطرد قائلاً:
كنت عقيماً محروماً من نعمة الولد، وبعد زمان رزقت ولداً إلا أنه
ككان مشلولاً مقعداً، فصرفت كل ما عندي وبعث بيتي وأنفقتها في
علاجه دون نتيجة.

وفي ذات ليل دخلتُ بيتي -وكنت مستأجراً أسكن مع صاحب الدار-
فرأيت زوجتي تبكي فقلت لها: ماذا حدث؟
قالت: إن صاحبة الدار دعنتني للحضور على سفرة أم البنين عليها السلام.
قلت: من هي أم البنين؟

فشرحت لي ما سمعته عنها ثم قالت: لقد أخذت ولدي وأجلسته
على مائدة أم البنين فتعال نجلس هذا الطفل في حجرنا هذه الليلة
ونتوسل بأبي الفضل العباس معاً.

وبالفعل اتفقنا وفعلنا ذلك حتى أخذنا التعب، فتركنا الصبي لحاله
واضطجعنا في الإيوان (البلكون)، وفي منتصف الليل رأيت -بهذه
عيني- الطفل وقد قام معتمداً على رجله وأخذ يركض، ففزعت
وصرخت به: ماذا حدث؟

قال: من هذا السيد الفارس الذي جاءني؟
هذه هي معجزة أبي الفضل العباس عليه السلام التي رأيتها بعيني فكيف لا أعرفه؟
وهناك طرق متعددة في ابتغاء الوسيلة بهذه السيدة الجليلة كختم
سورة الأنعام و(مائة مرة) سورة القدر وسورة الإخلاص وكل ذلك

يحتاج إلى تفصيل قد لا يناسب هذا المختصر، وقد أرشدنا نبي الرحمة صلى الله عليه وآله بقوله «إنما الأعمال بالنيات»^(١).

زينب عليها السلام عند احتظار أم البنين عليها السلام

هذه السيدة الكريمة العالمة كانت تتمنى حضور أولادها عند نعشها كما هو شأن كل فقيد وكل أم ولكن أسفي على أم البنين عليها السلام حيث فارقت الحياة وتتمنى حضور العباس وأخوته عليهم السلام عند موتها حتى يقومون بتجهيزها وحمل نعشها ودفنها نعم فارقت الحياة وهي بعيدة عن قبور أولادها الأربعة.

ولكن ساعد الله قلب زينب عليها السلام وهي تنظر إلى أم البنين وهي تفارق الحياة فرمت بنفسها عليها وهي تنادي وإمامه وإمامته ولسان حالها:
بطلت وننتها ومنها غمضت العين

وزينب عليها تلطم الهامه بليدين

طاحت عليها بتعلي وتلطم على الراس

واتجاذب الحشرات واتصّد بالأنفاس

وتقول رحتي اليوم عني يا أم عباس

ذوب افواج يا حزينه فقد لبنين

(١) السيدة أم البنين (للشيخ أشرف الزهيري) : ١٨٢.

فقدج يا يمه هيج اعليه احزاني
 جدد عليه امصيتي وفجعت أخواني
 ياليت من قلبج ييمّه الموت جاني
 بسّي يا يمه من الفجيعة او غصّة البنين

* * *

قلبي من الهم انصدع ومن المصايب
 فرفرت روحي وراعها فقد الحبايب
 طول العمر دمعي على الأحباب ساكب
 من يوم فارقت أخوتي ما نشفت العين

* * *

فتحي اعيونج يا حزينه جاوبيني
 مقدر على افراقج يا يمه تعرفيني
 كل يوم إنتي بالمصيبه اتساعديني
 انا على اخواني أحن وانتي إعلى لبنين

* * *

وتالي خذتها للغسل بنت النجابه
 وتجري دموع العين عالخد بنسكابه
 وتقول هالمنزل بعد ينفلق بابه
 مقدر اعاين منزله يا أم البنين

* * *

لطمية لأُم البنين ﷺ^(١)

ويلادي النشامه اتعودون ابسلامه
بيكم أنه مفتخره وافوا الطاهره الزهره
اتعودون ابسلامه

* * *

أنه يا شبان أمكم يلربيتوا ابوسط جبدي
ابدلت كل حيلي وجهودي وابرباكم امل عندي
بيكم ارد اوفي الزجيه يل الولد كل هذا كصدي
يا ما ليالي ساهرت واتعاب برباكم شفت
من لبن طاهر رَضَعْت وعمرى صار الكم يولدي
كل ذيج الليالي مرسومه ابخيالي
هذا اليوم انتظره وافوا الطاهره الزهره
اتعودون ابسلامه

* * *

اوصيّه وصاني ابوكم حيدره حامى الحميّه
وأنه كل عمري نذرته من أجل هاي الوصيّه
دُخِر كال الولد عندج والوفه بالغازيه

(١) للسيد سعد الذبحاوي.

واربات حمّاي الحمه	ويلاي ولد الفانمه
خلّو وكفتكم سويّه	لحسين مهجه فاطمه
وظل بالّه عليكم	حيدر وصّهب يكم
وافوا الطاهره الزهره	صحت وآنه مبتشره

اتعودون ابسلامه

ثمره ترجمه من سهرها	يلولد كل أم حنينه
اويا اصبي عيني ونظرها	وانتو يا ثمرة دليلي
الرخصّث الكم عمرها	آنه أمكم يبعد امكم
يا عمد بيتي وهييته	يا ثمر گليبي وطيبته
كربله عدكم خُبرها	انتو الدليل ودگته
وافو اليوم عهدي	انخاكم يولدي
وافوا الطاهره الزهره	لتخلوني بالحسره

اتعودون ابسلامه

ساعِد حسين وعضيده	انته يا عباس يبنّي
لا تخلّيها وحيدّه	كفلت زينب وانته اخوها
نقّذ الها اشما تريده	اعليك يا عباس املها

انطاك أبو اليمه العَلَم وتكفلت أمر الحرم
ويّه اخوتك أهل الشيم تعنوا لدروب البعيده
تحرصون العقيله بهل السفره الطويله
عينوا زينب الكُبره وافوا الطاهره الزهره
اتعودون ابسلامه

* * *



المجلس الثامن

حول كرامات أم البنين عليها السلام

تَجْرِي الدَّمْعُ عَلَى الْخُدُودِ هَوَامِيَا
وَتَبْكِي حُسَيْنَا حِينَ رَاحَ بِأَهْلِهِ
بِهِ وَحَدَّاهَا تَبْكِي عَلَيْهِمْ حَزِينَةً
تَرَى مَنْزَلَ الْأَحْبَابِ قَدْ ظَلَّ مُقْفَرًا
وَضَلَّتْ تَقَاسِي الْهَمِّ وَالْحُزْنَ وَالْأَسَى
إِلَى أَنْ أَتَى نَاعِي الْحُسَيْنِ لِيُثْرِبَ
أَيَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ بِهَا
وَمِنْ حَوْلِهِ الشُّبَّانُ صَرَعى عَلَى الثَّرَى
فَمَذْ سَعَمْتَ أُمَ الْبَنِينَ بِنَعِيهِ
تَقُولُ تَكْهَلُ لِي أَيَا بَشْرُ سَاعَةٍ
فَقَالَ وَمَنْ أَنْتِي وَمَنْ هُوَ تَرْتَجِي
فَبَلَّلَهُ هَلْ عَادَ الْحُسَيْنُ لِدَارِهِ

وَتَدْعُو بِدَوْرًا حَيْثُ غَابُوا ضَوَارِيَا
وَقَدْ ظَلَّ بَيْتَ الْمَجْدِ يَنْعَاهُ خَالِيَا
وَفِي قَلْبِهَا مِنْ نَارِهِ مِنَ الْوَجْدِ وَارِيَا
وَفِيهِ غَرَابُ الْبَيْنِ لَا زَالَ نَاعِيَا
وَمَدْمَعُهَا بِالْدمِّ فِي الْخَدِّ جَارِيَا
بِقَتْلِ حُسَيْنِ السَّبْطِ ظَلَّ مُنَادِيَا
فَأَنْ عِمَادَ الدِّينِ بِالطُّفِ ثَاوِيَا
كَانَهُمُ الْأَقْمَارُ ظَلُّوا أَضَاحِيَا
إِلَيْهِ أَتَتْ وَالْدمْعُ فِي الْخَدِّ جَارِيَا
بِنَعِيكَ هَذَا قَدْ أَذَبَتْ فَوَادِيَا
فَقَالَتْ حُسَيْنَا غَابَ عَنِّي مَلَاذِيَا
فَقُلْ لِي عَنْ سَبْطِ الرَّسُولِ عِمَادِيَا

وقال لها عونُ قَضَى ثم جعفرُ	وعبداللهُ والعباسُ في النهرِ ثاويا
أيا بشرِ أني ما سألتك عنهمُ	عن السبطِ أخبرني فعنه سؤاليا
تحيرَ بشرُ في جوابِ سؤالها	ومدَّمعُهُ في الخدِ كالْمُزنِ جاريا
فقال لها سبطُ الرسولِ قد قضى	وقد قتلوه القومُ بالطفِ ظاميا
وقد ظلَّ في حرِّ الرمالِ معفرا	كذاك ورأسُ السُّبطِ قد شيلَ عاليا
فمُذ سمعته شقَّت الجيبَ عاجلاً	وزادت بها الأحرانُ والدمعُ هاميا
فقالَت كفى يا بشرِ أحرقتَ مُهجتي	وقلبي بنيرانِ المصيبةِ واريا

* * *

وين الساعدني بالونين	عله ابني الكضه مكطوع اليدين
والصابتة النبلة على العين	بيني وبينه فرك البين
ضنوة علي ليث الميادين	وخوته الكضوا فدوه للحسين
ياللي تنادوني ام البنين	بطلوا ترا راحوا مطاعين
لبجي عليهم طول السنين	شلون الصبر يا ناس ومنين ^(١)

* * *

(١) لشاعر أهل البيت عليه السلام ابراهيم غلوم لاري «أبو عباس».

ورد في الحديث القدسي عن الله تعالى :
«عبي أطعني تكن مثلي أو مثلي، أنا أقول للشيء كُن فيكون
وأنت تقول للشيء كن فيكون»^(١).

وأيضاً ورد في الحديث القدسي عن الله تعالى :
«ما يتقرب إليَّ عبي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه، وانه
ليتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به
وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ويده التي يبطش بها»^(٢).

حقائق حول كرامات أهل البيت (عليهم السلام)

قد يتسائل البعض قائلاً: لماذا يؤكد البعض على ذكر الكرامات وعنايات
أهل البيت (عليهم السلام) ومن يرتبط بهم؟ أوليس من الأفضل أن نركّز على سيرتهم
ومكارمهم بدل الاعتماد على الكرامات التي لا تغني المكلف معرفتها شيئاً؟
وهل من الصحيح أن نسلط الأضواء على العناية والكرامات والحال أن
العالم اليوم بلغ ما بلغ من التطوّر والتقدّم؟

في جواب مثل هذه التساؤلات نقول: إنّ التأكيد على عنايات أهل

(١) خلفيات كتاب مأساة الزهراء (عليها السلام) (للسيد جعفر مرتضى) : ٢ / ٣٥٢، بحار الأنوار

(للمعلّمة المجلي) : ١٠ / ١٦٤، مستند الشيعة (للنراقي) : ١ / ٦.

(٢) البحار : ٦٧ / ٢٢، جامع أحاديث الشيعة (للسيد البروجردي) : ٧ / ٩٩، شرح أصول

الكافي : ١ / ٨٨.

البيت ﷺ وكراماتهم له عدّة فوائد منها تقوية عقائد الناس بأهل البيت ﷺ وتوثيق علاقاتهم بهم خاصّة إذا كانت العنايةات موثقة وقريبة زماناً من الناس.

من جانب آخر كثير من المنحرفين ممّن كانوا لا يعتقدون بأهل البيت ﷺ أو ينكرون مقاماتهم الرفيعة اهتدوا وصاروا من الموالين الخلص ببركة هذه العنايةات، والشواهد على ذلك كثيرة سنشير إلى بعضها في طيات البحث. بالإضافة إلى ذلك ذكرُ كرامات أهل البيت ﷺ ومَن يرتبط بهم، وعنايةاتهم نوع من بيان مقاماتهم ومناقبهم للموالين وهذا في حدّ نفسه مطلوب، فالموالي مهما بلغ من العلم والمعرفة يبقى محتاجاً إلى الاعتقاد بمقامات آل الرسول صلوات الله عليهم لأنّها ترّبي النفوس وتهذّبها وتطمئن القلوب بصحّة العقيدة وأحقّانية المعتقد.

بالطبع التركيز على كرامات أهل البيت ﷺ لا ينافي التأكيد أيضاً على سيرتهم ومعارفهم وأما مسألة التقدم والتطور الذين يشهده العالم فهو الذي يدعو إلى التركيز على العنايةات لا التخلّي عنها لأن العالم اليوم غارق في أمواج الماديّة ومتناسي لمعظم القيم الدينيّة، ولذا فهو بحاجة إلى مَن ينقذه من هذا الوضع المزري، ولا نبالغ إذا ما قلنا إن تعريف العالم بكرامات وعنايةات أهل البيت ﷺ له حصّة كبيرة في استنقاذ البشرية من الماديّة وربطها بعالم المثل والمعنويات^(١).

(١) العنايةات الخالدة (للشيخ جاسم الأديب) : ١٠.

شرائط نيل عناية أهل البيت عليهم السلام

هناك عدّة أمور ينبغي توضيحها للقارئ الكريم حول كرامات أهل البيت عليهم السلام وهي:

لا شك أنّ في ثبوت العناية والكرامات لأهل البيت عليهم السلام دلالة واضحة على علو مقامهم وعظمة شأنهم عند الله عزّ وجلّ، فإنّ البارئ تعالى لا يخصّ بكراماته إلّا أصحاب المقامات الرفيعة والدرجات العالية وهذا لا ينكره إلّا جاهل أو مغرض ضالّ.

من جانب آخر في بعض الأحيان لا تكتمل شرائط العناية من قبل أهل البيت عليهم السلام أو يوجد مانع دون عنايتهم أو مصلحة في عدم شمول الفرد لعنايتهم هذا لا ينافي كرمهم أو لطفهم بالعباد.

ولذا ينبغي لنا أن نسعى دائماً في تحقيق الشرائط وتوفير الأجواء ثمّ نوكل الأمر إليهم.

أضف إلى ذلك أنّ شمول عنايتهم للبعض دون غيرهم لا يعني أنّ البقية غير مقبولين عندهم، فلربما كانت في البين مصلحة أو حكمة ما لا تقتضي منهم أن يشملوا الفرد بعنايتهم، بل إنّ الذين تشملهم عنايات أهل البيت عليهم السلام ليس من المحرز أنّهم لصرف قضاء حاجتهم وتوفيقهم بالعناية صاروا أفضل من غيرهم، فقد شاءت الأقدار أن تتحقّق فيهم شرائط العناية، ومن المعروف أنّ كرم أهل البيت عليهم السلام واسع يشمل حتّى الذين لا يعتقدون بهم.

وإنَّ أهمَّ مسألة في قضية عنايات أهل البيت عليهم السلام هي معرفة الضوابط العامة لنيل لطفهم والتوفيق لجلب عنايتهم وهذه من المباحث المهمة التي تحتاج إلى تدقيق وإمعان نظر لكثرة فائدها وشدة أهميتها.

أما الضوابط فهي في الحقيقة غير واضحة، فإننا لا نعرف الملاكات الحتمية عندهم في عناياتهم ولا أتصور أنَّ أحداً يدَّعي معرفته الدقيقة بها، ومع ذلك فإنَّ هناك بعض الضوابط المتصيِّدة التي يمكن أن نعدّها من الضوابط الظاهرية ومنها:

١- الإخلاص لهم: كثيرة هي الأدلّة والشواهد الدالّة على عناية أهل البيت عليهم السلام للمخلصين لهم، فعلى مرّ التاريخ تجد أنَّ المخلصين لأهل البيت عليهم السلام يحظون بتسديداتهم وعناياتهم الخاصّة.

٢- التوسل الشديد: كما أنَّ الإلحاح في الدعاء مطلوب ومحبذ كذلك التوسّل بأهل البيت عليهم السلام مطلوب وله دور كبير في التوفيق لنيل عناياتهم.

٣- تقديم الوجهاء إليهم: وهذا ملموس في سيرة المتشرّعة، فهم إذا توسّلوا بوجه من الوجهاء يقدّمون بين يديهم وجيهاً عنده لينالوا حاجتهم، وكشاهد على ذلك تجد أنَّ زوّار سيّد الشهداء عليه السلام يقدّمون بين يدي حاجاتهم باب الحوائج أبي الفضل العباس عليه السلام أو رضيعه المظلوم عبد الله الرضيع أو علي الأكبر أو يتيمة الشام السيّدة رقية عليها السلام.

٤- تهيئة المقتضيات للعناية: كأن يعقد المتوسّل بهم مجلساً باسمهم

ويدعو الموالين ويحيي ذكرهم فيتوسّلون بهم في قضاء حوائجهم، أو ينذر صاحب الحاجة نذراً لهم وما شابه.

٥ - السعي لرفع الموانع: ففي كلّ حال ينبغي لمن يريد أن يحظى بعنايات أهل البيت عليهم السلام أن يرفع موانع الفوز بهذا التوفيق، وإذا كان لا يعرف ما هي الموانع يراجع العلماء وأهل الفضل ويشاورهم في مسألته ويحاول تشخيص المانع ليرفعه^(١).

اعتراف المخالفين كرامات أهل البيت عليهم السلام

بلغت عناية أهل البيت عليهم السلام حدّاً من الاستفاضة بل والتواتر حتّى أنّ مخالفهم أشادوا بها وتعرّضوا لها في مصنّفاتهم، وكما يقال: الفضل ما شهد به الأعداء.

بطبيعة الحال إنّنا لم نذكر أقوال المخالفين لنبرهن على عنايات أهل البيت عليهم السلام فإن مخالفتهم لا تتغيّر في القضية شيء، وإنّما من باب بيان إقرار القوم بهذه المناقب نستعرض بعض أقوالهم ومنها:

١ - ابن بطوطة: تعرّض ابن بطوطة في رحلته إلى زيارته لمدينة النجف الأشرف، فقال: ثمّ رحلنا من القادسية فنزلنا مدينة مشهد علي بن أبي طالب عليه السلام بالنجف وهي مدينة حسنة في أرض فسيحة صلبة من

(١) العنايات الحادثة (للشيخ جاسم الأديب): ١٦.

أحسن مدن العراق وأكثرها ناساً وأتقنها بناءً... وأهل هذه المدينة كلهم رافضية. وهذه الروضة ظهرت بها كرامات لأنّ بها قبر علي عليه السلام.

فمنها أنّ في ليلة السابع والعشرين من رجب وتسمّى عندهم ليلة المحيا يؤتى إلى تلك الروضة بكلّ مقعد من العراقيين وخراسان وبلاد فارس والروم فيجتمع منهم الثلاثون والأربعون نحو ذلك، فإذا كان بعد العشاء الآخرة جعلوا فوق الضريح المقدّس والناس ينتظرون قيامهم وهم ما بين مصلّ وذاكر وتال ومشاهد للروضة.

فإذا مضى من الليل نصفه أو ثلثاه أو نحو ذلك قام الجميع أصحّاء من غير سوء وهم يقولون: لا إله إلا الله محمّداً رسول الله علي ولي الله. وهذا أمر يستفيض عندهم سمعته من الثقافات ولم أحضر تلك الليلة لكنّي رأيت بمدرسة الضياف ثلاثة من الرجال أحدهم من أرض الروم والثاني من أصبهان والثالث من خراسان وهم مقعدون فاستخبرتهم عن شأنهم فأخبروني أنّهم لم يدركوا ليلة المحيا وأنّهم منتظرون أو أنها من عام آخر، وهذه الليلة يجتمع لها الناس من البلاد ويسيّمون سوقاً عظيمة مدّة عشرة أيام. وليس بهذه المدينة مغرم ولا مكاس ولا وال إنّما يحكم عليهم نقيب الأشراف وأهلها تجار يسافرون في الأقطار وهو أهل شجاعة وكرم ولا يضام جارهم صحبتهم في الأسفار فحمدت صحبتهم....

ومن الناس في بلاد العراق وغيرها من يصيبه المرض فينذر للروضة نذراً إذا برئ ومنهم من يمرض رأسه فيصنع رأساً من ذهب أو فضة

ويأتي به إلى الروضة فيجعله النقيب في الخزانة وكذلك اليد والرجل وغيرهما من الأعضاء وخزانة الروضة عظيمة فيها من الأموال ما لا يضبط لكثرة^(١).

٢ - الشبراوي: عقد الشبراوي الشيخ عبد الله الشافعي المتوفى (١١٧٢) في كتابه (الإتحاف بحبّ الأشراف) باباً في مشهد رأس الحسين (عليه السلام) وذكر فيه زيارته وشطراً من الكرامات له وإحياء يوم الثلاثاء بزيارته.

فقال: والبركات في هذا المشهد مشاهد مرئية، والنفحات العائدة على زائريه غير خفية، وهي بصحة الدعوى ملية، والأعمال بالنية، ولأبي الخطاب بن دحية في ذلك جزء لطيف مؤلف، واستفتي القاضي زكي الدين عبد العظيم في ذلك، فقال: هذا مكان شريف وبركته ظاهرة والاعتقاد فيه خير والسلام.

وقال في ذكر الكرامات: منها أنّ رجلاً يقال له: شمس الدين القعويني كان ساكناً بالقرب من المشهد، وكان معلم الكسوة الشريفة حصل له ضرر في عينيه فكفّ بصره، وكان كلّ يوم إذا صلى الصبح في مشهد الإمام الحسين يقف على باب الضريح الشريف.

ويقول: يا سيدي أنا جارك قد كفّ بصري وأطلب من الله بواسطتك أن يردّ عليّ ولو عيناً واحدة، فبينما هو نائم ذات ليلة إذ رأي جماعة

أتوا إلى المشهد الشريف، فسأل عنهم فقيل له: هذا النبي ﷺ والصحابة معه جاءوا لزيارة السيد الحسين ﷺ.

فدخل معهم ثم قال ما كان يقوله في اليقظة، فالتفت الحسين إلى جده ﷺ وذكر له ذلك على سبيل الشفاعة عنده في الرجل، فقال النبي ﷺ للإمام علي ﷺ يا علي كحلّه.

فقال: سمعاً وطاعة وأبرز في يده مكحلة ومردوداً وقال له: تقدّم حتّى أكحلّك تقدّم فلوّث المروود ووضعه في عينه اليمنى فأحسّ بحرقان عظيم فصرخ صرخة عظيمة فاستيقظ منها وهو يجد حرارة الكحل في عينه، ففتحت عينه اليمنى فصار ينظر بها إلى أن مات.

وهذا الذي كان يطلبه فاصطنع هذه البسط التي تفرش في مشهد الإمام الحسين ﷺ وكتب عليها وقفاً ولم تزل تفرش حتّى تولى مصر الوزير المعظم محمّد باشا الشريف من طرف حضرة مولانا السلطان محمّد خان نصره الله فجدد بسطاً أخرى وهي التي تفرش إلى الآن^(١).

٣- قال محمّد بن طلحة الشافعي في الإمام موسى بن جعفر ﷺ: هو الإمام الكبير القدر، العظيم الشأن، الكبير المجتهد، الجاد في الاجتهاد، المشهور بالعبادة، المواظب على الطاعات، المشهود له بالكرامات، يبيت الليل ساجداً وقائماً، ويقطع النهار متصدّقاً وصائماً.

ولفرط حلمه وتجاوزه عن المعتدين عليه دعي كاظماً، كان يجازي المسيء بإحسانه إليه ويقابل الجاني بعفوه عنه، ولكثرة عبادته كان يسمّى بالعبد الصالح، ويعرف بالعراق باب الحوائج إلى الله لنجح مطالب المتوسّلين إلى الله به، كرامته تحار منا العقول، وتقضي بأنّ له عند الله تعالى قدم صدق لا تزلّ ولا تزول^(١).

أم البنين عليها السلام والكرامات الباهرة

المعجزة للنبي هي بذاتها الكرامة للولي، ومعاجز الأنبياء يقابلها كرامات الأولياء، وإذا كانت المعجزة في مدلولها ما يقع خلاف العادة، فإن الكرامة كذلك، وإذا فسّر البعض بأن المعجزة تحصل للنبي حالة التحدي من قبل المناوئين، فإن الكرامة تحصل للولي إظهاراً لعظم شأنه أمام الموالين المسلمين وقبّل المعاندين الرافضين.

يكفي للمعجزة بياناً قيام الكتاب العزيز بتغطيتها عقائدياً، وللكرامة تبياناً ما نقله الوحي الأمين لبعض الأولياء، كآصف بن برخيا وصي سليمان بن داود، أو آسية بنت مزاحم زوجة فرعون، التي أراها الله تعالى قصرها في الجنة، أو أصحاب الكهف الذين جعلهم الله تعالى آية من آياته وذكرهم في سورة مفصّلة باسمهم، حتى بات هذا الأمر من بديهيات العقيدة الحقّة.

(١) الغنايات الخالدة : ١٩ عن مطالب السؤل : ٤٤٧.

وبالمناسبة ينقل ان المنتصر بالله خرج لزيارة قبر سلمان الفارسي فقال: ان الشيعة تدعي ان علياً عليه السلام جاء الى سلمان الفارسي ليلة واحدة من المدينة الى المدائن ومعه الكفن والكافور فغسل سلماناً وكفنه وحنطه وصلى عليه ورجع بنفس الليلة.

فما هذا إلا غلو من الشيعة فأنكر هذه القضية لعلي عليه السلام فأجابه السيد ابن الاقاسي وكان حاضراً عنده بأبيات من الشعر وذكر فيها لا وجود للغلو في ذلك قائلاً:

انكرت ليلة إذ زار الوصي	أرض المدائن لما أن لها طلبا
وَعَسَلَ الطُّهْرَ سلماناً وعادَ إلى	عِراضٍ يثربَ والاصباحُ ما وجبا
وقلتَ ذا من قولِ الغلاة وما	ذنبُ الغلاةِ إذا لم يُوردُوا كَذِباً
فأصفُ قبلَ درِّ الطرفِ من سبائِ	بعرشِ بلقيسِ وافى يخرجُ الحُجُباً
فانتَ في اصفٍ لم تغلوا فيه بلا	في حيدرٍ أنا غالٍ إنَّ ذا عجبا
انا كان احمد خير المرسلين ؟ فذا	خيرُ الوصيين اوكلُ الحديثِ هباً ^(١)



فإذا كان القرآن تكفل التغطية، إذن فعلام نستبعدا موضوعياً أو فلسفياً، وهنا آثرت نقل بعض كرامات أم البنين عليها السلام التي يتحدث بها القاصي والداني.

وبكل بساطة لأن هذه المرأة الطاهرة ذابت في الله تعالى، وانقطعت إلى أحبائه، وكانت طاعتها فريدة، وانقطاعها على أتم الصدق، فأعطاها الله هذه الكرامة من منطلق (عبدني أطعني تكن مثلي، أنا أقول للشيء كن فيكون، وأنت تقول للشيء كن فيكون).

إذن فعلام نستبعد من والده أبي الفضل العباس (عليه السلام) حصول الكرامات ووقوعها وهي في هذه المكانة الرفيعة والمقام العظيم عند الله تعالى. مع العلم يمكن الادعاء بأن السيدة أم البنين (عليها السلام) بذاتها المجردة تعتبر من أكبر المعاجز والكرامات، لأنها استطاعت أن تفوق الكثير من نساء الأنبياء والأوصياء من خلال الذوبان والتسليم لأهل البيت (عليهم السلام).

وإلى تقريب هذا الاتجاه يمكننا أن نترك الإستدلال بالروايات الصحيحة أو الضعيفة، ونستبدلها بالواقع العملي من خلال التجارب الكثيرة المشاهدة في وقوع الكرامات^(١).

أهديت صلوات لها (عليها السلام) فشفي ولدي

نقل حجة الإسلام السيد جواد الموسوي الزنجاني إمام جمعة زنجان في الجمهورية الإسلامية في إيران قائلاً:
في يوم ما، كان أحد أولادي مريضاً، وعندما رجع من مدرسته، كانت حالته سيئة للغاية، بحيث كان وجهه قد تغير.

(١) السيدة أم البنين (عليها السلام) (للشيخ أشرف الزهيري): ١٩٠.

أخذته إلى الطبيب، وبعد إجراء الفحص الطبي، لم يوفق الطبيب للتشخيص الحقيقي للمرض، فقال: إنه قد أصابه البرد، وكتب له الدواء ثم قال لنا: إذا اشتدت حالته، فما عليك إلا أن تتصل بي في مستشفى سينا.

يقول السيد: لما أخذت له الدواء، وتناول منه شيئاً في المساء، أخذت حالته تشتد سوءاً، فاتصلت بالطبيب ثم أخذته إلى المستشفى، وعندما أجريت عليه الفحوصات تبين أنه مصاب في تورّم بالمخ. قررت لجنة الأطباء إبقاءه في المستشفى لاتخاذ الإجراءات المناسبة للعلاج.

مضى أسبوع كامل، وكانت حالته تشتد حتى غاب عنه الوعي بالمرة، وقالوا: إنه إذا شفي فإنه يصاب بالشلل.

وكنا في ليلة التاسع من المحرم، وكادت أجواء اليأس تخيم علينا من شدة المحنة، وعندها توجهت إلى القبلة وصليت ركعتين، وبعدها أهديت مائة صلاة (اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ) إلى السيدة أم البنين عليها السلام، وتوسلت بها وبولدها أبي الفضل العباس عليه السلام بأن يكونا وسيلتنا عند الله في شفاء ولدي.

في صباح اليوم الثاني اتصلوا بي من المستشفى وقالوا: إن ولدك بخير، وكأنه ما كان مريضاً.

وبالفعل رأينا الولد على أحسن حال من بركاتهما.

يقول السيّد: لقد رأت إحدى المؤمنات من جيراننا في المنام، أن أبا الفضل العباس (عليه السلام) يوقل لها: إن السيّد الموسوي أراد مني أن أكون وسيطاً في شفاء ولده وكنت كذلك، وأنا أريد منه الاهتمام بخدام الحسين في شهر محرم وخدمتهم.

يقول السيّد: ولهذا الأمر التزمت باستضافة خدام الحسين (عليه السلام) إلى منزلنا سنوياً وبأن أذبح لهم الذبائح وأعد لهم الطعام في شهر محرم الحرام^(١).

لماذا لم تهتم لزيارة والدتي؟

قال المرحوم الحاج عبد الرسول علي الصفار الذي كان رئيس غرفة تجارة بغداد: بأنه كان عام (١٩٤٩م) أو (١٩٥٠م) قد قصد حج البيت الحرام وزيارة الرسول الأكرم وأهل بيته الكرام (صلوات الله عليهم) يقول: كان برفقتي السيّد هادي المكوטר من رؤساء عشائر آل الفرات، والشيخ عبد العباس آل فرعون رئيس عشائر آل فتلة. فتشرفنا بزيارة الرسول وأئمة البقيع والإقامة في الأرض الطيبة، المدينة المنورة. في عصر يوم من الأيام قصدنا زيارة قبور أئمة البقيع (عليهم السلام) وبعدها زيارة قبور الأصحاب والمقربين، ولما وصلنا إلى قبر فاطمة بنت حزام (أم البنين) قلت للشيخ عبد العباس: هيا بنا نتبرك بزيارة أم البنين العظيمة^(٢).

(١) السيّدّة أم البنين (عليها السلام) (للشيخ أشرف الزهيري).

(٢) أم البنين والكرامات الإلهية: ١٦٣.

فأجابني من دون اهتمام: هيا بنا، أتريدنا نحن الرجال أن نزور النساء؟! تركنا وخرج من البقيع، وبقيت أنا والسيد هادي المكوثر في الزيارة، وبعدها عدنا الى البيت، وكنت أنام مع عبد العباس في نفس المكان.

ولما استيقظت صباحاً لم أجد عبد العباس في فراشه انتظرته طويلاً فلم يظهر، قلقت عليه، سألت السيد هادي فلم يعرف عنه شيئاً، وفي هذه الدوامة، دخل علينا عبد العباس وهو في حالة من الحزن والبكاء.

سألتاه: أين كنت، وماذا جرى في حالك؟

قال: اتركوني، ودعوني لأستريح قليلاً....

وبعد الاستراحة قال لنا: أتذكرون في الأمس لما رفضت زيارة أم

البنين وخرجت من البقيع؟

قلنا: بلى.

قال: رأيت في عالم الرؤيا كأنني في روضة أبي الفضل العباس عليه السلام والناس يدخلون ويزورون القبر الشريف، وحينما عزمت الدخول مُنعتُ منه، وهناك تساءلت: لماذا لا أستطيع الدخول؟

أجابني خادم الروضة العباسية: إنَّ هذا أمر مولاي وسيدي أبي الفضل العباس.

قلت: لماذا؟

قال: لا أدري.

وكلما حاولت الدخول كان الخادم يرفض دخولي للزيارة وتوسلت وبكيت وبدون جدوى، حتى تعبت لأنني أتوسل بدون فائدة. فسنحت لي فكرة أن أطلب من الخادم أن يذهب هو الى أبي الفضل العباس عليه السلام ويسأله عن السبب.

ذهب الخادم ورجع وهو يقول: يقول مولاي أبو الفضل العباس: لماذا لم تهتم لزيارة والدتي؟

وأنا لن أَرْضَى بزيارتي حتى تذهب لزيارة والدتي....
وها أنا ذا استيقظت مضطرباً من هذا المنام، وذهبت الى زيارة قبر أم البنين عليها السلام معتذراً عن عملي القبيح، ومتوسلاً مستغفراً، وها أنا رجعت الآن من زيارتها، اللهم ارزقنا في الدنيا زيارتها وفي الآخرة شفاعتها. إنه سميع مجيب.

مخالفة الإقامة

يقول الشيخ عبد القادر الشيخ علي أبو المكارم: حدثني بعض الأصدقاء أنه كان لديهم عاملة منزل من أندونيسيا استقامت معهم مدة ستين وأراد أن يجدد الإقامة لها، وبعد النظر إلى تاريخ الإقامة وجد أنها قد انتهت فخاف أشد الخوف وأصابه القلق والهم والغم على انتهاء الإقامة لأن في ذلك غرامة مالية، فتوجه لله سبحانه وتعالى وسأله الفرج وعدم أخذ الغرامة وتوجه إلى أم البنين أم العباس وأخوته أن

يفرج الله عنه فإنها باب من أبواب الله، ونذر لها بقراءة الفاتحة وبعض سور القرآن الكريم إن لم تحسب عليه الغرامة. وبالفعل جُددت الإقامة ولم يُحسب عليه أي غرامة مالية نظير تأخره عن التجديد^(١).

الإمام الصادق عليه السلام يقيم المأتم على جده الحسين عليه السلام

كان الخطيب القدير الحاج السيد أحمد الحكيم يرتقي المنبر في الحسينية النجفية في قم المقدسة في شهر صفر الخير سنة (١٤١٩ هـ) من قبل (هيئة أبو الفضل العباس عليه السلام) ولأن المجلس كان باسم أبي الفضل العباس فقد عرج الخطيب على باب الحوائج قمر بني هاشم في ليلة الجمعة الأخيرة من أيام المجلس.

وبعد أن أتم المجلس ونزل عن المنبر أصرَّ عليه بعض أصحاب الهيئة أن يستريح قليلاً، ويشرب الشاي قبل انصرافه.

فجلس يستريح ساعة، وإذا بشاب يتقدَّم، وأخذ يناقش السيد بلحن المعاند، ولهجة المشكك الجاحد.

فقال الشاب: قرأت مصيبة الكفين وكيف يمكن ذلك؟ إنك كنت في العراق وتذكر أين مشهد الجسد، وأين كان مشهد الكفين، فكيف جاء الحسين وقبلهما؟!

واستمر في سؤال آخر قبل أن يسمع الجواب: هل كانت ليلي حاضرة في الطف أو لا؟

فأجابه السيّد جواباً كافياً شافياً.

إلا أن الشاب أخذ يسأل وكأنه لا يهمه الجواب: هل كانت أم البنين حاضرة في الطف أو لا؟

وهنا - يقول السيّد أحمد الحكيم -: فلت مني زمام أعصابي وقلت له مغضباً: هل أنت محام عن أعداء أهل البيت؟ أو أنك الناطق الرسمي باسم المشككين؟

فسكت وانفض المجلس، والكل يأكله الغضب.

قال السيّد أحمد الحكيم: وكان من بين الحاضرين شاب من خدام أهل البيت، والمتربين في مجالسهم، وتحت منابرهم، وكان يحبني ويحضر مجالسي، فجاءني وقال لي: لماذا ينثر هؤلاء بذور الشك في قلوب الناس؟!

المهم، ذهبنا كل إلى بيته، وفي يوم غد جاءني هذا الشاب - الآنف الذكر - المحب لأهل البيت عليهم السلام وقال:

إنني ذهبت البارحة إلى البيت، وبعد أن أدت وردي، وتنفلت بنافلتي، وقضيت ما اعتدت عليه من أذكاري، استسلمت لسلطان النوم، فرأيت فيما يرى النائم:

كأن أهل قم قد خرجوا من بيوتهم إلى الشارع، ولم يبق منهم أحد إلا وقد انثال لا يدري إلى أين يأوي، وكنت أنا بينهم، ولا أدري لماذا انقلب وضع المدينة إلى هذه الحالة، وكأن الناس كلهم إلى عرصات القيامة يحشرون.

فسألت واحداً كان إلى جانبي يمشي: ماذا حدث لهذه المدينة وأهلها؟ فقال: لقد شرف الإمام الصادق هذا البلد، وجاء إلى مدينة قم ليتفقد الحوزات.

فسألته: وأين يمكنني زيارة سيدي الصادق؟ فقال: لا أدري، وقد خرجنا جميعاً نقصد زيارة المولى. وهنا رأيت فجأة كأن لوحة مكتوب عليها بخط واضح جلي، وبلون أخضر رائع:

إن الإمام الصادق يقيم المآتم على جدّه الحسين عليه السلام.
فرايت نفسي كأني في ذلك المآتم، وكأن وجود الإمام الصادق عليه السلام فيه نور يبهر الأبصار، لا أرى منه إلا قطعة النور تلك، وكأن إلى يمينه المرجع آية الله السيّد حسين الطباطبائي البروجردي، وإلى يساره المرجع آية الله السيّد محسن الطباطبائي الحكيم.

فالتفت إلى الخطيب وإذا به السيّد احمد الحكيم بنفسه، وكان يتحدث عن شفاعة أهل البيت عليهم السلام وفي أثناء حديثه رأيت الإمام الصادق عليه السلام

قام قائماً (إني رأيت النور ينبسط ففهمت أن الإمام (عليه السلام) قد قام وقال مخاطباً الخطيب المذكور: «قل: ليس منا من شك فينا».

فلما ارتقى السيّد أحمد الحكيم المنبر في اليوم التالي نقل الرؤيا بحذافيرها فانفجر المجلس بالبكاء والعيول.

هكذا هو دأب خصوم أهل البيت (عليهم السلام) يتخذون شتى الأساليب في سبيل زعزعة عقائد الناس وتضعيف عرى الإيمان... هداهم الله.

تزوجت بفضلها (عليها السلام)

يقول الأخ عمار الدراجي وهو من مدينة العمارة في العراق: وقفت ذات يوم لأداء حج البيت الحرام، وأنا في أول زيارة لأئمة البقيع (عليهم السلام) وبعد ذلك ذهبت إلى قبر السيّدة أم البنين بجوارهم، وفي أثناء زيارتها ذكرت ولدها أبا الفضل العباس (عليه السلام) وبكيت لمصيبته، ومن ثمّ طلبت من سيدتي أم البنين (عليها السلام) تسهيل أمر الزواج لكي أعف نفسي بهذه السنة الكريمة من امرأة مؤمنة صالحة.

يقول: لمّا أخذت من زيارتها وطراً، رجعت إلى زيارة أئمة البقيع مرة أخرى، وإذا بي أرى مؤمناً كان يزورهم بصوت حزين فوقفت خلفه أزور، وبينما أنا واقف أزور وإذا بشخص يضرب على كتفي قائلاً: يا حاج.. يا حاج تفضل، ثمّ قال لي: هذا عمك جاء من كندا، تفضل هذا إفطار، ولما أدت الإستجابة سألتني: هل أنت متزوج؟

فقلت: لا.

قال: هذا مبلغ ألف وخمسمائة دولار لغرض زواجك، وهذا عمك جاء من كندا وعنده أموال قد أعدها لغرض التزويج فقط، وبعد محادثات معه ومع العم المؤمن استلمت المبالغ ولما رجعت من الحج رأيت امرأة مؤمنة وسهل الله عليّ أمر الزواج ببركة السيدة أم البنين عليها السلام ورزقت منا ولدين محمد وعلي والحمد لله.

حملت ببركة سفرتها

ونقل السيد سلمان هادي طعمة عن كتاب (أم البنين رمز التضحية والفداء) للشيخ عبد الأمير الأنصاري هذه الكرامة قائلاً:

إن امرأة تدعى (وزيرة) خرجت من بيتها في مدينة الكوت العراقية وهي متجهة نحو بيت الحاجة أم عبد الأمير وقد أعدت مجلساً وعندما حضرت المجلس وتطرق القارئ في ختام نعيه الأول لمصيبة أم البنين خضع قلب (وزيرة) لبكائهن، وعندما انتهى القارئ من النعي الختامي دعا للمرضى بالشفاء، وبعدها فرشت سفرة أم البنين، والنسوة يتبركن بما فيها، وهن حول سفرتها يلتمسن الشفاء وقضاء الحوائج. فأخذت (وزيرة) منها ويدها ترتعشان، ثم قامت وخرجت والدمع في عينيها إيماناً وخشوعاً، وعند المساء أكلت هي وزوجها من ذلك الزاد.

مرّ شهر أو أكثر ووجه (وزيرة) يميل إلى الاصفرار ودوار في الرأس

يصحبه زكام في الصدر، قليلة الاشتهااء إلى الطعام، راغبة عن زوجها متنفرة منه، كثيرة النوم، تتضايق من الأماكن المزدحمة، تتأقل من كل عمل يعطى لها، تحس بالتقيؤ.

قال لها زوجها: ما بك يا (وزيرة)؟ أمرضة أنت؟

قالت: لا أدري.

فأخذها إلى الطبيب وبعد أن فحصها الطبيب: قال: لا شيء، إنها من علامات الحمل، وللتأكد من ذلك نذهب غداً إلى مركز التحليل.

المدينة ذهبا إلى المستشفى لإجراء التحليل، وبعد انتظار، والفكر يعتصر الفؤاد، نادى الموظف باسمهما نهضت وهي لا تقوى على حمل نفسها، فأسرع زوجها وقال: نعم، ما النتيجة؟

فنظر الموظف في ورقة التحليل وقال: مع إنها حامل.

فطار زوجها فرحاً، وهو يقول الشكر لله، الحمد لله، ثم ضم (وزيرة) بجوى قلبه، وهو يقول لا أكاد أصدق، وبدأت على شفيتها ابتسامة الأمل، فتلتئم تلك الجراحات المعذبة.

وعندما دخلا البيت سجداً لله شكراً، وذبح الخبر وعمت الفرحة والدهشة بحملها، وبقي نذر أم البنين مدفوناً في صدرها.

لقد أصبح الزمن عندها كمسير شيخ جاوز التسعين وهي ترتقب الجنين، ونصائح النسوة تملأ فكرها، فينمو الخوف في نفسها، وهي متحذرة من المصير.

و ذات يوم وهي في شهرها الثالث والألم يعتصر بطنها ضارباً ظهرها فيذب الحزن فيها، والأهل يتسارعون بها إلى المستشفى، وزوجها يقبل يد الطبيب متوسلاً إليه بحفظ الجنين، والطبيب يقول: هذا بأمر رب العالمين، إن أراد حفظه، وإن أراد أسقطه، وكما أنها لا تحتاج إلى دواء، بل الراحة وعدم الحركة، وتبقى هنا ثلاثة أيام.

عندما سمعت (وزيرة) كلام الطبيب استغاثت بحرقة وحنين بأم البنين عليها السلام، فخفت عندها الألم، وعادت البسمة إلى شفاه الزوج والأهل والمحبين.

مرت الأشهر ودخلت شهرها التاسع، وعند مطلع فصل الربيع، وقبل أذان السبح بسويغات أخذها الطلق. الأهل والجيران رافعين أيديهم بالدعاء لسلامتها وسلامة الطفلة وعندما اذن المؤذن وضعت وزيرة حملها وكانت أنتى ففرحوا وسموها فاطمة تيما بأم البنين عليها السلام إلا أن أهل زوج وزيرة السنية قالوا عائشة وبعد النزاع سُميت بشري وكفرت وزيرة عن يمينها^(١). إن حصول أم البنين على هذا المقام الرفيع من الكرامات والعنايات الباهرة، لأنها صبرت على فراق أولادها ومصائبهم بالأخص مصيبة أبي الفضل العباس عليه السلام، ولا بأس أن نختم المجلس بذكر مصيبة ولدها قمر العشيرة أبي الفضل العباس عليه السلام، باب الحوائج إلى الله تعالى.

(١) السيدة أم البنين عليها السلام : ٢٠٣.

الإمام الحسين (ع) في اللحظات الأخيرة حاضر عند رأسه ينظر إلى أخيه العباس (ع)، مقطوع اليدين، والسهم نابت في عينه - ساعد الله قلب الإمام الحسين (ع) -.

الإمام الحسين (ع) عند مصرع أخيه العباس (ع)

لما جاء الامام الحسين (ع) الى مصرع أخيه العباس رآه على حالة يرثى لها فجعل ينادي واأخاه واعباساه؛

نادى وقد ملأ البوادي صيحةً ضَمَّ الضُّخور لهولها تتألمُ
أَخِي مَنْ يَحْمِي بَنَاتَ مُحَمَّد إِنْ صَرَنْ يَسْتَرْحِمَنْ مِنْ لَا يَرْحُمُ



فرآه مقطوع اليدين، مرضوض الجبين، السهم نابت في العين، المنخ سائل على الكتفين، نادى: الآن انكسر ظهري، الآن قلّت حيلتي، الآن شمت بي عدوي.

يخويه انكسر ظهري ولگدرا گوم صرت مركز يخويه الكل الهموم
يخويه استوحدوني عگبك الگوم ولا واحد عليّه بعد ينفر



فوضع الحسين (ع) يديه تحت ظهره، أراد حمله إلى المخيم، فقال العباس (ع): «بالله عليك إلا ما تركتني في مكاني»، فقال الإمام الحسين (ع): لماذا يا أخي؟

فقال العباس عليه السلام لحالتين: الأولى: فقد نزل بي الموت الذي لا بدّ منه:
والثانية: إنّي أوعدت سكينه بالماء وإنّي مستح منها.

يغويه احسين خليني ابمجانى يگله ليش يا زهرة زمانى
يگله واعدت سکنه ترانى ابماي وأستحي منها او مگدر



وبينما الحسين عنده وإذا بالعبّاس قد شقق شهقة وفاضت روحه الدنيا.
قام الحسين منحني الظّهر يكفكف دموعه بكمه، وهو ينادي:
وا أخاه، وا عبّاساه.

وفي رواية أخرى: لما وصل الإمام الحسين عليه السلام إلى أخيه أبي الفضل عليه السلام
نزل عنده، أخذ رأسه، تركه في حجره ثم جعل ينظر إلى يديه القطيعتين،
ورأسه المفلوق بعمود من حديد، وجسده الذي تناثر لحمه من ضرب
السّيف وطعن الرماح ورمي السّهام فجعل يبكي وينادي: وا أخاه.
فأحسّ العبّاس عليه السلام بحركة عند رأسه، فظنّ أنّ رجلاً من الأعداء يريد
حزّ رأسه، فقال: «باللّٰه عليك أمهلني حتّى يأتي إليّ ابن والدي»،
فقال الإمام الحسين عليه السلام: «أخي عبّاس أنا أخوك الحسين»، فرفع
العبّاس عليه السلام رأسه ووضعه على التّراب، فأخذه الحسين عليه السلام ووضعه في
حجره، ثم رفع العبّاس عليه السلام رأسه ووضعه على التّراب، فأخذه الحسين
ووضعه في حجره، ثم رفع العبّاس رأسه ووضعه على التّراب، ثم أخذ
الحسين رأس العبّاس ووضعه في حجره، وعاد العبّاس فرفعه ثالثة.

قال الإمام الحسين (عليه السلام): أخى عباس لماذا تصنع هكذا؟ قال أخى يا نور عيني كيف لا أصنع هكذا؟ الآن جئتني وأخذت برأسي، ولكن بعد ساعة من يرفع رأسك عن التراب؟ هذه مواساة العباس لأخيه الحسين، ولهذا أنت تقرأ في الزيارة: «نعم الأخ المواسي لأخيه».

عباس يا حامي الظعينة والحرم بحماك قد نامت سكينه في الخيم
صرخت ونادت يوم قد سقط العلم اليوم نامت أعين بك لم تنم
وتسهدت أخرى فعز منامها



ولما رجع الإمام الحسين (عليه السلام) من مصرع أخيه العباس (عليه السلام) رجع وهو يكفكف دموعه بكمه استقبلته الحوراء زينب، قالت: «أبا عبد الله أراك رجعت وحيداً فريداً! أين ابنٌ والدي؟ أين أخى ابوالفضل العباس؟» قيل انه قال: «عظم الله لك الأجر بأخيك أبي الفضل» وقيل ما كلمها بشيء، بل راح إلى خيمة العباس، فأسقط عمودها فارتفعت الأصوات بالبكاء والتحيب.

ونادت زينب (عليها السلام): وا أخاه واع باساه وأرادت أن تذهب إلى مصرع العباس، فوضع الحسين يده على صدرها وقال أخيه زينب إلى أين تريدن؟ إرجعي إلى الخيمة ولا تشمتي بنا الأعداء فنادت وا أخاه واعباساه:

تكله انه رايحه العباس اجعده ورگب اچفوفه فوگ زنده
وگله الحرم صارت ابشده

أُخَيَّ من لي إن ذهبت بمسعدٍ عَنِّي يَذُبُّ بصارمٍ ومهندٍ
أُخَيَّ من يرعى الفواطم في غد أُخَيَّ من يحمي بنات محمد
إن صرن يسترحمن من لا يرحم

* * *

أرجعها الحسين إلى الخيمة ولم تخرج إلى كفيها إلا عندما جنَّ
عليها ليل الحادي عشر أقبلت إليه وهي تتعثر بأذيالها في ذلك الليل
الموحش حتّى وصلت إليه ورأته بتلك الحالة الفظيعة نادى:
أحمى الضايغات بعدك ضعنا في يد النائبات حسرى بوادي

* * *

تكله يعباس منته إلي جبتني او بيدك يخويه رگبتني
هسارحت عَنِّي او عفتني عگبك بني اميّه ولتني

* * *

أبيات في ايثار أم البنين عليها السلام

هذه فاطمة أم البنين أقبلت تنحب والقلب حزين

* * *

أقبلت والناس حشد جمع كلهم صمت لبشر سمع
فانبرت والدمع صب همع أيها الناعي كراما صرعوا
قل ففي قلبي ضرام وحنين هل لديك اليوم علم عن حسين

* * *

قال من هذي التي قد أعولت ودموع العين نهراً أرسلت
قيل ذي أم البنين أقبلت وهي بالفضل على الخلق علت
ولها أربعة مستبسلين كلهم غر كرام مخلصون

* * *

قال يا أم البنين استعبري واجزعي إن شئت لا تصبري
زوجة المدفون في أرض الغري فاعلمني إن تسألي عن جعفر
قد قضى طعنا بأيدي الظالمين فهو في الجنة بين الطيبين

* * *

وكذا عثمان للدين شهيد بات عبدالله محزوز الوريد
وأخوه البطل الوتر العميد ذاك عباس وذو الرأي السديد
قد برت أهل الشقا منه الديدن ومضى في الطف مفضوخ الجبين

* * *

أيها الناعي كراما ما تقول هل عراك اليوم خلط وذهول
إنما أخبرني عن سبط الرسول ليت دون السبط أولادي تزول
لا يصل نحو إمام المؤمنين شوكة تؤذيه أو نظرة عين

قال يا سيدتي حم القضا وحسين بالطفوف قد قضى
قتلوا ظلما سليل المرتضى ظاميا سبط الرسول قد مضى
صرخت زوج أمير المؤمنين وتنادي يا إله العالمين

كل أولادي فداء لبني فاطم الطهر وأم الحسن
ليتني كنت بطف ليتني قد بذلت الروح قبل البدن
نصرة للدين والحق المبين وحسين الطهر نجل الطاهرين^(١)

(١) لشاعر أهل البيت عليه السلام إبراهيم غلوم لاري.

المجلس التاسع حول صبر أم البنين عليها السلام

مصيبَةُ الطفِّ في عينيك ترسمُ	وفي فؤادك نارُ الحُزنِ تضطرمُ
أمَّ البنينَ رعاك الله صابرةٌ	لما أصابك وهو الحادثُ الضخمُ
أبناءؤك الغرُّ غيلوا بالطُفوفِ وما	سألتِ هل قُتلوا فيها وهل سَلِموا
كوكبُ في سماءِ الخلدِ تَأْتَلِقُ	وفي ثرى الطفِّ بالأسيافِ قد خِدِموا
كنتِ الوفاءَ وكانوا منك قد ورثوا	أجلى معانيه فازدانت بك الشِّمُّ
ومذ أتى بِشُرِّ ينعاهم فما قَتَّات	على شفاهِك خوفاً تعثرُ الكَلِمُ
هلا أصيبَ حسينُ فالبنونَ فِدَى	لابنِ الرسولِ فقد أودى بي الألمُ
ومذ علمتِ بقتلِ السَّبِطِ فاضَ دمُ	من مُقلَّتَيْك على الخدينِ ينسجِمُ
وصحَّتِ ويلاهُ فقدُ السَّبِطِ أثكلني	فيا عماديَ ظهري اليومَ مُنْقَصِمُ
بمن ألوذُ إذا ما الدهرُ أفجعني	ومن سواك لدى الأهوالِ مُعْتَصِمُ
قد كنتَ للدينِ غوثاً والهدى علماً	فاليومَ لا غوثَ يُرجى وانطوى العَلَمُ
بُنَيَّ حسينُ عليك القلبُ مُضطربُ	والعينُ ساهدةٌ والروحُ مُختدِمُ

بُنِي حَسِينُ فَلَيْتَ الْمَوْتَ عَاجَلَنِي مِنْ قَبْلِ فَقْدِكَ إِنَّ الصَّبْرَ مَنْعَدُمُ
فَلَيْتَنِي مَتُّ قَبْلَ الْيَوْمِ لَا هَطَلْتُ وَأَنْتَ ظَامٍ عَلَى بَوْغَائِهَا الدَّيْمُ^(١)



قال الله الحكيم في محكم كتابه الكريم:

«بسم الله الرحمن الرحيم

«مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» .

(صدق الله العلي العظيم)

أنواع الصبر

«الصبر» في اللغة: حبس النفس من الفزع المكروه، والجزع عنه، وإنما يكون ذلك بمنع باطنه من الاضطراب، وأعضائه من الحركات الغير المعتادة. [أنواع الصبر]

وهو ثلاثة أنواع:

الأول: صبر العوام

وهو حبس النفس على وجه التجلّد، وإظهار الثبات في النائبات، ليكون حاله عند العقلاء وعامة الناس مرضية، «يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ»^(١).

الثاني: صبر الزهاد والعباد وأهل التقوى وأرباب الحكم

لتوقع ثواب الآخرة: «إِنَّمَا يُوقِى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ»^(٢).

(١) سورة الروم: ٧.

(٢) سورة الزمر: ١٠.

صبر العارفين

فإن بعضهم إلتذاذاً بالمكروه والمصائب لتصورهم أن معبودهم خصهم به من دون الناس وصاروا ملحوظين بشرف نظره كما قال تعالى ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ * وَأُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ^(١) فلهم البشرى من عند ربهم، وهذا النوع يختص باسم الرضا والتسلم إلى الله تعالى على كل الأحوال.

فهذه أقسام ثلاثة للصبر فأما النوع الأول: لا ثواب عليه لأنه لم يفعله لله وإنما فعله لأجل الناس بل هو في الحقيقة رياء محض فكلما ورد في الرياء آتٍ فيه.

ولكن الجزع شر منه لأن النفوس البشرية تميل إلى التخلُّق بأخلاق النظراء، والمعاشرين والخلطاء فيفشوا ويكتموا الجزع فيهم وأما الصبر عند الإطلاق يحمل على النوع الثاني من أقسام الصبر.

ثم إن الله تعالى وصف الصابرين بأوصاف وذكر في نيف وسبعين موضعاً وأضاف الله تعالى بأن أكثر الخيرات والدرجات إلى الصبر، وجعلها ثمرة له. حتى قال تعالى ﴿ إِنَّمَا يُوقَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ فما من قرابة إلا وأجرها بتقدير وحساب إلا الصبر، ولأجل

كون الصوم من الصبر كان لا يتولى أجره إلا الله، كما ورد في الأثر قال تعالى الصوم لي وأنا الذي أجزي به^(١).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال رسول الله ﷺ: «الصبر ثلاثة: صبر عند المصيبة، وصبر على الطاعة، وصبر عن المعصية، فمن صبر على المصيبة حتى يردها بحسن عزائها كتب الله له ثلاثمائة درجة ما بين الدرجة الى الدرجة كما بين السماء الى الأرض.

ومن صبر على الطاعة كتب الله له ستمائة درجة، ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى العرش.

ومن صبر على المعصية كتب الله له تسعمائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى منتهى العرش»^(٢).

الصبر عند فقد الولد

روي أن رجلاً من الأنصار كان يختلف إلى رسول الله ﷺ مع ابن له فقال له ﷺ ذات يوم: «يا فلان تحبّه؟».

قال: نعم يا رسول الله كحبي.

(١) مسكن الفوائد (لزين الدين العاملي): ٧٤ عن مسند زيد: ٢٠٤، الكافي: ٤ / ٦٣ ج ٦ من لا يحضره الفقيه: ٢ / ٧٥؛ ٣ / ١٧٧، تهذيب الكلام: ٤ / ١٥٢؛ ٤٢٠.

(٢) مسكن الفوائد: ٨٤ عن الكافي: ٢ / ٧٥ ج ١٥، مجموعة ورام: ١ / ٤٠، جامع الأخبار: ١٣٥، منتخب كنز العمال: ١ / ٢٠٨.

ففقده النبي ﷺ فسأل عنه فقالوا يا رسول الله مات ابنه، فلما رآه قال ﷺ: «أما ترضى أن لا تأتي يوم القيامة باباً من أبواب الجنة إلا جاء حتى يفتحه لك؟».

فقال له رجل هناك: له وحده أم لكلنا؟

قال ﷺ: «بل لكلكم»^(١).

وقال ﷺ: «من دفن ثلاثة فصبر عليهم واحتسب وجبت له الجنة».

فقلت أم أيمن: واثنين؟

فقال ﷺ: «من دفن اثنين وصبر عليهما واحتسبهما وجبت له الجنة».

فقال أم أيمن: وواحداً؟

فسكت وأمسك ثم قال: «يا أم أيمن من دفن واحداً فصبر عليه

واحتسبه وجبت له الجنة»^(٢).

ماتا وأحياهما الله لصبر الأم

والحديث في عيون المجالس بزيادة غريبة في آخره، ولفظه:
عن معاوية بن قرّة قال: كان أبو طلحة يحبّ ابنه حبّاً شديداً،
فمرض فخافت أم سليم على أبي طلحة الجزع حين قرب موت الولد،
فبعثت زوجها إلى النبي ﷺ.

(١) مسكن الفؤاد: ٢٧.

(٢) بحار الأنوار: ٨٢ / ١٢٠.

فلما خرج أبو طلحة من داره توفي الولد، فسجته أم سليم بثوب. وعزلته في ناحية من البيت، ثم تقدّمت إلى أهل بيتها وقالت لهم: لا تخبروا أبا طلحة بشيء.

ثم إنّها صنعت طعاماً، ثم مست شيئاً من الطيب، فجاء أبو طلحة من عند رسول الله ﷺ فقال: ما فعل إبني؟ فقالت له: هدأت نفسه.

ثم قالت: هل لنا ما نأكل؟

فقامت، فقربت إليه الطعام، ثم تعرضت له، فوقع عليها. فلما طمأن قالت له: يا أبا طلحة أتغضب من وديعة كانت عندنا، فرددناه إلى أهلها.

فقال: سبحان الله، لا اغضب.

فقالت: إنك كان عندنا وديعة، فقبضه الله.

فقال أبو طلحة: فأنا أحق بالصبر منك.

ثم قام من مكانه، فاغتسل وصلى ركعتين، ثم انطلق إلى رسول الله ﷺ فأخبره بصنيعهما فقال له رسول الله ﷺ: «فبارك الله لكما في وقعتكما».

ثم قال رسول الله ﷺ: «الحمد لله الذي جعل من أمّتي مثل صابرة بني إسرائيل».

فقال: يا رسول الله ﷺ، ما كان من صبرها؟

قال: كانت في بني إسرائيل امرأة، وكان لها زوج، ولها منه غلامان، فأمرها بطعام ليدعوا الناس عليه، ففعلت، واجتمع الناس في داره. فانطلق الغلامان يلعبان، فوقعا في بئر كان في الدار، فكرهت أن تتغص على زوجها الضيافة، فأدخلتهما البيت، وسجّتهما بثوب.

فلما فرغوا دخل زوجها فقال: أين ابناي؟

قالت: هما في البيت. وإنها كانت قد تمسحت بشيء من الطيب، وتعرضت للرجل حتى وقع عليها.

ثم قال: أين ابناي؟

قالت: هما في البيت. فناداهما أبوهما، فخرجا يسعيان. فقالت المرأة: سبحان الله، والله لقد كانا ميتين، ولكن الله تعالى أحياهما ثواباً لصبري^(١).

أجر الصبر وما يحبطه من الجزع في الروايات

لا بأس بالإشارة الى بعض الروايات والتي تبين مقام الصابرين وما يحبطه من اعمال الجزع عنها:

قال الإمام الصادق عليه السلام: «اتقوا الله واصبروا، فإنه من لم يصبر أهلكه الجزع وانما هلاكه في الجزع أنه إذا جزع لم يؤجر»^(٢).

(١) مسكن الفؤاد (لزين الدين أحمد العاملي الجبلي): ١٢٥ عن السيرة الحلبية: ٣ / ٧٤.

(٢) البحار: ٧١ / ٩٥ / ٥٨.

قال تعالى: «فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا»^(١) سئل الإمام الباقر (عليه السلام) عن الصبر الجميل قال (عليه السلام): «ذلك صبر، ليس فيه شكوى إلى الناس»^(٢).

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «علامة الصبر في ثلاث: أولها أن لا يكسل والثانية أن لا يضجر والثالثة أن لا يشكوا من ربه تعالى، لأنه إذا كسل فقد ضيع الحق، وإذا ضجر لم يؤدّ الشكر، وإذا شكّا من ربه عز وجل فقد عصاه»^(٣).

قال أمير المؤمنين علي (عليه السلام): «الصبر صبران: صبر على ما نكره، وصبر عما نُحب»^(٤).

قال الصادق (عليه السلام) في قوله تعالى: «اصْبِرُوا وَصَابِرُوا» قال (عليه السلام): «اصبروا على الفرائض وصابروا على المصائب»^(٥).

عن الصادق (عليه السلام): «مَنْ ابْتُلِيَ مِنْ شِيعَتِنَا فَصَبَرَ عَلَيْهَا كَانَ لَهُ أَجْرُ أَلْفِ شَهِيدٍ»^(٦).

عن النبي (صلى الله عليه وآله): «الشجاعة صبر ساعة»^(٧).

(١) سورة المعارج: ٥.

(٢) ميزان الحكمة: ٥ / ٢٠٧٠ عن الكافي: ٢ / ٩٣ / ٢٣.

(٣) ميزان الحكمة: ٥ / ٢٠٧٠ عن علل الشرائع: ١ / ٤٩٨.

(٤) نهج البلاغة، الحكم: ٥٥.

(٥) الكافي: ٢ / ٨١ / ٣.

(٦) ميزان الحكمة: ٥ / ٢٠٦٦ عن التحيص: ٥٩ / ١٢٥.

(٧) البحار: ٧٨ / ١١ / ٧٠.

قال الصادق عليه السلام: «أنا صَبْرٌ وشيعتنا اصبر منا»، قال الرواي: قلت: جعلت فداك، كيف صار شيعتكم أصبر منكم؟ قال: «لأننا نصبر على ما نعلم وشيعتنا يصبرون على ما لا يعلمون»^(١).

وأما الجزع فإنه يحبط الأجر على المصيبة، فعن الصادق عليه السلام: «إنَّ الضرب على الفخذ عند المصيبة يحبط الأجر»^(٢).

وعن جابر عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «أشدُّ الجزع والصراخ بالويل والعويل ولطم الوجه والصدر، وجز الشعر ومن أقام النواح فقد ترك الصبر، ومن صبر واسترجع، وحمد الله تعالى فقد رضي بما صنع الله ووقع أجره على الله ومن لم يفعل ذلك جرى عليه القضاء وهو ذميم، وأحبط الله أجره»^(٣).

الولد لا يدخل الجنة إلا مع الأبوين

وعن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «يقال للولدان يوم القيامة: ادخلوا الجنة». فيقولون: «يا ربّ حتى يدخل آباؤنا وأمهاتنا». قال: فيأبون.

(١) الكافي: ٢ / ٩٣ / ٢٥.

(٢) مسكن الفؤاد: ٨٩ عن الكافي: ٣ / ٢٢٤، ح ٤، وعن السكون عن أبي عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ضرب المسلم يده على فخذيه عند المصيبة احباط لأجره» من لا يحضره الفقيه: ٤ / ٤١٦.

(٣) أصول الكافي: ٣ / ٢٢٢، ح ١.

فيقول الله - عزَّ وجلَّ -: « ما لي أراهم محبطين أي [المغضب المستبطي للشيء] ادخلوا الجنة ».

فيقولون: يا ربَّ آباؤنا!

فيقول - تعالى -: « ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم ».

وعن عبيد بن عمير الليثي قال: إذا كان يوم القيامة خرج ولدان المسلمين من الجنة بأيديهم الشراب، قال: فيقول الناس لهم: اسقونا اسقونا، فيقولون: أبونا أبونا.

قال: حتى أنَّ السقط محبطيناً بباب الجنة، فيقول: لا أدخل حتى يدخل أبوي.

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: « إذا كان يوم القيامة نودي في أطفال المؤمنين^(١): أن اخرجوا من قبوركم، فيخرجون من قبورهم ».

ثم ينادى فيهم: « أن امضوا إلى الجنة زمراً »، فيقولون: ربَّنَا، ووالدينا معنا؟

ثم ينادى فيهم ثانية: « أن امضوا إلى الجنة زمراً (افواجا)، فيقولون: ربَّنَا، ووالدينا؟ ».

ثم ينادى فيهم الثالثة: « أن امضوا إلى الجنة زمراً، فيقولون: ربَّنَا، ووالدينا؟

فيقول في الرابعة: ووالديكم معكم». فيشب كل طفل إلى أبيه، فيأخذون بأيديهم، فيدخلون بهم الجنة، فهم أعرف بأبائهم وأمهاتهم - يومئذ - من أولادكم الذين في بيوتكم. وعن أنس بن مالك: أن رجلاً كان يجيء بصبي معه إلى رسول الله ﷺ، وأنه مات، فاحتبس والده عن رسول الله ﷺ، فسأل عنه. فقالوا: مات صبيّه الذي رأيته معه.

فقال ﷺ: «هلا آذنتموني، فقوموا إلى أخينا نعزيه». فلما دخل إذا الرجل حزين وبه كآبة، فعزاه، فقال: يا رسول الله كنت أرجوه لكبر سني وضعفي. فقال رسول الله ﷺ: «أما يسرّك أن يكون يوم القيامة بإزائك، فيقال له: ادخل الجنة، فيقول: يا ربّ، وأبواي، فلا يزال يشفع حتى يشفعه الله - عزّ وجلّ - فيكم ويدخلكم الجنة جميعاً»^(١).

اشتهدى موت ولده لرؤية رآها!

وعن محمد بن أبي خلف قال: كان لإبراهيم الحربي ابن له إحدى عشرة سنة قد حفظ القرآن، ولقنه أبوه من الفقه والحديث شيئاً كثيراً، فمات فأتيته لأعزيه.

(١) مسكن الفؤاد في فقه الأحبة والأولاد لزين الدين العاملي: ٥٢.

فقال: كنت أشتهي موته.

فقلت له: يا أبا إسحاق، أنت عالم الدنيا تقول مثل هذا في صبي قد أنجب، وقد حفظ القرآن، ولقنته الحديث والفقه؟

قال: نعم، رأيت في النوم كأن القيامة قد قامت، وكأن صبياناً بأيديهم القلال، وفيها ماء يستقبلون الناس يسقونهم، وكان اليوم يوماً شديداً الحر، فقلت أحدهم: اسقني من هذا الماء.

قال: فنظر إليّ، وقال: لست أنت أبي.

قلت: فأيّ شيء أنتم؟

قالوا: نحن الصبيان الذين متنا في دار الدنيا، وخلفنا آباءنا، فنستقبلهم ونسقيهم، فلماذا تمنيت موته^(١).

تزوّج رجاء أن يرزق ولداً فيموت!

وروى الغزالي في الإحياء: إنّ بعض الصالحين كان يعرض عليه التزويج برهة من دهره، فيأبى.

قال: فانتبه من نومه ذات يوم وقال: زوّجوني، فزوّجوه، فسئل عن ذلك، فقال: لعلّ الله أن يرزقني ولداً فيقبضه، فيكون لي مقدمة في الآخرة.

ثم قال: رأيت في المنام كأن القيامة قد قامت، وكأنني في جملة الخلائق في الموقف، وبني من العطش ما كاد أن يقطع قلبي، وكذا الخلائق من شدة العطش والكرب.

فبينما نحن كذلك، وإذا الولدان يتخلّلون الجمع، عليهم قناديل من نور، وبأيديهم أباريق من فضة، وأكواب من ذهب، يسقون الواحد بعد الواحد، يتخلّلون الجمع، ويجاوزون أكثر الناس.

فمددت يدي إلى أحدهم، فقلت: اسقني فقد أجهدني العطش.

فقال: ما لك فينا ولد، إنما نسقي آبائنا.

فقلت: ومن أنتم؟

قالوا: نحن من مات من أطفال المسلمين^(١).

وروى الصدوق - رحمه الله - بإسناده إلى عمر بن عتبة^(٢) السلمي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أيما رجل قدّم ثلاثة أولاد لم يبغّلوا الحنث، أو امرأة قدّمت ثلاثة أولاد، فهم حجاب يسترونه من النار»^(٣).

(١) ومن العجيب أن هذا الصالح! لم يمثل بكلام سيد المرسلين ولم يلتفت إلى أمره ﷺ بالنكاح والتزويج. وحنثه على ذلك. ليشرب من حوض الكوثر. ومن ثم يسارع إلى الزواج لإحتمال أن يرزق ولداً، فيموت صغيراً، فيسقيه يوم القيامة. كلّ هذا لو صدقت رؤياه.

(٢) مسكن الفؤاد في فقد الأحبة والأولاد (لزين الدين العاملي): ٦٩ عن إحياء علوم الدين (للغزالي): ٢ / ٢٧.

(٣) في نسخة «عتبة».

(٤) ثواب الأعمال: ٢٣٣، ح ٢.

وعن أبي ذر رضي الله عنه - قال: ما من مسلمين يقدمهما عليهما ثلاثة أولاد لم يبلغوا الحنث (أي الاثم والذنب أي لم يبلغوا) إلا أدخلهما الله الجنة بفضل رحمته^(١).

قال الخليل: بلغ الغلام الحنث أي جرى عليه القلم^(٢).
وبإسناده إلى علي بن ميسر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ولد واحد يقدمه الرجل أفضل من سبعين يخلفهم من بعده، كلهم قد ركبوا الخيل، وقاتلوا في سبيل الله»^(٣).

وعنه عليه السلام: «ولد واحد يقدمه الرجل أفضل من سبعين ولدًا يبقون بعده يدركون القائم عليه السلام»^(٤).

وعن محمد بن خالد السلمي عن أبيه عن جدّه، وكانت له صحبة، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا سَبَقَتْ لَهُ عِنْدَ^(٥) اللَّهِ -تعالى- منزلة، ولم يبلغها بعمل، ابتلاه الله في جسده، أو في ماله، أو في ولده، ثم صَبَّرَهُ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى يَبْلُغَهُ الْمَنْزِلَةُ الَّتِي سَبَقَتْ إِلَيْهِ مِنَ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ-»^(٦).

(١) نواب الأفعال: ٢٣٣، ح ٣.

(٢) العين: ٢٠٦ / ٣.

(٣) الفقيه: ١ / ١٢٢، ح ٥١٩، الكافي: ٣ / ٢١٨، ح ١، مشكاة الأنوار: ٢٣.

(٤) نواب الأفعال: ٢٣٣، ح ٤.

(٥) في نسخة: «من».

(٦) سنن أبي داود: ٣ / ١٨٣، رقم ٣٠٩٠، مسند أحمد: ٥ / ٢٧٢.

وعن عبد الرحمن بن سمرة عن رسول الله ﷺ قال: «إنّي رأيت البارحة عجباً، فذكر حديثاً طويلاً، وفيه: رأيت رجلاً من أمتي قد خفّ ميزانه، فجاء أفراطه، فثقلوا ميزانه»^(١).

الفرط، بفتح الفاء والراء: هو الذي لم يدرك من الأولاد الذكور والإناث، ويتقدّم وفاته على أبويه أو أحدهما، يقال: فرط القوم إذا تقدّمهم، وأصله الذي يتقدّم الركب إلى الماء، ويهيء لهم أسبابه.

وعن سهل بن حنيف -رضي الله عنه-؟ قال: قال رسول الله ﷺ: «تزوجوا فإنّي مكاثر بكم الأمم يوم القيامة، حتى إنّ السقط ليظلّ محبباً [ومحبباً، بالهمز وتركه: هو المغضب المستبطيء للشيء على باب الجنة]، فيقال له: ادخل، يقول: حتى يدخل أبوي»^(٢).

مثل ما رواه الصدوق عن الصادق -عليه السلام-: «ولد واحد يقدمه الرجل أفضل من سبعين ولد يبقون بعده يدركون القائم»^(٣).

ولشرح هذه الأحاديث وتقريبها للذهن والعبرة مثل ما لو قيل: إنّ رجلاً فقيراً معه ولد عليه خلقان الثياب، قد أسكنه في خربة مقفرة ذات

(١) كنز العمال: ١٥ / ٩٢٧، تاريخ دمشق: ٣٤ / ٤٠٧، إمتاع الأنساع: ٨ / ٩٦، الجامع الصغير (للسيوطي): ١ / ٤٠٦ رقم ٢٦٥٢.

(٢) الكافي: ٥ / ٣٣٤، ح ١، التوحيد (للصدوق): ٣٩٥، ح ١٠، معاني الأخبار: ٢٠٦، من لا يحضره الفقيه: ٣ / ٣٨٣، ح ٤٣٤٤، التهذيب للطوسي: ٧ / ٤٠١، ح ١٥٩٨، مكارم الأخلاق: ١٩٦.

(٣) نواب الأعمال: ٢٣٣، ح ١.

آفات كثيرة، وفيها بيوت حيات وعقارب وسباع ضارية، وهو معه على خطر عظيم، فاطلع عليه رجل حكيم جليل، ذو ثروة وحشم^(١) وخدم، وقصور عالية، ورتب سامية، فرق لهذا الرجل ولولده.

فأرسل إليه بعض غلمانه أن سيدي يقول لك: إني قد رحمتك ممّا بك في هذه الخبرة، وهو خائف عليك وعلى ولدك من العاهات، وقد تفضّلت عليك بهذا القصر ينزل به ولدك، ويوكل به جارية عظيمة من كرائم جواريه تقوم بخدمته إلى أن تقضي أنت أغراضك التي في نفسك، ثم إذا قدمت وأردت الإقامة أنزلتك معه في القصر، بل في قصر أحسن من قصره.

فلو قال الرجل الفقير: أنا لا أَرْضى بذلك، ولا يفارقني ولدي في هذه الخبرة، لا لعدم وثوقي بالرجل البازل، ولا زهداً منّي في داره وقصره، ولا لأماني على ولدي في هذه الخبرة، بل طبعي اقتضى ذلك، وما أريد أن أخالف طبعي.

أفما كنت -أيها السامع- لوصف هذا الرجل تعدّه من أدنياء السفهاء، وأخساء الأغبياء.

فلا تقع^(٢) في خلق لا ترضاه لغيرك، فإنّ نفسك أعزّ^(٣) عليك من غيرك.

(١) في نسخة: «حشمة».

(٢) في نسخة: «فباياك أن تقع».

(٣) في نسخة: «أعز».

واعلم أنّ لسع الأفاعي، وأكل السباع، وغيرهما من آفات الدنيا لا نسبة لها إلى أقلّ محنة من محن الآخرة المكتسبة في الدنيا، بل لا نسبة لها إلى إغراض الخالق^(١) - سبحانه - وتوبيخه ساعة واحدة في عرصة القيامة، أو عرضة واحدة على النار مع الخروج منها بسرعة. فما ظنّك بتوبيخ يكون ألف عام أو أضعافه، وبنفحة^(٢) من عذاب جهنم يبقى ألمها ألف عام، ولسعة من حيّاتها وعقاربها يبقى ألمها أربعين خريفاً؟

وأيّ نسبة لأعلى قصر في دار الدنيا إلى أدنى مسكن في الجنة؟ وأيّ مناسبة بين خلقان الثياب في الدنيا إلى فاخرها إلى أعلى ما في الدنيا بالإضافة إلى سندس الجنة وإستبرقها. وهلمّ جرّاً ما فيها من النعيم المقيم.

بل لو تأملت بعين بصيرتك في هذا المثل الذي ذكرناه، وأجلت فيه رؤيتك، علمت أنّ ذلك الكريم الكبير (وهو الله تعالى)، بل جميع العقلاء، لا يرضون من ذلك الفقير بمجرّد تسليم ولده ورضاه بأخذه، بل لابدّ - في الحكمة - من حمده عليه وشكره، وإظهار الثناء عليه بما هو أهله، لأنّ ذلك هو مقتضى حقّ النعمة.

(١) في نسخة: «الحق».

(٢) في نسخة: «وبنفحه».

دعا الله فرزقه ولداً ثم دعا ليموت

وحكى الشيخ أبو عبد الله بن النعمان في كتاب «مصباح الظلام» عن بعض الثقيات: إن رجلاً أوصى بعض أصحابه ممن أراد أن يحج أن يقرأ سلامه لرسول الله ﷺ، ويدفن رقعة مختومة أعطاها له عند رأسه الشريف، ففعل ذلك.

فلما رجع من حجّه أكرمه الرجل، وقال له: جزاك الله خيراً، لقد بلغت الرسالة.

فتعجب المبلغ من ذلك وقال: من أين علمت تبليغها قبل أن أحدثك؟ فأنشأ يحدثه، قال: كان لي أخ مات وترك ابناً صغيراً، فربّيته وأحسن تربيته، ثم مات قبل أن يبلغ الحلم.

فلما كان ذات ليلة رأيت في المنام كأن القيامة قد قامت، والحشر قد وقع، والناس قد اشتدّ بهم العطش من شدّة الجهد، ويبد ابن أخي ماء، فالتمست أن يسقيني، فأبى، وقال: أبي أحقّ به منك، فعظم عليّ ذلك، فانتبهت فزعاً.

فلما أصبحت تصدّقت بجملة دنائير، وسألت الله أن يرزقني ولداً ذكراً، فرزقنيه، واتفق سفرى، فكتبت لك تلك الرقعة، ومضمونها التوسل بالنبي ﷺ إلى الله - عزّ وجلّ - في قبوله مني رجاء أن أجده يوم الفرع الأكبر، فلم يلبث أن حمّ ومات، وكان ذلك يوم وصولك، فعلمت أنّك بلغت الرسالة!!!

أم البنين عليها السلام وصبرها على فراق أولادها

إن عظمة أم البنين عليها السلام تظهر عند سماعها الكارثة ومع ذلك لم تغيأ بمصيبتها العظمى على فراق أولادها الأربعة بل تسأل عن سلامة الإمام الحسين عليه السلام كأنه هو ابنها دون هؤلاء وقال الشيخ المامقاني (عليه الرحمة): يستفاد قوة إيمانها وتشيعها أن بشراً كلما نعى إليها بعد وروده المدينة أحداً من أولادها الأربعة قالت ما معناه:

أخبرني عن أبي عبد الله عليه السلام، فلما نعى إليها الأربعة قالت: «قد قطعت نياط قلبي، أولادي ومن تحت الخضراء كلهم فداءً لأبي عبد الله الحسين، أخبرني عن الحسين عليه السلام».

وفي صدد إيمانها العميق وانقطاعها للمبدأ المتقوّم بالولاية وتطلعها الواعي وتألقها الهادف، يحدثنا الشيخ أيضاً:

إنّ علقتها بالحسين عليه السلام ليس إلا لإمامته عليه السلام وتهوينها على نفسها موت هؤلاء الأشبال الأربعة إن سلم الحسين عليه السلام يكشف عن مرتبة في الديانة الرفيعة^(١) والصبر الجميل.

لقد بات من المسلم به عند أتباع أهل البيت عليهم السلام إنّ هذا اللون من الإيمان والصبر يندر وجوده إلا عند الأنبياء والأوصياء عليهم السلام ولكنها تربية علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه).

وقال صاحب رياض الأحرار: وأقامت أم البنين زوجة أمير المؤمنين عليه السلام الغزاء على الحسين عليه السلام، واجتمع عندها نساء بني هاشم يندبن الحسين عليه السلام وأهل بيته ^(١).

وكان نتيجة الصبر والإيمان والمودة لأهل البيت عند هذه المؤمنة الجليلة، أن تبوّأت هذه المكانة السامية والمقام الرفيع في دنيا الكرامة والخلود. وصارت باب من أبواب الله وباب الحوائج إلى الله تعالى.

ما دعته مروعة في حاجة إلا وتكشف حاجها



سؤالها عن وفاء أولادها

من المواقف السامية التي ازدانت بها حياة السيّدة أم البنين أنها وبعد أن عاد السبايا إلى المدينة جاءت إلى الحوراء زينب عليها السلام تقسم عليها بأغلظ الأيمان لتخبرها عما فعل أولادها يوم عاشوراء خصوصاً سيدهم وكبيرهم قمر بني هاشم العباس ابن أمير المؤمنين عليه السلام. وهل كانوا عند حسن ظن أمهم وأبيهم فيهم؟ وهل وفوا لإمامهم وسيدهم سيد شباب أهل الجنة، ولم ييخلوا عليه بشي؟ وهل أدوا حق النصرة كما ينبغي؟ وراحت تكرر السؤال على الحوراء زينب عليها السلام كل ذلك بغية التأكد من وفاء أولادها لإمامهم ونصرته والذود عنه، وما أعجبه من موقف!

إنها بدل أن تسأل عن جراحات أولادها أو عن مصارعهم، وكيف سقطوا ومن قتلهم ومن حز رؤوسهم ومن مثل بهم وأية خيل رضت أجسادهم، إلى غير ذلك من الأسئلة التي تكشف عن مدى تعلقها بأولادها وحزنها لفراقهم، بدل كل ذلك تسأل عن وفائهم للحسين عليه السلام وعن ذودهم عنه، ومواساتهم له، مما يكشف عن عظيم إيمان وسمو معرفة، تميّزت به هذه السيدة الصابرة.

وجاءها الجواب من الصديقة زينب عليها السلام مبرداً لغليلها، ومهوناً لنحيبها، ذلك الجواب الذي هللت لسماعه، وشكرت الله تعالى لتحقيقه، فلقد بينت لها أنهم لم يكتفوا بالذود عن الحسين والقتال بين يديه والمواساة له بل سطوروا أروع البطولات، وواسوا أخاهم وإمامهم الحسين عليه السلام حق المواساة خصوصاً بطل العلقمي وساقى العطاشى الذي تعجب من بطولاته وصولاته ومواساته ملائكة السماء.

فلقد خاض الماء بجواده وملاً القرية ماءً وأحس ببرودة الماء ولم يذق من الماء قطرة واحدة مع شدة ضمه وعطشه كل ذلك مواساة منه لأخيه الحسين عليه السلام الذي لم يشبهه أحد وقتئذٍ في ظمئه.

فاطميني يا أم البنين وتخطي عرصات القيامة رافعة الرأس، مبيضة الوجه، فالزهراء بانتظارك، وفيّ لها فلا بد أن توفي لك فطوبى لك ولأبنائك ومحبيك^(١).

(١) السيدة أم البنين (للشيخ أشرف الزهيري) : ١٦٣.

إعلانها ؑ مظلومية الحسين ؑ على الملأ

ومن المواقف التي لا تنسى، بل لا يصح أن تنسى لأم البنين ؑ إعلانها لمظلومية الحسين ؑ وذلك عبر إقامتها لمجالس الغزاء، وطول بكائها عليه.

فقد ذكر المؤرخون أنها كانت تحمل حفيدها عبيدالله بن العباس وتخرج إلى البقيع كل يوم وتقيم النياحة على أولادها وتندبهم أشجى ندبة، وخروجها إلى البقيع حيث اجتماع الناس، من ناحية، وقربها من القبور مما يجعل النفوس المستمعة لندبتها أكثر تأثراً مما لو ناحت في مكان آخر من ناحية أخرى.

كما أن نياحتها على أولادها لا تعني أنها نسيت الإمام الحسين ؑ بل الحسين ؑ بالنسبة لها هو سيد أولادها والنوح كل النوح عليه ومن أجله. نعم لا يمكن أن نهتمش مصيبتها في ولدها العباس قمر العشيرة وإخوته ؑ، فهي الأخرى مصيبة عظيمة، ورزية فادحة.

فكانت تندب أولادها الأربعة أشجى ندبة وأحرقها فيجتمع الناس فيسمعون بكاءها وندبتها، وكان مروان بن الحكم على خُبّه وعلى شدة عداوته لبني هاشم يجيء في مَنْ يجيء فلا يزال يسمع ندبتها ويبكي، فمن قولها في رثاء ولدها أبي الفضل العباس:

يا من رأى العباس كَرَّ على جماهير النَقْدِ

ووراءه من أبناء حيدر كلُّ ليث ذي لبد

أُنْبِثْتُ أَنْ ابْنِي أُصِيبَ بِرَأْسِهِ مَقْطُوعَ يَدِ
وَيَلِي عَلَى شِبْلِي أَمَا لَ بِرَأْسِهِ ضَرْبُ الْقَمَدِ
لَوْ كَانَ سَيْفٌ فِي يَدِيهِ لَمَّا دَنَى مِنْهُ أَحَدُ

وجماهير النقد نوع من الغنم قصار الأرجل قباح الوجوه، وزادت البيت حُسناً في البلاغة، أَنَّ العباس من أسماء الأسد، فكم لاح هذا الاستخدام العفوي جميلاً في صورة المطلع.
وقالت تراثي أولادها:

لَا تَدْعُونِي وَيَكْ أُمُّ الْبَنِينَ تَذَكِّرُنِي بِلِيُوثِ الْعَرِينِ
كَانَتْ بَنُونَ لِيْ أَدْعَى بِهِمْ وَالْيَوْمَ أَصْبَحْتُ وَلَا مِنْ بَنِينَ
أَرْبَعَةٌ مِثْلَ نَسْرِ الرَّبِيِّ قَدْ وَاصَلُوا الْمَوْتَ بِقَطْعِ الْوَتِينِ
تَنَازَعُ الْخَرَصَانُ أَشْلَاءَهُمْ فَكُلَّهُمْ أَمْسَى صَرِيحاً طَعِينِ
يَا لَيْتَ شَعْرِي أَكَمَا أَخْبَرُوا بِأَنَّ عَبَّاساً قَطِيعُ الْيَمِينِ

ولم تحضر أم البنين (عليها السلام) أرض كربلاء، ولم تشهد الفاجعة، إِلَّا أَنَّهَا وَاَسَتْ أَهْلَ الْبَيْتِ (عليهم السلام) وَقَدِمَتْ أَوْلَادُهَا الْأَرْبَعُ وَكَانَتْ تَسْأَلُ مِنْ زَيْنَبَ (عليها السلام) عَنْ مَوَاقِفِ وَجْهَادِ أَوْلَادِهَا هَلْ انْهَمَ أَدَوَا مَا عَلَيْهِمْ مِنَ التَّضْحِيَةِ دُونَ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ (عليه السلام) وَلِسَانِ حَالِهَا.

صاحت أرد أنشدج يا ضوه العين عن عباس وولادي الميامين
 اخافو گصروا عن نصرة احسين او عند امه ايخلج وجهي ايتوسم
 لا يُمِّي تگللها اشتكولين ثلث تنعام من اخوتي الطيبين
 بذلوا كل جهدهم دون الحسين او وگفو سور مادون المخيم
 شگلج عن ابوفاضل واخبرج وگر اعيونج ابفعله وبشرج
 مثل حملات حيدر حمل شبلج من هز رايته او لاح المطهم

* * *

ولم تزل باكية عليهم حتى التحقت بالرفيق الأعلى، وكان النساء
 يُقمن العزاء في بيتها، ونقل المؤرخون أنَّ السَّيدة الحوراء عليها السلام كانت
 تزورها في بيتها وتواسيها في مصيبتها، وإن كانت المصيبة واحدةً
 يشترك في تحملها الجميع وإذا دخلت عليها أم البنين عليها السلام تنادي زينب
 ولسان حالها:

بچت زينب او صاحت تلگنه بالله وياي گوَمَن ساعدنه
 هاي أم البنين الراح منه صناديد أربعه أو بالحرب نفلين

* * *

لطمية عن أم البنين والسجاد

يوندب السبط بصوت جهوري	يوم أن قد جاء بشر ينبري
أحمد الخير ومثوى شبر	بين قبرٍ لنبي أنور
أقبلت تعثر والقلب حزين	عندها فاطمة أم البنين
أين نسل الطيبات الطهر	وتنادي أين زين العابدين
أين سبط المصطفى فلك النجاة	يا أبا الباقر يا نسل الهداة
شبل من ألحد في أرض الغري	أين حامي الطيبات الطاهرات
لقتيل مات يشكو من ظما	قال يا أماه نوحى بالدما
ذبحوا أحمد والشرع الثري	ذبحوه من قفاه إنما
فلكم راح يناديهم أبي	إيه يا أماه فابكي واندبي
وأبي ساقى الورى من كوثر	أيها الناس ألسن ابن النبي
وبسيف البغي حزوا نحره	آه قد رضوا بخيل صدره
كم تتمنى الموت عند الأكبر	وبجنب النهر شلوا ظهره
عندما خر من السهم صريع	ليت عيناك رأث حال الرضيع
ليت دون الطفل حزوا منحري	وبعمد قطعوا النحر البديع
أقبلت من أسرها والجسم كل	هذه زينب يا أم البطل
قبل أن أسبى لوغد مفتر	وتنادي ليت وافاني الأجل
قد قضى يدفع أهوال البلا	أم عباس الذي في كربلا

عن نساءٍ كم غدت تشكو ولا	من معين لحماها ينبري
أمّ عباس الذي يوم الطفوف	قد فدا الدين دماه والكفوف
لم يبال إذ تولّته السيوف	وهو في الهيجا بهي المنظر
آه يا أمّ البنين الأربعة	في سبيل السبط وسط المعمه
آثروا أن يُقتلوا طراً معه	خصكم بالأجر ربّ المشعر
صرخت ياليت أفناني الردى	إنما نفسي وأولادي فدا
لحسين السبط مصباح الهدى	وسفين الغوث وسط الأبحر ^(١)



(١) لشاعر أهل البيت إبراهيم غلوم لاري «أبو عباس».



المجلس العاشر

وفاة أم البنين عليها السلام وفلسفة الابتلاء

أُمُ الْبَنِينَ وَدَمْعُهَا مَسْفُوحُ	بَقِيَّتْ تَكَابِدُ وَالْفُؤَادُ جَرِيحُ
وَعَلَى فَرَاقِ ابْنِ النَّبِيِّ تَصِيحُ	فَقَدْتُ بَنِيهَا كَالْبَدْوَرِ بِكَرْبَلَا
وَتَجَاذِبُ الْحَسِرَاتُ وَهِيَ تَنُوحُ	تَبْكِي عَلَى فَقْدِ الْحُسَيْنِ وَصَحْبِهِ
وَالْقَلْبُ مِنْ عُظْمِ الْمَصَابِ جَرِيحُ	تَبْكِي ابْنَ بَنَاتِ الْمُصْطَفَى وَمَصَابِهِ
وَالْجَفْنُ مِنْ طُولِ الْبُكَاءِ قَرِيحُ	وَعَدَتْ تَتْنُ عَلَى الْفَرَّاشِ مَرِيضَةً
إِنِّي مَفَادِكُكُمْ وَرُوحِي تَرُوحُ	نَادَتْ بِزَيْنَبَ يَا عَزِيزَةَ حَيْدِرٍ
وَالْجَسْمُ نَضُو فَارَقْتَهُ الرُّوحُ	وَتَمَدَّدَتْ لِلْمَوْتِ رُوحِي قَدْأَ لَهَا
وَالدَّمْعُ فَوْقَ خُدُودِهَا مَسْفُوحُ	فَهَوَتْ عَلَيْهَا بَنْتُ حَيْدَرَ زَيْنَبُ
كُلُّ عَلَى أُمِ الْبَنِينَ تَنُوحُ	أَهْوَتْ عَلَيْهَا الطَّاهِرَاتُ بِعَوْلَةٍ
كَالْمُزْنِ مِنْ فَوْقِ الْخُدُودِ تَسِيحُ	تَبْكِي الْعَقِيلَةُ وَالْدَمْعُ سَوَاكِبُ
وَلَقَّتْهَا بِأَلْأَكْفَانِ وَهِيَ تَصِيحُ	وَعَسَلَتْ الْحَوَارِيُّ زَيْنَبُ جَسْمَهَا
عَلَيْهَا النِّسَاءُ الطَّاهِرَاتُ تَنُوحُ	وَشِيلَتْ عَلَى ذَاكَ السَّرِيرِ وَأَقْبَلَتْ

وجاء علي السجاد مع آل هاشم وصَلُّوا عليها والفؤاد جريحُ
وراحوا بذاك التعش أولاد غالب والدمع يجري عالخدود سفوح^(١)



المقبولة العباسية

باسم رب الشهدا بحب مصباح الهدى
أحمد رب العالمين وعصمة المعتصمين
ثم أصلي عدُّ ما قطر السماوات هَمًا
على النبي الأمجد وآل بيت أحمد



يومان بعد الأربعين بعد زيارة الحسين
في عام ألف ومائة وبعدها ثلاثمائة
ثم ثلاثين سنة وسبعة مدونة
وفي طريق عودتي من نجف لبلدتي
وكنت في السيارة سرعتها طيارة
بدأت في الكتابه وراجياً ثوابه
من العلي الأعلى سبحانه تعالى



وهذه القصيدة	فكرتها جيدة
حروفها منيرة	عن قمر العشرة
ذاك الفتى العباس	والبطل النبراس
أرجوا بها الشفاعة	عند قيام الساعة
من بضعة الرسول	فاطمة البتول

* * *

قالوا بأن المرتضى	من هو لك رضا
أفضى إلى أخيه	السيد النبيه
عقيل يا نجل أبي	يا عالماً بالنسب
هل تعرفن أسرة	كريمة وبيرة
تعرف بالشجاعة	مهابة مطاعة
وبنتهم شريفة	نسيبة عفيفة
أصيب منها ولداً	يكون عوناً سنداً
لسيد الشبان	وحجة الرحمن
وثاني السبطين	مهجتي الحسين
بيوم كربو بلا	يبلي بلاء النبلا

* * *

قال عقيل أنعمن	عيناً أخي أبا الحسن
أمضي إلى بني كلاب	إلى حزام المهاب
أخطب منه درة	شريفة وحررة

صفاتها عليّة لفاطم سمية
آباؤها شجعان وفي الوغى فرسان

* * *

فاقل حيدرُ علي ربُّ العلى توكلّا
فجاءهم عقيل الفاضل الجليل
قال سلاماً واصباً فقد أتيت خاطباً
إلى عليّ منكم فاطمة يهنكم
قال له حزام عليكم السلام
أهلاً ومرحباً بكم حللتُموا بحيكُم
آل النبي المصطفى الأكرمين الشرفا
وتم بعد ذا الزوا وعم في الحي ابتهاج
حتى إذا ما دخلت بيت علي فرحت
فسلمت عليه وقبلت يديه

* * *

قالوا بكت سائلةً للمرتضى قائلة
والمقلتان تهمي هلاًّ تغير اسمي!
ما أنا إلا خادمة لأجل ولد فاطمة
هذا الذي قد طَلَبْتُ ومن عليّ سألت
فُسِّمْتُ أمَّ البنين زوج أمير المؤمنين

* * *

منها أصاب أربعة	مثل الدور طالعة
أولهم عباس	في الفضل لا يقاس
وبعده عبدالله	مطيع أمر مولاه
عثمان ثم جعفر	عزمهما كحيدر

في شهر شعبان ولد	عباس ذلك الأسد
من بعد أربع مضت	من الليالي وانقضت ^(١)

(١) لشاعر أهل البيت إبراهيم غلوم لاري.

قال الله الحكيم في محكم كتابه الكريم:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۖ ﴾^(١).

(صدق الله العلي العظيم)

البلاء سنة الحياة

إن من جملة قوانين الله تعالى على الأرض وسنته في هذه الدنيا سنة البلاء فهي تجري على جميع البشر ويحسها كل إنسان ويتلمسها كل عاقل. بل الحياة قائمة على هذه السنة والقانون، بل يبدو من جملة الآيات والروايات أنه غاية الخلق، وإحدى أهدافه كقوله تعالى:

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۖ ﴾^(٢)، ذكر المفسرون أن اللام في (لنبلوهم) لام الغاية: أي غاية وجود الزينة على الأرض هو للإمتحان والبلاء.

وهناك آية أخرى تبين أن علة اختلاف الإسم والألسن واللغات هو الابتلاء كقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۖ ﴾^(٣).

(١) سورة الملك : ٢.

(٢) سورة الكهف : ٧.

(٣) سورة المائدة : ٤٨.

أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «ولسنا للدنيا خلقنا، ولا بالسعي فيها أمرنا، وإنما وضعنا فيها لنبتلى بها»^(١).

وفي كلمة أخرى يبين الإمام أن البلاء من طبع الدنيا ودينها وسجاياها البارزة. قال عليه السلام: «دارٌ بالبلاء محفوفة، وبالغدر ومعروفة»^(٢).

لماذا الإختبار الإلهي؟

وبعد معرفة هذه الحقيقة يبرز سؤال مهم يدور في أذهاننا وهو: لماذا نبتلى؟ بمعنى آخر: ما هي فلسفة الابتلاء؟

لماذا نرى أناساً يتعذبون، وآخرون لا يتعذبون؟ أناس كثيرون البلاء، وآخرين قليلي البلاء؟ فهل غابت عدالة الله، هذا ما نريد الإشارة إليه. فنقول: في مجال الإختبار الإلهي تطرح بحوث كثيرة، وأول ما يتبادر للذهن في هذا المجال هو سبب هذا الإختبار. فنحن نختبر الأفراد لنفهم ما نجهله عنهم، فهل أن الله سبحانه وتعالى بحاجة إلى مثل هذا الإختبار لعباده، وهو العالم بكلّ الخفايا والأسرار؟! وهل هناك شيء خفي عنه حتّى يظهر له بهذا الإمتحان؟!

والجواب أن مفهوم الإختبار الإلهي يختلف عن الإختبار البشري.

(١) نهج البلاغة، كتاب معاوية.

(٢) نهج البلاغة، خطبة ٢٢٦.

إختباراتنا البشريّة - هي كما ذكرت آنفاً - تستهدف رفع الإبهام والجهل والإختبار الإلهي قصده «التربية».

في أكثر من عشرين موضعاً تحدّث القرآن عن الإختبار الإلهي، باعتباره سنّة كونيّة لا تنقض من أجل تفجير الطاقات الكامنة، ونقلها من القوّة إلى الفعل وبالتالي فالإختبار الإلهي من أجل تربية العباد، فكما أن الفولاذ يتخلّص من شوائبه عند صهره في الفرن، كذلك الإنسان يخلص وينقى في خضمّ الحوادث ويصبح أكثر قدرة على مواجهة الصعاب والتحدّيات.

الإختبار الإلهي يشبه عمل زارع خبير، ينثر البذور الصالحة في الأرض الصالحة كي تستفيد هذه البذور من مواهب الطبيعة وتبدأ بالنمو، ثمّ تصارع هذه البذرة كلّ المشاكل والصعاب بالتدريج، وتقاوم الحوادث المختلفة كالرياح العاتية والبرد الشديد والحرّ اللاّفح، لتخرج بعد ذلك نبتة مزهرة أو شجرة مثمرة تستطيع أن تواصل حياتها أمام الصعاب. ومن أجل تصعيد معنويات القوّات المسلّحة، يؤخذ الجنود إلى مناورات وحرب اصطناعيّة، يعانون فيها من مشاكل العطش والجوع والحرّ والبرد والظروف الصعبة والحواجز المنيعة.

وهذا هو سرُّ الإختبارات الإلهيّة^(١).

الاختبار الإلهي عام

نظام الحياة في الكون نظام تكامل وتربية وكل الموجودات الحية تطوي مسية؟ تكاملها حتى الأشجار تعبر عن قابلياتها الكامنة بالأثمار، من هنا لابد أن نعلم أنه ليس البلاء والإمتحان وليد هذا العصر أو ذاك، بل هو قديم بقدم الدهر. ابتداءً منذ أن خلق الله آدم وخلق الخلق، بل منذ عالم الذر، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ۝﴾^(١).

إذن الاختبار والإمتحان على الإنسان يوم كان في عالم الذر، وعرض عليهم الإيمان بالله ورسوله وولاية أهل البيت عليهم السلام؛ فمن كانت طينته طيبة قبل، ومن كانت خبيثة رُفض، وإنما الدنيا فرصة ثانية وساحة أخرى للاختبار منحها الله لعباده، ورحمه بهم لكي يؤمنوا ويعودوا إليه.

ثم تدرج البلاء فاختر إبليس بعد ما عبَدَ الله سنين فأكرمه الله وجعله في صفوف الملائكة، ولكن امتحنه بالسجود لآدم فأبى واستكبر فاستحقَّ اللعنة، لما خلق الله آدم قال: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ

رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ»^(١).

ثم امتحن أبونا آدم: «وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ»^(٢).

ونوح ﷺ ابتلي بقومه، وسمي نوح لكثرة نوحه ونياحته على قومه، حتى شكا الله الغم، فأمره أن يأكل العنب الأسود فإنه يذهب بالغم. إبراهيم ﷺ ابتلي بذبح ولده، أيوب ﷺ بالمرض، ونبيينا ابتلي بقومه حتى قال: «ما أُوذِيَ نبيٍّ مثل ما أُوذيتُ»، وكذلك الأئمة الأطهار.

ثم إن البلاء لم يكن مقتصرًا على فئة من فئات خلق الله، بل إنما هو شامل حتى الجن، كما ابتلي إبليس وجميع البشر، رجال، نساء، معصوم وغير معصوم، بل شمل حتى الحيوانات منذ اللحظة الأولى عند ولادتها، يولد الخطور والبلاء معها، فلما تنتظر إلى أنثى الغزال ما أن يقع وليدها الأرض تراه يعدو خلفها بعد لحظات ودقائق، ولما نسأل علماء الحيوان يقولون: لأنه أحس بالخطر والخوف، حتى الطيور، الإمام الصادق ﷺ يقول: «ما من طير يصاد إلا بتركه التسبيح»^(٣).

(١) سورة الحجر: ٢٩ - ٣١.

(٢) سورة البقرة: ٣٥.

(٣) خصائص المفيد.

حَتَّى الثَّيَّاتِ قَدْ يَتَعَرَّضُ لِلْبَلَاءِ عِنْدَمَا يَقْطَعُ الْمَاءَ، أَوْ الْأَسْمَاءَ وَالْأَمْلاحَ عَنْهُ فَتَرَاهُ يَصْفَرُ وَيَمُوتُ.

موقف الناس من الابتلاء

عادة النَّاسِ يَكْرَهُونَ الْبَلَاءَ وَيَخْشَوْنَهُ، وَيَتَهَرَّبُونَ مِنْ كُلِّ عَمَلٍ وَيَحْسُونَ فِيهِ خَطَرًا عَلَى مَصَالِحِهِمْ، وَيَفْرَوْنَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يَحْتَمِلُ فِيهِ بَلَاءٌ، أَوْ يُشْتَمُّ مِنْهُ رَائِحَتُهُ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْبَشَرَ بِطَبِيعَتِهِمْ يَمِيلُونَ إِلَى الرَّاحَةِ عَوْضًا عَنِ التَّعَبِ، وَذَلِكَ بَعْضُ النَّاسِ إِذَا أَصَابَهُمْ خَيْرٌ وَنِعْمَةٌ وَسَرَاءٌ اعْتَرَفُوا بِكَرَمِ رَبِّهِمْ وَفَضْلِهِ، وَإِنْ أَصَابَتْهُمْ ضَرَاءٌ وَشِدَّةٌ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَاتَّهَمُوا رَبَّهُمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِي * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِي﴾^(١).
أَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَنْظُرُ إِلَى جَمِيعِ الْأُمُورِ بِمَنْظَارِ رِضَا اللَّهِ وَسَخْطِهِ، فَلَوْ كَانَ رِضَا اللَّهِ مِنَ الْبَلَاءِ وَالْمَشَقَّةِ فَضْلَهُ عَلَى الرَّاحَةِ وَالْأَنْسِ، وَهَكَذَا الْعَكْسُ، فَأُبْرَزَ عَلَامَاتُ الْمُؤْمِنِ كَثْرَةُ الْبَلَاءِ، فَهُوَ قَرِينُهُ وَدِيدُهُ الَّذِي لَا يَنْفَكُ عَنْهُ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ، بَلْ يَسْتَفَادُ مِنَ الرِّوَايَاتِ أَنَّهُ:

لَا يَكُونُ الْمُؤْمِنُ مُؤْمِنًا حَتَّى يَتَلَى فِيصْبِرَ عَلَيْهِ، لِأَنَّ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ هُوَ إِنْتِصَارُ قُوَى الْخَيْرِ فَدَاخِلُهُ عَلَى قُوَى الشَّرِّ، أَيْ الْوُقُوفُ بِجَانِبِ الْعَقْلِ ضِدَّ الشَّهْوَةِ وَالْهَوَى وَهَذَا بِحَدِّ ذَاتِهِ، بَلَاءٌ وَمَعَانَاةٌ وَأَمْرٌ صَعْبٌ مُحْفُوفٌ بِالْمَكَارِهِ.

قال الصادق عليه السلام: «إِنَّ أَهْلَ الْحَقِّ لَمْ يَزَالُوا مِنْذُ كَانُوا فِي شِدَّةٍ، أَمَّا إِنْ ذَكَرُوا إِلَى مَدَّةٍ قَلِيلَةٍ وَعَافِيَةٍ طَوِيلَةٍ»^(١).

وهذا مصداق كلمة الإمام على أنه ما ترك له الحق من صديق، فالإيمان إذا يعني البلاء.

قال الصادق عليه السلام: «الْمُؤْمِنُ لَا يَمْضِي عَلَيْهِ أَرْبَعُونَ لَيْلَةً إِلَّا عُرِضَ لَهُ أَمْرٌ يَحْزَنُهُ يُذَكِّرُ بِهِ».

وعنه عليه السلام: ما كان ولا يكون وليس بكائن مؤمن إلا وله جار يؤذيه، ولو أن مؤمناً في جزيرة من جزائر البحر لابتعث الله له من يؤذيه^(٢). إذن - البلاء يلزم المؤمن كلزوم الليل والنهار، بل بعض الروايات كراهة انقطاعه عنه، بل فيه سخط الله عليها.

قال الصادق عليه السلام: كان علي بن الحسين عليه السلام يقول: إِنِّي لَا أَكْرَهُ لِلرَّجُلِ يَعَافِي فِي الدُّنْيَا فَلَا يَصِيبُهُ مِنَ الْمَصَائِبِ.

عوامل النجاح في الإمتحان

هنا يتعرّض الإنسان لاستفهام آخر، وهو أنه إذا كان القرار أن يتعرّض جميع أفراد البشر للإمتحان الإلهي فما هو السبيل لإحراز النجاح والتوفيق في هذا الإمتحان؟ القرآن يعرض هذه السبل في القسم الأخير من آية: «وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ

الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ^(١) وفي آياتٍ أخرى.

١ - أهم عامل للإنتصار أشارت إليه الآية بعبارة: «وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ»، فالآية تبشّر بالنجاح أولئك الصابرين المقاومين، ومؤكدة أن الصبر رمز الإنتصار.

٢ - الإلتفات إلى أن نكبات الحياة ومشاكلها مهما كانت شديدة وقاسية فهي مؤقتة وعابرة وهذا الإدراك يجعل كل المشاكل والصعاب عرضاً عابراً وسحابة صيف، وهذا المعنى تضمنته عبارة: «إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ». «كلمة الاسترجاع» هذه خلاصة كل دروس التوحيد، والإنقطاع إلى الله، والإعتماد على ذاته المقدسة في كل شيء وفي كل زمان. وأولياء الله ينطلقون من هذا التعليم القرآني، فيسترجعون لدى المصائب كلي لا تهزمهم الشدائد، وكي يتجاوزوا مرحلة الإختبار بسلام في ظل الإيمان بمالكية الله والرجوع إليه.

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام في تفسير الإسترجاع: «إِنْ قَوْلُنَا: إِنَّا لِلَّهِ إِقْرَارٌ عَلَى أَنْفُسِنَا بِالْمَلِكِ، وَقَوْلُنَا: إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ إِقْرَارٌ عَلَى أَنْفُسِنَا بِالْهَلِكِ» ^(٢).

(١) سورة البقرة: ١٥٥ - ١٥٧.

(٢) نهج البلاغة، الكلمات القصار، رقم ٩٩.

٣- الإستمداد من قوة الإيمان والأطاف الإلهية عامل مهم آخر في اجتياز والإختيار دون اضطراب وقلق وفقدان للتوازن. فالسائرون على طريق الله يتقدمون بخطوات ثابتة وقلوب مطمئنة لوضوح النهج والهدف لديهم. وترافقهم الهداية الإلهية في اختيار الطريق الصحيح، يقول سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾^(١).

٤- التدقيق في تأريخ الأسلاف، وإمعان النظر في مواقفهم من الإختبارات الإلهية، عامل مؤثر في إعداد الإنسان لإجتياز الإمتحان الإلهي بنجاح.

لو عرف الإنسان بأن ما أصيب به ليس حالة شاذة، وإنما هو قانون عام شامل لكل الأفراد والجماعات، لهان الخطب عليه، ولتفهم الحالة بوعي، ولاجتاز المرحلة بمقاومة وثبات. ولذلك يثبت الله تعالى على قلب نبيه والمؤمنين باستعراض تأريخ الماضين، وما واجهه الأنبياء، والفئات المؤمنة من محن ومصائب خلال مراحل دعوتهم، يقول سبحانه: ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَى بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾^(٢).

ويقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾^(٣).

(١) سورة العنكبوت : ٦٩.

(٢) سورة الأنعام : ١٠.

(٣) سورة الأنعام : ٣٤.

٥- الالتفات إلى حقيقة علم الله سبحانه بكلّ مجريات الأمور، عامل آخر في التثبيت وزيادة المقاومة.

المتسابقون في ساحة اللعب يشعرون بالإرتياح حينما يعلمون أنّهم في معرض أنظار أصدقائهم من المتفرّجين، ويندفعون بقوة أكثر في تحمّل الصعاب.

إذا كان تأثير وجود الأصدقاء كذلك، فما بالك بتأثير استشعار رؤية الله لما يجري على الإنسان وهو على ساحة الجهاد والمحنة؟! ما أعظم القوة التي يمنحها هذا الاستشعار لمواصلة طريق الجهاد وتحمل مشاقّ المحنة!

حين واجه نوح عليه السلام أعظم المصائب والضغوط من قومه وهو يصنع الفلك، وجاءه نداء التثبيت الإلهي ليقول له: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾^(١). وعبارة «بأعيننا» كان لها -دون شك- وقع عظيم في نفس هذا النبي الكريم، فاستقام وواصل عمله حتّى المرحلة النهائية دون الالتفات إلى تقرّيع الأعداء واستهزائهم.

وبين أتباع مدرسة الأنبياء نماذج رائعة للصابرین المحتسبين، كلّ واحد منهم قدوة على ساحة الإمتحان الإلهي.

فقد روي أنّ أمّ عقيل كانت امرأة في البادية فنزل عليها ضيفان وكان ولدها عقيل مع الإبل، فأخبرت بأنّه ازدحمت عليه الإبل فرمت به في

البئر فهلك. فقالت المرأة للنّاعي إنزل واقض ذمام القوم ودفعت إليه كبشاً فذبحه وأصلحه وقرب إلى القوم الطّعام فجعلوا يأكلون ويتعجبون من صبرها.

قال الرّاي: فلمّا فرغنا خرجت إلينا وقالت: يا قوم هل فيكم من يحسن من كتاب الله شيئاً؟
فقلت: نعم.

قالت: فاقرأ عليّ آياتٍ أتعرّى بها عن ولدي.
فقرأت: «وَبَشِّرِ الصّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» - إلى قوله - الْمُهْتَدُونَ ».

فقالت: السلام عليكم، ثمّ صفت قدميها وصَلّت ركعاتٍ ثمّ قالت: اللهمّ إنّي فعلت ما أمرتني فأنجزلي ما وعدتني. ولو بقي أحدٌ لأحدٍ - قال: فقلتُ في نفسي: ل بقي ابني لحاجتي إليه - فقالت: ل بقي محمد سَلَّمَ لأمتّه، فَخَرَجَتْ^(١).

الرضا بقضاء الله تعالى

عن عليّ بن الحسين عَلَيْهِ السَّلَام قال: «الصّبر والرّضا عن الله رأس طاعة الله، ومن صبر ورضي عن الله فيما قضى عليه فيما أحبّ أو كره

لم يقضِ الله عزَّ وجلَّ له فيما أحبَّ أو كره إلا ما هو خيرٌ له»^(١).
وعن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله عزَّ وجلَّ: «إِنَّ
من عبادي المؤمنين عبادةً لا يصلح لهم أمر دينهم إلا بالغنى والسعة
والصحة في البدن فأبلوهم بالغنى والسعة وصحة البدن فيُصلح عليهم
أمر دينهم.

وإنَّ من عبادي المؤمنين لعبادةً لا يصلح أهمُّ أمر دينهم إلا بالفاقة
والمسكنة والسقم في أبدانهم فأبلوهم بالفاقة والمسكنة والسقم
فيُصلح أمر دينهم وأنا أعلم بما يصلح عليه أمر دين عبادي المؤمنين.
وإنَّ من عبادي المؤمنين لمن يجتهد في عبادتي فيقوم من رُقادهِ
ولذيذ وساده فيتهدَّد لي الليالي فتُعب نفسه في عبادتي فأضربه
بالنعاس الليلة والليلتين نظراً منِّي له وإبقاء عليه، فينام حتَّى يُصبح
فيقوم وهو ماقَتٌ لنفسه زارئٌ عليها ولو أخلِّي بينه وبين ما يُريد من
عبادتي لدخله العجب من ذلك فيصيرهُ العجب إلى الفتنة بأعماله.
فيأتيه من ذلك ما فيه هلاكه لعجبه بأعماله ورضاه عن نفسه حتَّى
يظنَّ أنَّه قد فاق العابدين وجاز في عبادته حدَّ التقصير، فيتباعد منِّي

(١) دلَّ بحسب المفهوم على أنَّ من لم يصبر ولم يرض قد يقضي الله عليه ما هو شرُّ له فلا بدَّ من
القول بأنَّ المفهوم غير معتبر. أو القول بأنَّ ما قضاء شرُّ له لفقده أجر الصبر والرضا أو في نظره
بخلاف الصابر والراضي فإنَّه خيرٌ في نظرهما وفي الواقع. قال المجلسي رحمته الله: المراد أنَّ الصبر
والرضا وقعا موقعهما لأنَّ المقضى عليه لا محالة خيرٌ له، أصول الكافي: ٥٠ / ؟؟؟.

عند ذلك وهو يظن أنه يتقرب إليّ، فلا يتكل العاملون على أعمالهم التي يعملونها لثوابي فإنهم لو اجتهدوا أو أتعبوا أنفسهم وأفنوا أعمارهم في عبادتي.

كانوا مقصرين غير بالغين في عبادتهم كنه عبادتي فيما يطلبون عندي من كرامتي والنعم في جنّاتي ورفيع درجاتي العلى في جوارى ولكن فبرحمتي فليثقوا وبفضلي فليفرحوا وإلى حسن الظنّ بي فليطمئنوا فإنّ رحمتي عند ذلك تُداركهم، ومنّي يُبلّغهم رضواني، ومغفرتي تلبسهم عفوي، فإنّي أنا الله الرحمن الرحيم وبذلك تسميتُ»^(١).

وقال أبو عبد الله عليه السلام: قال الله عزّ وجلّ: «عبدى المؤمن لا أصرفه في شيء إلا جعلته خيراً له، فليرض بقضائي وليصبر على بلائي وليشكر نعمائي أكتبه يا محمّد من الصديقين عندي».

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنّ فيما أوحى الله عزّ وجلّ إلى موسى بن عمران عليه السلام: يا موسى بن عمران! ما خلقت خلقاً أحبّ إليّ من عبدى المؤمن فإنّي إنّما أبتليه لما هو خير له وأعافيه لما هو خير وأزوي عنه ما هو شرّ له وأنا أعلم بما يصلح عليه عبدى فليصبر على بلائي وليشكر نعمائي وليرض بقضائي أكتبه في الصديقين عندي إذا عمل برضائي أطاع أمري».

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «عجبتُ للمرء المسلم لا يقضي الله عزّ وجل له قضاءً إلاّ كان خيراً له وإن قُرِضَ بالمقاريض كان خيراً له وإن مَلَكَ مشارقَ الأرض ومغاريها كان خيراً له».

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «أحقُّ خلقِ الله أن يُسَلَّمَ لما قضى الله عزّ وجلّ من عرف الله عزّ وجلّ^(١)، ومن رضى بالقضاء أتى عليه القضاء وعظم أجره، ومن سخط القضاء مضى عليه القضاء وأحبط الله أجره».

أُسَلِّمُ لو جعلني الله جسراً إلى جهنم ثم أدخلني فيها

وقيل لبعض العارفين: نلت غاية الرضا عنه؟ فقال: أمّا الغاية فلا، ولكن مقام من الرضا قد نلته، لو جعلني الله جسراً على جهنم تعبر الخلائق عليّ إلى الجنة، ثم ملأ بي جهنم، لأحببت ذلك من حكمه، ورضيت به من قسمته^(٢). وهذا كلام من علم أنّ الحبّ به استغرق همهّ حتى منعه الإحساس بألم النار، واستيلاء هذه الحالة غير محال في نفسه، لكنّه بعيد من الأحوال^(٣) الضعيفة في هذا الزمان، ولا ينبغي أن يستنكر الضعيف المحروم حال الأقوياء، ويظنّ أنّ ما هو عاجز عنه يعجز عنه غيره من الأولياء^(٤).

(١) أين من عرف الله حق معرفته فهذا حق أن يسلم ما قضاه الله عليه لأن التسليم له تابع للمعرفة وكلما كانت المعرفة أكمل كان التسليم أولى وأجدر.

(٢) إحياء علوم الدين (للغزالي): ٤ / ٣٩٤.

(٣) في نسخة: «عن الأخطار».

(٤) إحياء علوم الدين (للغزالي): ٤ / ٣٩٤.

قال: نلت من كل مقام حالاً إلا الرضا بالقضاء، فما لي منه إلا مشام الريح، وعلى ذلك لو أدخل الخلائق كلهم الجنة، وأدخلني النار كنت بذلك راضياً^(١). وروي أن يونس قال لجبرئيل عليه السلام: دلني على أعبد أهل الأرض، فدلّه على رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه، وذهب ببصره وسمعه وهو يقول: الهي متعنتني بهما ما شئت وسلبتني ما شئت، وأبقيت لي فيك الأمل يا برّيا الوصول، وروي أن عيسى عليه السلام مرّ برجل أعمى أبرص مقعد مضروب الجنين بالفالج.

فقال عيسى عليه السلام: «يا هذا وأي شيء من البلاء أراه معروفاً عنك؟» فقال: يا روح الله أنا خير ممن لم يجعل الله في قلبه ما جعل في قلبي من معرفته، فقال له: «صدقت هات يدك فناوله يده فإذا هو أحسن الناس وجهاً وأفضلهم هيئة قد ذهب الله عنه ما أن به فصحب عيسى وتعبّد معه»^(٢). ومن خبر عمران بن حصين عليه السلام - استسقى بطنه، فبقي ملقى على ظهره ثلاثين سنة، لا يقوم ولا يقعد، وقد ثقب له في سريه موضع لقضاء الحاجة. فدخل عليه أخوه العلا، فجعل يبكي لما يرى من حاله. فقال: لم تبكي.

(١) في الصحيفة السجادية للإمام زين العابدين عليه السلام: ٢٣٢: ولئن أدخلتني النار لأخبرن أهل النار بحبي لك.

وفي إقبال الأعمال (للسيد ابن طاووس): ٣ / ٢٩٧: لئن أدخلتني النار أعلمت أهلها أنني أحبك.

(٢) إحياء علوم الدين: ٤ / ٣٤٩.

قال: لأنني أراك على هذه الحالة العظيمة.

قال: لا تبك فإن ما أحبه الله أحبه ثم قال: أحدثك ولعلّ الله ينفعك به واكتم عليّ حتى أموت: ان الملائكة لتزورني فأنس بها وتسلم عليّ فاسمع تسليمها فاعلم بذلك ان هذا البلاء ليس عقوبة أو هو سبب لهذه النعمة فمن شاهد هذا في بلائه كيف لا يكون راضياً به^(١).

وروي عن بعضهم، وكان قاسى المرض ستين سنة، فلما اشتدّ عليه حاله دخل عليه بنوه فقالوا: أتريد أن تموت حتى تستريح مما أنت فيه؟ قال: لا. قالوا: فما تريد؟ قال: مالي إرادة، إنما أنا عبد، وللسيد الإرادة في عبده، والحكم في أمره.

وقيل: اشتد المرض بفتح الموصلي، واصابه مع مرضه الفقر والجهد فقال: إلهي وسيدي ابتليتني بالمرض والفقر^(٢) فهذا فعالك بالأنبياء والمرسلين، فكيف لي وأن أؤدي شكر ما انعمت به عليّ.

وفاة أم البنين عليها السلام أو شهادتها ومحل قبرها

أما مدفنها، فلاشك أنه بالبقيع، لأنها لم تخرج إلى أي بلد آخر بعد مقتل الحسين عليه السلام، فمدفنها بالمدينة وطبعاً بالبقيع. هذا بالنسبة إلى الاعتبار والمعهود، وهو المشهور الآن.

(١) مسكن الفؤاد: ١٦٣ عن إحياء علوم الدين: ٤ / ٣٤٩.

(٢) مسكن الفؤاد عن إحياء علوم الدين: ٣ / ٨٣، فضيلة الجوع.

وأما التصريح بدفنها فيه، فيأتي الآن في ما ينقله السيد مهدي السويج من العلامة قره باغي فانتظر.

وأما تاريخ وفاتها:

فنقل الأنصاري تحت هذا العنوان عن الخطيب مهدي السويج أنه قال: سألت عدة مرّات في أماكن متعدّدة عن تاريخ وفاة أم البنين عدداً من أهل الخبرة في ذلك (فلم أحصل على جواب شافٍ)، وذات يوم تناولت كتاباً... وكان قد علق في ذهني أنّ في الكتاب المذكور قصيدة في حديث الكساء، فناولته على حساب القصيدة... وإذا بـ خبر وفاة أم البنين يأتي في تعقيب صاحب الكتاب على القصيدة.

والكتاب المشار إليه خطّي على ورق ترّمه قديم، ويرجع تاريخ خطّه إلى عام (١٣١٢هـ) واسمه «كنز المطالب» للعلامة السيّد محمد باقر القره باغي الهمداني رحمته الله قال المصنّف رفع الله شأنه: وكان مدار حديث الكساء المبارك بيت فاطمة الزهراء عليها السلام.

وكانت وفاتها في الثّالث من جمادى الآخرة، وقد خلفتها في تربية الحسين عليه السلام أمانة بنت أختها، ثم فاطمة أم البنين الكلائية، وقد توفيت بعد مقتل الحسين عليه السلام ودفنت بالبقيع بالقرب من فاطمة الزّهراء.

ففي «الإختيارات» عن الأعمش قال: دخلت على الإمام زين العابدين عليه السلام في الثّالث عشر من جمادى الآخرة وكان يوم جمعة،

فدخل الفضل بن العباس عليه السلام وهو باك حزين وهو يقول: لقد ماتت جدتي أم البنين ^(١).

يقول السالكي: ويظهر من هذا أنَّ المخبر الباكي هو الفضل مع أنَّ الفضل مات صغيراً وأنَّ أهل السَّير يقولون: أنَّ إرث العباس، أمّه، صار إلى عبيد الله بن العباس وأنَّ نسله من فقط. فالصَّحيح أنَّه كان عبيد الله. إلَّا أنَّ يقال: إنَّ الفضل مات بعد هذا الخبر فبالنتيجة انتقل الإرث إلى عبيد الله هم كانوا ينظرون إلى النتيجة.

أعني أنَّ إرث العباس وصل إلى أمّه وإلى أبنائه وإرث إخوة العباس وصل إلى أمّه ثم ماتت أمّه وورثها أبناء العباس ثم لم يبق من الأبناء إلَّا عبيد الله، فورث هو كلَّ المال فهو الوارث بعدهم.

ثم إنّه يفهم من كلمة «بعد مقتل الحسين عليه السلام» أنَّ أم البنين ماتت بعد مقتل بلا فصل أعني في عام (٦١) من الهجرة كما أرَّخ بعضهم تاريخ وفاتها بهذا التاريخ.

إلَّا أنه يأتي الآن نقل بأنَّ وفاتها كانت في عام (٦٤).

نقل الأنصاري أيضاً عن السَّويج أنَّه قال:

ثم عثرت بعد ذلك بمدة على خبر آخر في هامش «وقائع الشَّهور

(١) أم البنين رمز التضحية والفداء للأنصاري: ٤٢ - ٤٣ عن السَّويج في كتابه «أم البنين سيِّدة نساء العرب»: ٨٦.

والأيام» للبرجندي، ونصّه ما يلي: وفيه - يقصد الثالث عشر من جمادى الآخرة - توفيت أم البنين الكلابية سنة (٦٤ هـ) عن الأعمش^(١). يقول السالكي: كتاب البرجندي - المطبوع منه - موجود عندي وهو الآن مفتوح أمامي، وليس في هذا المطبوع شيء من ذلك. نعم يمكن أن نقول: إنَّ أحداً من المطالعين للكتاب - ولا نعرفه - أخذ ذلك المذكور من مصدر آخر فكتبه بخطه على حاشية الكتاب في نسخة كانت عنده، ورآه الخطيب السويج وليس هذا في كلّ نسخ الكتاب، أو كتبه المؤلف على حاشية الكتاب في إحدى طبعاته.

وهذا الثقل وما قبله متّحداً في اليوم والشهر إلّا أنّ في الأوّل لم يذكر السنّة ولكنّا استظهرنا وفاتها في سنة (٦١)، وفي الثاني ذكرها وهي سنة (٦٤) والله العالم.

هل دُسَّ إليها السم

وقد استظهر آية الله العظمى السيّد محمد الشيرازي^(٢) في كتابه السيّدّة أم البنين^(٣) احتمال دس السم إليها كما احتمل ذلك للسيّدّة زينب^(٤)، قال^(٥): « لا نعلم شيئاً عن سبب وفاة السيّدّة أم البنين^(٦) مع العلم بأنها كانت تفضح بني أميّة الذين قتلوا الإمام الحسين^(٧) ».

(١) الأنصاري في كتابه: ٤٣ عن السويج في كتابه: ٨٦.

وقد أسس معاوية جُند العسل وقتل به مالك الأشتر رضوان الله عليه وكثير من الأبرياء بالسم... حتى صار عادة فيهم وفي العباسيين والعثمانيين من بعدهم فقد ورد في التاريخ إن هارون قتل السيد الادريسي به وهكذا قتل المأمون السيدة فاطمة المعصومة سلام الله عليها كما رأيته في أحد التواريخ.

بل أصبح ذلك مما تعارف واعتاد عليه الطغاة، ... وقد شاهدنا في زماننا أمثال صدام وهدام يقتلون الناس بالسم! ... كما قتل صدام المرحوم الخطيب الشيخ عبد الزهراء الكعبي والسيد محمد الحيدري وغيرهما من الخطباء والعلماء بقهوة مسمومة أو لبن مسموم أو حنطة مسمومة أو ماشابه ذلك»^(١).

وعلى كلام السيد الشيرازي يحتمل انها دُس السم لأنها كانت تؤلب الناس ببيكائها في البقيع على أولادها ضد بني أمية والبلاط الأموي كما حصل ذلك للسيدة زينب عليها السلام وتجهيزها وابعادها إلى الشام وفارقت الحياة هناك.

وكما كان ذلك أيضاً للزهراء عليها السلام وبيكائها على أبيها حتى كسروا ضلعها واسقطوا جنينها وقتلوها شهيدة عليها السلام فليس من المستبعد أن أم البنين عليها السلام والتي كان يجتمع الناس عليها في البقيع ويكون لبيكائها أن يدس الأعداء من بني أمية إليها السم عليها السلام.

(١) السيدة أم البنين عليها السلام للمرجع الديني المرحوم آية الله العظمى السيد محمد الشيرازي عليه السلام: ٤٩.

اللحظات الأخيرة عند احتضارها ﷺ

وبقيت أم البنين لابسة السواد معصبة الرأس ناحلة الجسم ظاهرة الحزن على ما جرى على الحسين ﷺ، وتنعى أولادها وتتمنى حضور الزهراء ﷺ في واقعة الطف ولسان الحال يقول:

وينج يزها ما حضرت يوم الطف

يوم استدارت حول ابنج ذيج الصفوف

ويا ليت لمن خر رمى عينج تشوف

وجاه الشمر وعيونه إلى نسوته تدور

تسمن على صدره وكاس الذبح يسقيه

كبه على الرمضى يزها وما حضرتيه

قالت حضرته لكن أنا شبيدي عليه

وانساني مصاب الولد ضلعي المكسور

أين المعزين لفقد أم البنين ﷺ ينادون واسيدته نعم تدهورت حالة أم البنين ﷺ وبقيت على فراش علتها وكن بنات أمير المؤمنين ﷺ يمرضنها إلى أن دنت منها المنية وهي تنظر يميناً شمالاً كأنها تريد أن توصي أولادها ولكن أين أولادها يا شيعة كلهم مجزرين بلا غسل ولا كفن في أرض كربلاء.

ولذلك عرق جبينها وسكن أنينها واستقبلت القبلة وأسبلت يديها
ومدّت رجليها وغمضت عينيها ثم شهدت الشهادتين وهي تنادي
وا حسينا وا حسينا إلى أن فارقت روحها الدنيا فرحم الله مَنْ قال
وا فاطمته وا سيدته يا أم البنين فضجت أهل المدينة بالبكاء والنحيب
وكل ينادي وا فاطماه وا سيدته.

مدت نظرها للي يمها من النساء
وقالت وداع الله وماتت أم البنين
دارت على أم البنين الحرم بالنوح
وبالمغتسل مدوا جسمها مهجة الروح
وقامت تغسلها الحرم والدمع مسفوح
والجسد يتقلب بأيادي الحور العين

وتقدم السجاد والباقر إليها
والكرام من آل النبي صلوا عليها
ولمسجد الهادي الجنائز وصلوا بيها
يعزّون فيها الطاهرة خير النبيين

ولأرض البقيع حملوا نعش أم الأماجد
والنساء تتعاطى النعش من أيد لا أيد

والكل يجذب حسرته والدمع تبديد
ومن الصوايح والبجا ارتجت الكونين

* * *

وللقبر لمن وصلوا تأخرت الرجال
وشالت جنازتها الودائع من الشبال
وبالقبر خطوا أم البنين بدمع همال
وقبل الدفن خرت تودعها النساون

* * *

إلى أن قضت بالسلم صبراً وماقضى كريمٌ لهم إلا بسم وصارم
وبين سميم قد سرى في عظامه من السم قتالٌ بغير قتال

* * *

لطمية عن أم البنين تحية

أم البنين تحيةً	من ربك المتفضل
سقياً لقبرك واصباً	زوج الإمام الأول
فلقد وفيت العهد لا	سبط الشهيد المنجل
وفديت أولاداً شدي	دي البأس يوم القسطل
حتى غدا العباس شب	ملك غاية المتوسل
إن ضاقت الدنيا وأ	لك الزمان بمعضل
أفديه لما كرّ وال	أعداء حقدهم جلي

لم يخش جمعهمُ وشة	مت شملهم بالفصل
وتملّك الماء الذي	منعوا ابن بنت المرسل
رغم الظما والحرما	ء فراتها لم ينهل
ما ذاق طعم الماء وا	سى السبط فيما قد بُلي
أفديه لما خر من	ظهر الجواد المثقل
والرأس منه مهشمُ	يا للمصاب المُهول
قُطعت يدها وعينه	ذهبت بسهمٍ مقبل
والسبط يبكي صنوّه	فهو العلامة من علي
وكذاك إخوته فبي	ن معفرٍ ومرمل
لهفي لزينبٍ وهي تب	كيهم بصوت معول
تنعى الحماة بكربلا	وتصيح: لا عباس لي
يحمي حماي من العدا	من شامت متهلل
وبـيثربٍ أم البني	ن أتت لأكرم منزل
جاءت تواسي زينب الـ	كبرى بدمع مهمل
تبكي الحسين بعولةٍ	وتصيح: يا نعم الولي
تنعاه لا تنعى بني	ها الأكرمين الكُمَّل
ولذاك يوم الحشر تأ	تي فاطمُ بتذل
نحو الجليل بكفّي الـ	عباس، نودي فاسألي
تُعطي، تنادي رب بالـ	كفين فاحكم بي ولي ^(١)

(١) لشاعر أهل البيت إبراهيم غلوم لاري «أبو عباس».



المجلس الحادي عشر

مسك الختام عن الإمام الحجة بن الحسن العسكري عليه السلام

والزهراء فاطمة عليها السلام

وَمَهْدِيَّ الْخَلَائِقِ أَجْمَعِينَ	إِمَامَ الْعَصْرِ يَا ابْنَ الْكَرَمِينَا
عِمَادِ الْكَوْنِ يَا رُكْنًا رَكِينَا	غِيَابُكَ هَدًى مِنَّا كُلُّ رَكْنٍ
بِعَيْنِكَ يَا مُنَانًا مَأْمُونَنَا	تَوَاطَعَتِ الْعِدَا طُرّاً عَلَيْنَا
يَقِينَا إِنْ حَلَلْتَ وَكَنْتَ فِينَا	فَهَا هُوَ دَهْرُنَا مُرٌّ وَيَحْلُوا
رُزِيتَ بِهِ وَنَحْنُ بِهِ رَزِينَا	إِمَامَ الْعَصْرِ عَزَّ عَلَيْكَ مَا قَدْ
غَدَاةَ السُّبْطِ قَدْ أَمْسَى رَهِينَا	وَأَعْظَمَهَا رَزَايَا الطِّفِّ شَجْوًا
عَلَى وَجْهِ الصَّعِيدِ مُجْزَرِينَا	وَفَتَيْتُهُ حَوَالِيهِ ضَحَايَا
لَطِيبَةً أَبَدَتْ الصَّوْتِ الْحَزِينَا	وَيَا لَهْفِي لِزَيْنَبَ يَوْمَ عَادَتْ
فَبِالْحَسْرَاتِ وَالْأَحْزَانِ جِينَا	(مَدِينَةٌ جَدْنَا لَا تَقْبَلِينَا)
رَجَعْنَا لَا رَجَالَ وَلَا بَنِينَا	(خَرَجْنَا عَنْكَ بِالْأَهْلِينَ جَمْعًا)
عِيَانِ السُّبْطِ فَخَرَّ الْعَالَمِينَا	وَزَيْنَ الْعَابِدِينَ يَقُولُ لِلنَّاسِ
تَبَيَّنَ أَنَّهَا أُمُّ الْبَنِينَا ^(١)	فَنَفَّذَ أَمْرَهُ فَاتَتْهُ ثَكْلًا

قال الله الحكيم في محكم كتابه الكريم:

بسم الله الرحمن الرحيم

«وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ» (١).

(صدق الله العلي العظيم)

وقال رسول الله ﷺ: « لو لم يبق من الدنيا (الدهر) إلا يوم واحد لطول الله (عز وجل) ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلاً من أمتي ومن أهل بيتي يواطي اسمه إسمي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً ».

رأينا من المناسب أن نجعل مسك الختام لمجالس أم البنين ﷺ، الحديث عن خاتم الأوصياء المعصومين المهديين الإمام الثاني عشر الذي بشر به رسول الله ﷺ وكل الأئمة الأطهار ﷺ، وعن أمه الزهراء فاطمة ﷺ بخطبتها الخالدة في المجلس الثاني عشر.

ونرجوا بذلك أن نعلم بنفحاتها الطاهرة ودعواتها العاطرة وأن نكون لهم جنوداً أوفياء بالأخص عند ظهور الإمام الحجة ﷺ المبارك ان شاء الله تعالى، فنقول:

الحديث حول مسألة وموضوع الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف

هو حديث عن مسألة عقائدية مهمّة ولذيذة في نفس الوقت، أمّا كون مسألة الحديث حول الإمام عقائدية مهمّة فباعتبار إنها ترتبط بالإمامة وبالموجود الكامل لهذه الحياة لولا الحجة لساخت الأرض بأهلها.

وفي حديث آخر: «يؤمنه رزق الورى وبوجوده ثبتت الأرض والسماء»، لأنّه ربّما يسئل: هل أنّ الله تعالى ترك البشريّة طيلة هذه الاماد الطويلة دون قائد وإمام؟ وهل أنّه أغفل البشريّة في هذه الأزمنة منذ الأئمة المعصومين إلى هذا اليوم؟

وثانياً هل إنّ إختيار الإمام يرجع إلى البشر أو إلى الله تعالى؟ لأنّه من المتفق عليه أنّ مسألة القانون الصّالح يجب أن تُحل عن طريق السّماء فإنّ الإنسان لا يتمكّن أن يشرع ويتتدع القانون الصّالح لنفسه من دون أن يرجع إلى السماء وإلى الله تعالى.

وعليه تكون مسألة الحاكم والقائد الذي ينفذ قانون الله تعالى في الحياة لابدّ أيضاً أن يكون وأن يعيّن من قبل الله ومن السماء لا من النّاس، إذن مسألة الإمام المهدي عليه السلام عجل الله تعالى فرجه التّريف مسألة ترتبط بالإمامة من جهة، ولهذا في مهمّة.

الإمام المهدي عليه السلام والمستقبل السعيد

ذكرنا مسألة الحديث عن حكومة الإمام المهدي عليه السلام من جهة أنّها لذیذة، وذلك باعتبار أنّها تتحدّث عن المستقبل المشرق والغد

السعيد للبشرية، وأيّ منا لا يحب أن يسمع عن غدة المشرق وعن مستقبله السعيد.

ولذلك ورد عن رسول الله ﷺ رواية يرويها ابن حجز في الصّواعق المحرقة ومسند أحمد (ج ٣، ص ٣٧) عن سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ:

«ابشركم بالمهدي [وفي مصدر آخر اوله ابشروا بالمهدي رجل من قريش من عترتي] ^(١) يبعث في امتي على اختلاف من الناس وزلزال فيملا الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض يقسم المال صحاحاً».

فقال له رجل: ما صحاحا، فقال ﷺ: بالسّوية بين الناس، قال: ويملاً الله قلوب أمة محمد ﷺ غنى ويسعهم عدله حتى يأمر منادياً فينادي. فيقول: من له في مال حاجة؟ فما يقوم من الناس إلا رجل فيقول: ائت السّدان يعني الخازن لبيت مال المسلمين فقل له انّ المهدي يأمر: ان تعطيني مالاً فيأتيه فيقول له: السّادن إحث من المال حتى إذا جعله في حجره وأبرزه ندم.

فيقول: كنت اشجع أمة محمد نفساً او عجز عني ما وسعهم قال: فيردّه فلا يقبل منه. فيقال له: انا لا نأخذ شيئاً اعطيناه فيكون كذلك

سبع سنين او ثمان سنين او تسع ثم لا خير في العيش بعده». فالإنسان الذي يسمع هذه الأوصاف يهيم شوقاً للتطلع والبحث عن هذا الغد المشرق السعيد واللذيذ.

ضرورة الاعتقاد بالمهدي عليه السلام

ان الاعتقاد بالإمام المهدي عليه السلام يعتبر ضرورة عملية، لأن الإيمان بيوم مرتقب للدين يشكل ضرورة عقلانية عند الإنسان المتدين، لأن أنبياء الله جاؤوا ودعوا إلى عبادة الله ودعوا إلى إقامة العدل الاجتماعي، لأن الله خلق الكون كله والبشر للعبادة، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(١).

فكل الجهود التي بذلها الأنبياء، بل كل قوافل الشهداء وكل الدماء التي سفكت كانت في سبيل هدف واحد وهو أن يكون الإنسان صالحاً يعبد الله تعالى، ولذلك نجد أن ما حققه الأنبياء في الحياة لا يتناسب مع درجة الجهد التي بذلوها في هذا السبيل، فكم من شهداء ذهبوا؟ كم من دماء أريق، كم تحمل الأنبياء من المصائب؟ ولكن ما تحقق الشيء المطلوب كما يريد الله تعالى والأنبياء.

وعلى ذلك فالعقل يحكم في إطار الدين أنه لا بد من يوم مرتقب

تتحقق فيه حكمة الله تعالى من إرسال أنبيائه وإلا إستلزم إرسال الأنبياء لغواً وخلق البشر عبثاً، فلا بد من يوم تكمل فيه جهود كل الأنبياء وعباد الله الصالحين وكل الذين جاهدوا في سبيل الله لا بد أن تكمل بالنصر والظفر، وإلا فنصرة موقته للدين في بقعة من البقاع، هذا لا يشكل هدفاً لكل تلك الجهود الضخمة.

فلا بد من يوم ينتصر فيه الدين، القرآن الكريم يدعم هذه الحقيقة العقلانية، قال تعالى: ﴿وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾^(٢)، ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾^(٣)، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾^(٤)، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾^(٥).

فإن الآية تبشر بأن الإسلام سوف يظهر على بقية الأديان والمذاهب والعقائد ومعنى الظهور باللغة هو: الغلبة والانتصار، البعض يحاول أن

(١) سورة القصص: ٥.

(٢) سورة المجادلة: ٢١.

(٣) سورة النور: ٥٦.

(٤) سورة الأنبياء: ١٠٥.

(٥) سورة التوبة: ٣٣.

يؤوّل الآية يقول: الظهور هنا يعني الحجة والدليل، ولكن هذا خلاف انصراف الآية لأنه في آية أخرى يقول الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾^(١)، ومعنى ﴿يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ يعني أن ينتصروا عليكم، فالظهور بمعنى الانتصار المادي، لا بمعنى الانتصار في الحجة والدليل.

ثم إن الآية بشرت بأن الإسلام سينتصر في المستقبل على كافة العقائد والأديان لأنّ هذا الظهور والانتصار على كل المذاهب لم يتحقق لا على يد النبي ولا بعد النبي، لأن الظروف ما ساعدته على ذلك.

وعليه فلا بدّ لهذا الوعد الإلهي من الله أن يتحقق في المستقبل وترتفع راية الإسلام وشهادة أن لا إله إلا الله ومحمد رسول الله ﷺ في كل مكان في العالم إن شاء الله تعالى.

هذا هو الوعد القرآني حيث قال: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾.

وهناك روايات ونصوص بلغت حدّ التواتر، تقول بأ، هناك رجلاً من أولاد علي وفاطمة عليه السلام ومن ولد الحسين عليه السلام بالذات، اسمه محمد المهدي عليه السلام يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً، فالبشارة القرآنية للانتصار بالإسلام لا يتحقق إلا على يد المهدي عليه السلام.

حكومة المستضعفين العالمية

إن الآيات المتقدمة على آية : « وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ » لا تتحدث عن فترة خاصة أو معينة، ولا تختص ببني إسرائيل فحسب، بل توضح قانوناً كلياً لجميع العصور والقرون ولجميع الأمم والأقوام، فإن آية : « وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ » .

فهي بشارة في صدد انتصار الحق على الباطل والإيمان على الكفر . وهي بشارة لجميع الأحرار الذين يريدون العدالة وحكومة العدل وانطواء بساط الظلم والجور .

وحكومة بني إسرائيل وزوال حكومة الفراعنة ما هي إلا نموذج لتحقيق هذه المشيئة الإلهية والمثل الأكمل هو حكومة نبي الإسلام ﷺ وأصحابه بعد ظهور الإسلام ... حكومة الحفاة العفاة والمؤمنين المظلومين الذين كانوا موضع تحقير فراعنة زمانهم واستهزائهم ويرزخون تحت تأثير الضغوط «الظالمة» لأئمة الكفر والشرك .

وكانت العقابة أن الله فتح على أيدي هؤلاء المستضعفين أبواب قصور الأكاسرة والقيصرة، وأنزل أولئك من أسرة الحكم القدرة وأرغم أنوفهم بالتراب .

والمثل الأكبر والأوسع هو ظهور حكومة الحق والعدالة على جميع وجه البسيطة -والكرة الأرضية- على يد «المهدي» أرواحنا له الفداء .

فهذه الآيات هي من جملة الآيات التي تبشّر ج بجلاء- بظهور مثل هذه الحكومة، ونقرأ عن أهل البيت عليه السلام في تفسير هذه الآية أنها إشارة إلى هذا الظهور العظيم.

فقد ورد في نهج البلاغة عن علي عليه السلام قوله: «لتعطفن الدنيا علينا بعد شماسها عطف الضروس على ولدها، وتلاعق عقيب ذلك: «وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ»^(١).

وفي حديث آخر نقرأ عنه عليه السلام في تفسير الآية المتقدمة قوله: «هم آل محمد عليه السلام يبعث الله مهديهم بعد جهدهم فيعزّهم ويذل عدوهم».

ونقرأ في حديث آخر عن الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام قوله: «والذي بعث محمداً بالحق بشيراً ونذيراً، إن الأبرياء منا أهل البيت وشيعتهم بمنزلة موسى وشيعته، وإن عدونا وأشياهم بمنزلة فرعون وأشياعه» (أي سننتصر أخيراً وينهزم أعداؤنا وتعود حكومة العدل الحق لنا).

ومن الطبيعي أن حكومة المهدي عليه السلام العالمية في آخر الأمر لا تمنع من وجود حكومات إسلامية في معايير محدودة قبلها من قبل المستضعفين ضد المستكبرين، ومتى ما تمت الظروف والشروط لمثل هذه الحكومات الإسلامية فإن وعد الله المحتوم والمشيتة الإلهية سيتحققان في شأنها، ولا بد أن يكون النصر حليفها بإذن الله.

فارق اعتقاد أهل العامة مع الشيعة في المهدي

بقيت هناك مسألة أخرى وهي: هناك فرق بين العامة والشيعة في مسألة الإمام عليه السلام فإن العامة يقولون: إن الإمام ليس موجوداً الآن وإنما يظهر يوجد في المستقبل، بينما الشيعة تعتقد بأن الإمام المهدي عليه السلام مولود سنة (٢٥٥ هجري)، وهو الآن موجود يعيش بين ظهراننا لكنه غائب عن أعيننا لحكمة ومصلحة من الله تعالى ولقصور عقولنا عن ادراكها وكما قال الشاعر:

العلم للرحمن جل جلاله وسواه في جهلاته يتغمغم
ما للتراب والعلوم وانما يسعى ليعلم انه لا يعلم



روي عن الإمام الصادق عليه السلام كما في اكمال الدين وفي علل الشرايع عن عبد الله بن الفضل الهاشمي، قال سمعت الصادق عليه السلام يقول:

«إنَّ لصاحب هذا الأمر غيبة لا بدَّ منها، يرتاب فيها كل مبطل فقلت: ولم جعلت فداك؟ قال: لأمر لم يؤذن لنا في كشفه، قلت: فما وجه الحكمة في غيبته؟

قال: وجه الحكمة في غيبات من تقدمه من حجج الله تعالى ذكره، إنَّ وجه الحكمة في ذلك لا ينكشف إلَّا بعد ظهوره، كما لا ينكشف وجه الحكمة لما أتاه الخضر من خرق السفينة وقتل الغلام، وإقامة الجدار لموسى عليه السلام إلَّا وقت افتراقهما، يا ابن الفضل إنَّ هذا الأمر من

أمر الله تعالى ، وسرّ من سرّ الله ، وغيب من غيب الله ومتى علمنا أنّه عزّ وجل حكيم صدّقنا بأنّ افعاله وأقواله كلها حكمة وإن كان وجهه غير منكشف لنا» .

وقال الصادق عليه السلام : « يا ابن آدم لو أكل قلبك طائر لم يشبعه وبصرك لو وضع فيه خرت ابرة لغطاه تريد أن تعرف بها ملكوت السماوات والأرض »^(١).

وأما الدليل على ذلك هناك مجموعة من الأدلة على ذلك منها قول رسول الله ﷺ في حديث الثقلين : « إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً ، وإنهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض »^(٢).

وهذا الحديث متواتر بين المسلمين ، ومعناه أنّ النبي ﷺ يقول : « إنّ القرآن مع أحد من العترة موجودان إلى يوم القيامة لا يفترقان ، وعليه لا بدّ أن نعتقد بوجود المهدي عليه السلام حتّى يكون قريناً مع القرآن وإلاّ لزم الافتراق بينهما وهذا خلاف قول النبي ﷺ بأنهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض ».

(١) منتخب الأثر : ٣٣٠.

(٢) أخرجه المحاكم في ١٤٨ من الجزء الثالث من المستدرک ثم قال : « هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه » . وأخرجه الذهبي في تلخيص المستدرک معترفاً بصحته على شرط الشيخين وهناك مصادر أخر على اختلاف المستدرک معترفاً بصحته على شرط الشيخين وهناك مصادر أخر على اختلاف ألفاظ الحديث . راجع المراجعات : ١٩ .

والدليل الثاني على ذلك هو قول النبي ﷺ في حديث متواتر بين المسلمين: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية»^(١)، فإنّ هذا الحديث يدلّ بأن لكلّ زمان إمام معيّن من قبل الله تعالى وأنّه قد بلغ إلى درجة من العرفان والاتصال مع الله تعالى بحيث أنّ الذي لم يعرفه يموت على الجاهلية، وهذا لا يتحقّق إلّا بوجود الإمام المهدي عليه السلام وأنّه حيّ يرزق.

والدليل الثالث هو النصوص المتواترة في صحيح مسلم وصحيح البخاري على ذلك منها:

صحيح مسلم - كتاب الأمانة في الباب المذكور - عن جابر ابن سمرة قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «لا يزال امر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلاً ثم تكلم النبي ﷺ بكلمة خفيت عليّ فسألت أبي ماذا قال رسول الله ﷺ؟ فقال: كلهم من قريش».

في مسند أحمد عن مسروق (ج ١، ص ٣٩٨) قال: كنّا جلوساً عند ابن مسعود وهو يقرئنا القرآن فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن: هل سألتم رسول الله ﷺ كم يملك هذا الأمة من خليفة، فقال ابن مسعود، ما سألتني عنها أحد منذ قدمت العراق قبلك، ثمّ قال: نعم ولقد سألتنا رسول الله ﷺ فقال: إثني عشر كعدد نقباء بني إسرائيل.

(١) عن الحميدي انه اخرج في الجمع بين الصحيحين وعن الحاكم أخرجه عن ابن عمر.

فهذه الأحاديث كلها لا تنطبق إلا على مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية فقط ، لأنه لا يوجد مذهب يعتقد باثني عشر خليفة غير الشيعة وان وجود الأئمة مستمر إلى آخر الدهر .

نعم السيوطي أراد أن يثبت اثنا عشر خليفة غير أئمة الهدى عليهم السلام فقال : نحن أيضاً نعتقد باثني عشر خليفة ثم يعدّدهم ويقول : أربعة منهم هم الخلفاء الراشدون الأربعة ، ثم الخامس معاوية ، ثم يختار مجموعة من العباسيين فيصيروا عشرة ، ثم يقول : وأما الحادي عشر فهو المهدي المنتظر ، وأما الثاني عشر فلا أكاد أعرفه ^(١) .

فوقفت عنده سفينة المساكين بالنسبة للثاني عشر في حين أن النبي يقول : إثني عشر خليفة متوالين إلى يوم القيامة ، فهذه الأحاديث لا تنطبق إلا على مذهب الإمامية الاثني عشرية وكلهم من قریش ومن عترته ، إذن لا يمكن أن يُحمل هذا الحديث على الخلفاء بعده من الصحابة لقلّتهم عن اثني عشر ولا يمكن أن نحمله على الملوك الأموية لزيادتهم على الاثني عشر ولظلمهم الفاحش إلا عمر ابن عبد العزيز ولكونهم غير بني هاشم لأن النبي صلى الله عليه وآله قال كلهم من بني هاشم ولا يمكن أن نحمله أيضاً على الملوك العباسية لزيادتهم على العدد المذكور ولقلة رعايتهم هذه الآية : « قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى »

(١) الأصول العامة (للسيد محمد تقي الحكيم) ، ومنتخب الأثر : ٥١ .

فلا بد أن يحمل هذا الحديث على الأئمة الإثني عشر من أهل بيته وعترته عليهم السلام، وكفى بذلك فخراً وإعجازاً لرسول الله صلى الله عليه وآله.

الدليل الرابع هو إجماع الشيعة وبالإضافة إلى ذلك ذكر شيخ لطف الله الصافي في كتابه منتخب الأثر ذكر سبعين عالماً من علماء السنة كلهم يعترفون بأن الأئمة الإثني عشر من بعد النبي، أولهم علي بن أبي طالب عليه السلام وآخرهم محمد المهدي عليه السلام.

والدليل الخامس: الدليل العقلي وهو نحن نعتقد بأن المهدي عليه السلام حين يظهر يأتي بالإسلام الواقعي لا الظاهري، فإذا لم يكن الإمام عليه السلام مرتبطاً بالمعصومين وبالنبي فكيف يأتي بالإسلام الواقعي.

فلا بد للشخص الذي يأتي بالإسلام الواقعي يجي أن يكون من سلسلة مرتبطة بالنبي صلى الله عليه وآله فليس من الممكن أن يكون هذا الشخص منفصلاً عن هذه السلسلة وغير مولود.

قصة الرمانة

وأيضاً من الأدلة على وجوده عليه السلام ان كثيراً من الذين ساعدتهم التوفيق ففازوا بهذا الشرف العظيم وهو التشرف بلقاء الإمام عليه السلام - ممن وصلتنا أخبارهم - فمنهم محمد بن عيسى الدمستاني كما ورد في البحار (ج ٥٢) انه كانت بلاد البحرين - ولا تزال آهلة بشيعة أهل البيت عليهم السلام -

وفي القرن السابع الهجري كان والي البحرين من النواصب والأعداء الألداء للشيعة، وكان وزيره أخبث منه، وأكثر بغضاً للشيعة.

وفي يوم من الأيام جاء الوزير للوالي برمانة مكتوب عليها: (لا إله إلا الله، محمد رسول الله، أبوبكر وعمر وعثمان وعلي خلفاء رسول الله)، فنظر الوالي إلى الرمانة، فظن أن تلك الخطوط كتبت بقلم القدرة، وليس من صنع البشر.

فقال الوزير: هذه آية بينة، وحجة قوية على إبطال مذهب الرافضة، -يقصد الشيعة-.

فاقترح الوزير أن يجمع علماء الشيعة وشخصياتهم، ويريهم الرمانة فإن تخلّوا عن مذهب التشيع واعتنقوا مذهب أهل السنة، تركهم بحالهم، وإن أبوا إلا التمسك بمذهبهم، خيرهم بين ثلاثة أمور:

الأول: أن يدفعوا الجزية، كما يدفعها غير المسلمين من اليهود والنصارى والمجوس.

الثاني: أن يأتوا بجواب لردّ وتفنيدهم الكتابة الموجودة على الرمانة.

الثالث: أن يقتل الوالي رجالهم، ويسبي نساءهم وأولادهم، ويأخذ أموالهم بالغنيمة؟

فأرسل الوالي إلى شخصيات الشيعة وأحضرهم، وأراهم الرمانة، وخيرهم بين الأمور الثلاثة المذكورة، فطلبوا منه المهلة ثلاثة أيام.

فاجتمع رجالات الشيعة وأهل الحلّ والعقد، يتذاكران فيما بينهم حول كيفية التخلص من هذه المشكلة، وبعد مذاكرات طويلة اختاروا من صلحائهم عشرة رجلا، واختاروا من العشرة ثلاثة، وتقرر أن يخرج في كلّ ليلة واحد من الثلاثة إلى الصحراء ويستغيث بالإمام المهدي عليه السلام للتخلص من هذه المحنة.

فخرج أحدهم في الليلة الأولى، فلم يتشرف بلقاء الإمام ولم تنحل المشكلة، وهكذا حدث للثاني أيضاً، وفي الليلة الثالثة خرج الشيخ محمد بن عيسى الدمستاني^(١) - وكان فاضلاً تقياً - فخرج إلى الصحراء حافياً حاسراً الرأس، وقضى ساعات من الليل بالبكاء والتوسل والإستغاثة بالإمام المهدي عليه السلام.

لكي ينقذهم من هذه الورطة والبلاء وفي الساعات الأخيرة من الليل، حضر الإمام المهدي عليه السلام وخاطبه: يا محمد بن عيسى مالي أراك على هذه الحالة؟ ولماذا خرجت إلى هذه البرية^(٢)؟ فامتنع الرجل أن يذكر حاجته إلا للإمام المهدي عليه السلام.

فقال له الإمام: أنا صاحب الأمر فاذا ذكر حاجتك.
قال محمد بن عيسى: إن كنت صاحب الأمر فأنت تعلم قصتي، ولا حاجة إلى البيان والشرح.

(١) دمستان: قرية في البحرين.

(٢) البرية: الصحراء.

فقال له الإمام: نعم، خرجت لما دَهِمَّكم من امر الرّمانة، وما كُتِبَ عليها. فلما سمع محمّد بن عيسى ذلك! أقبل إلى الإمام وقع على قدم الإمام ويده وهو يقبلهما، وقال: نعم يا مولاي، تعلم ما اصابنا، وأنت إمامنا وملاذنا، والقادر على كشفه عتّا.

فقال الإمام: إنّ الوزير -لعنه الله- في داره شجرة رمان، فلما حملت تلك الشجرة، صنع الوزير شيئاً (أي: قالباً) من الطين على شكل الرّمانة، وجعله نصفين، ونحت في داخله تلك الكلمات المذكورة، ثمّ جعل رمانة من الشجرة في ذلك القالب، وشدّ القالب على الرّمانة، فلما نبتت الرّمانة وكبرت، دخل قشرها في تلك الكتابة المنحوتة.

فإذا مضيتم غداً إلى الوالي فقل له: جئتُك بالجواب، ولكنني لا أبديه إلّا في دار الوزير، فإذا مضيتم إلى داره، فانظر عم يمينك ترى غرفة، فقل للوالي: لا أجيبك إلّا في تلك الغرفة، وسيمتنع الوزير عن ذلك، ولكن عليك بالإلحاح، وحاول أن لا يدخل الوزير تلك الغرفة قبلك، بل ادخل معه.

فإذا دخلت الغرفة رأيت كوة^(١) فيها كيس أبيض، فانهض إليه وخذه فترى فيه تلك الطّينة (القالب) التي عملها لهذه الحيلة، ثمّ ضعها أمام الوزير، ثمّ ضع الرّمانة فيها حتى ينكشف أنّ الرمانة على حجم القالب.

(١) الكوة: ثقب في الحائط توضع فيها الأشياء. وربّما نغذ الهواء والضوء.

ثم قال الإمام المهدي ﷺ يا محمد بن عيسى: قل للوالي: إن لنا معجزة أخرى، وهي أن هذه الرمانة ليس فيها إلا الرماد والدخان^(١) فإن أردت صحة هذا الخبر فأمر الوزير بكسرها، فإذا كسرها طار الرماد والدخان على وجهه ولحيته!

إنتهى اللقاء وغاب الإمام ﷺ عنه، ورجع محمد بن عيسى وقد غمره الفرح والسرور، وانصرف إلى الشيعة يبشّرهم بحلّ المشكلة.
وأصبح الصباح ومضوا إلى الوالي، ونفّذ محمد بن عيسى كلّ ما أمره الإمام ﷺ فسأله الوالي: من أخبرك بهذا؟
قال: إمام زماننا، وحجة الله علينا.
فقال: ومن إمامكم؟

فأخبره بالأئمة الاثني عشر واحداً بعد واحد، حتّى انتهى إلى الإمام المهدي صاحب الزمان ﷺ.

فقال الوالي: مدّ يدك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأنّ محمداً عبده ورسوله، وأنّ الخليفة بعده بلا فصل: أمير المؤمنين عليّ ﷺ ثم أقرّ بالأئمة الطاهرين ﷺ وأمر بقتل الوزير، واعتذر إلى أهل البحرين^(٢).

(١) وذلك لعدم وصول الهواء وأشعة الشمس إليها، بسبب كونها في القلب.
(٢) بحار الأنوار (للشيخ المجلسي): ٥٢ / ١٧٨ - ١٨٠، والإمام المهدي ﷺ من المهدي إلى الظهور (آية الله السيّد كاظم القزويني ﷺ): ٣٠٥ - ٣٠٩.

أيها القارئ الكريم: هذه القصة مشهورة عند المؤمنين وخاصة عند أهل البحرين، وقبر محمد بن عيسى في البحرين معروف يزوره الناس. وإلى هنا نختم البحث عنه عليه السلام لأن الكلام عن الإمام المهدي عليه السلام لا يتم في مجلس ولا أكثر. فعلى كل حال ورد في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام أن من صفاته عليه السلام: «أنه قوم القائم وليس لأحد في عنقه عهد ولا ميثاق ولا بيعة»^(١)، يعني ما بايع ظالماً ولم يبايع ظالم، فهذه الصفة تشبه صفة جده أبي عبدالله الحسين عليه السلام لأن الحسين عليه السلام هو الآخر لم يبايع ظالم كما قال لمحمد بن الحنفية، والله لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى لما بايعت يزيد بن معاوية.

الإمام الحجة عليه السلام يحامي عن زوار الحسين عليه السلام

وهذه قصة أخرى لآية الله السيد القزويني، يذكرها الشيخ النوري عن نجل السيد أنه سمع أباه يقول:

خرجت يوم الرابع عشر من شهر شعبان، من مدينة الحلة قاصداً كربلاء لزيارة الإمام الحسين عليه السلام ليلة النصف من شعبان^(٢) فلما وصلت

(١) اثبات الهداة: ٣ / ٤٤٦.

(٢) زيارة الإمام الحسين عليه السلام من المستحبات الشرعية المؤكدة. وقد وردت في فضلها ونواحيها أحاديث كثيرة، وهي مستحبة في كل الأيام والساعات، إلا أن الإحتجاب يتأكد والشواب يتضاعف في بعض المناسبات، كيوم عاشوراء، وليلة النصف من شعبان، وليلي القدر، وليالي الجمعة وغيرها.

إلى نهر الهندية (أي: طويريج) وجدت الزوّار مُتجمهرين هناك، وقد وَصَلَهُمُ الْخَبْرُ أَنَّ عَشِيرَةَ عُنَيْزَةَ (عَشِيرَةَ بَدَوِيَّة) قَدْ نَزَلَتْ عَلَى طَرِيقِ كَرْبَلَاءَ لِسَلْبِ الزُّوَّارِ وَنَهَبِ أَمْوَالِهِمْ!

فبينما الناس حيارى، وقد أَمْطَرَتِ السَّمَاءُ، تَوَسَّلْتُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالنَّبِيِّ وَآلِهِ الْأَطْهَارِ، لِإِغَاثَةِ الزُّوَّارِ وَنَجَاتِهِمْ، فبينما أنا كذلك، وإذا بِفَارِسٍ بِيَدِهِ رُمَحٌ طَوِيلٌ، وَقَفَ عِنْدِي وَسَلَّم، فَرَدَدْنَا عَلَيْهِ السَّلَامَ، فَسَمَّانِي بِاسْمِي وَقَالَ: لِيَأْتِ الزُّوَّارُ، فَإِنَّ عَشِيرَةَ عُنَيْزَةَ، قَدْ رَحَلُوا عَنِ الطَّرِيقِ، وَصَارَ الطَّرِيقُ مَأْمُونًا.

فخرجتُ مَعَ الزُّوَّارِ وَهُوَ يُرَافِقُنَا فِي الطَّرِيقِ وَيَمْشِي أَمَّنًا، وَكَأَنَّهُ الْأَسَدُ. وَفِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ غَابَ عَنَّا فَجْأَةً وَبَغْتَةً، فَقُلْتُ لِمَنْ مَعِي: أَبْقِيَ شَكَّ فِي أَنَّهُ صَاحِبُ الزَّمَانِ؟! فَقَالُوا: لَا وَاللَّهِ.

يَقُولُ السَّيِّدُ: إِنَّنِي كُنْتُ أَطِيلُ النَّظَرَ إِلَيْهِ، كَأَنِّي رَأَيْتُهُ قَبْلَ هَذَا، فَلَمَّا غَابَ عَنَّا تَذَكَّرْتُ أَنَّهُ هُوَ الشَّخْصُ الَّذِي زَارَنِي فِي الْحِلَّةِ.

أَمَّا عَشِيرَةُ عُنَيْزَةَ فَلَمْ تَرَ أَحَدًا مِنْهُمْ، وَرَأَيْنَا غُبْرَةً شَدِيدَةً مَرْتَفَعَةً فِي الْبَرِّ، فَوْصَلْنَا كَرْبَلَاءَ خِلَالَ سَاعَةٍ - وَكَانَتِ الْمَسَافَةُ ثَلَاثَ سَاعَاتٍ - فَوَجَدْنَا الْحُرَّاسَ عَلَى بَابِ الْبَلَدِ، فَسَأَلُونَا: مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟ وَكَيْفَ وَصَلْتُمْ؟ وَأَيْنَ صَارَتِ عَشِيرَةُ عُنَيْزَةَ؟!

فَقَالَ أَحَدُ الْفَلَاحِينَ -الْمُتَوَاجِدِينَ هُنَاكَ-: بَيْنَمَا عَشِيرَةُ عُنَيْزَةَ جُلُوسٌ فِي

خيامهم، وإذا بفارس بيده رمح طويل، فصاح في عشيرة عنيزة وأنذرهم بالدمار والهلاك، فألقى الله الخوف في قلوبهم، وتركوا المنطقة فوراً. يقول السيّد: فسألت ذلك الفلّاح عن وُصف ذلك الفارس؟ فوصّفه لي، فإذا هو نفسه الذي رأيته عند نهر الهنديّة^(١).

الإمام الحجة ومصائب كربلاء

رأى أحد المؤمنين الإمام المنتظر عليه السلام في الرؤيا فسأله عن قوله في زيارة الناحية: «فلئن أخرتني الدهور وعاقني عن نصرك المقدور، ولم أكن لمن حاربك محارباً، ولمن نصب لك العداوة منصباً فلأندبنك صباحاً ومساءً ولأبكين لك بدل الدموع دماً».

قال سيدي تبكي على أي مصيبة؟ على مصيبة الحسين عليه السلام؟ قال: «لو كان الحسين حاضراً لبكى»، سيدي أتبكي على مصيبة أبي الفضل العباس لأنه قطع الدين؟».

قال: «كلا، لو كان العباس حاضراً لبكى»، قال: سيدي أتبكي على مصيبة علي الأكبر؟

قال: «كلا، لو كان علي الأكبر حاضراً لبكى»، سيدي أتبكي على مصيبة القاسم؟

(١) الإمام المهدي عليه السلام من المهد إلى الظهور (للسيد كاظم القزويني): ٣٢٥ - ٣٢٧ عن جنة المأوى (للشيخ النوري)، الحكاية السادسة والأربعون.

قال: «كلا، لو كان القاسم حاضراً لبكى»، إذن سيدي لأي مصيبة تبكي دما؟

قال: «أبكي لسبي عمتي زينب (عليها السلام)»^(١).

راعي الثار ما يظهر علامه	ينشر لليتانونه علامه
نسه بمتون عماته علامه	ابضرب اسياط زجر وجور اميه
وغدت أسيرة خدرها ابنة فاطم	لم تقلق غير أسيرها مصفودا
تخفي الشجا جلدأ فان غلب الأسي	ضعفت فابدت شجوها المكمودا
نادت فقطعت القلوب لشجوها	لكنما انتظم البيان فريدا
انسان عيني يا حسين أخّي يا	املي وعقد جماني المنضودا
مالي دعوتك لا تجيب ولم تكن	عودتني من قبل ذلك صدودا



أقول: سيدي يا حجة بن الحسن كأنك أيضاً تسمع نداء عمّتك زينب فمتي النهوض وتأخذ ثارها وتأثر جدك الحسين (عليه السلام):

ماذا يُهيجك ان صبر	ت لوقعة الطف الفضيعة
اترى تجيء فجيرة	بامض من تلك الفجيعة
حيث الحسين على الثرى	خيل العدى طحنت ضلوعه
ورضيعة بدم الوري	د مخضّب فاطلب رضيعة



المجلس الثاني عشر مسك الختام حول موضوع أرض فدك

وأنت فاطم تطالب بالإر	ث من المصطفى فما ورثاها
// ليت شعري لِمَ خولفت سنن	
القرآن	فيها والله قد أبداهـا
نُسخت آية المواريث فيها	أم هُما بعدَ فرضِها بدّلاهـا
أم ترى آية المودة لم تأ	تِ بوُدّ الزهراء في قرباهـا
سل بإبطال قولهم سورة النـم	لِ وسلّ مريم التي قبل طاهـا
فهُما ينبئان عن إرث يحيى	وسليمان من أراد انتباهـا
فدعت واشتكت إلى الله من ذا	ك وفاضت بدمعها مُقلّتها
جَرّعاها من بعد والدِها الغيـ	ظَ مراراً فبشّس ما جرّعاها
بنت مَن أمّ مَن حليـلة مَن	ويل لمن سنّ ظلمها وأذاها
شيّعت نعشها ملائكة الرحمن	رفقاً بها وما شيعاها

كان زُهداً في أجرها أم عناداً لأبيها النبي فلم يتبعها
أم لأنّ البتول أوصت بأن لا يشهدا دفنها فما شهداها^(١)

* * *

أمر على عبده ضربني ومن ضربته للكَاع ذبني
لا انكسر قلبه ولا رحمني ومن الناس ما واحد حشمني

* * *

(١) القصيدة لأحد أشراف مكة: قتادة بن إدريس بن مطاعن الحسني.

قال أمير المؤمنين (ع) في كتابه الذي كتبه إلى عثمان بن حنيف الأنصاري عامِلِه على البصرة متعرضاً فيها إلى مسألة فدك :

«... بَلَى كَانَتْ فِي أَيْدِينَا فَدُكٌ مِنْ كُلِّ مَا أَظْلَمَتْهُ السَّمَاءُ فَشَحَّتْ عَلَيْهَا نَفُوسُ قَوْمٍ وَسَخَّتْ عَنْهَا نَفُوسُ قَوْمٍ آخَرِينَ. وَبِعَمِّ الْحَكَمِ اللَّهُ وَمَا أَصْنَعُ بِفَدُكِ وَغَيْرِ فَدُكِ وَالنَّفْسُ مَطَانُهَا فِي غَدٍ جَدْتُ تَنْقَطِعُ فِي ظُلْمَتِهِ آثَارُهَا وَتَغِيبُ أَخْبَارُهَا وَحُفْرَةُ لَوْزِيدٍ فِي فُسْحَتِهَا وَأَوْسَعَتْ يَدَا حَافِرِهَا لِأَضْغَطَهَا الْحَجَرُ وَالْمَدَرُ وَسَدَّ فُرْجَهَا التُّرَابُ الْمُتَرَاكِمُ وَإِنَّمَا هِيَ نَفْسِي أَرَوْضُهَا بِالتَّقْوَى لِتَأْتِيَ آمِنَةً يَوْمَ الْخَوْفِ الْأَكْبَرِ»^(١).

ومسك الختام لمجالس أم البنين (ع) بذكر الزهراء (ع) وخطبتها (خطبة فدك) الخالدة فنقول :

في هذه الرسالة المفصلة إلى عثمان بن حنيف يتطرق الإمام (ع) إلى مواضيع مختلفة، منها أنه يُعاتب عثمان بن حنيف على مشاركته في مائدة دسمة دُعي إليها الأغنياء ومُنِع عنها الفقراء، كما أشار (ع) إلى ذلك بقوله : «وَمَا ظَنَنْتُ أَنَّكَ تُجِيبُ إِلَى طَعَامِ قَوْمٍ عَائِلُهُمْ مَجْفُوٌّ وَغَنِيَّتُهُمْ مَدْعُوٌّ».

فالإمام (ع) يؤنبه على تلبيته لتلك الدعوة، وذلك لأنه سفير الإمام (ع)، وممثله وواليه وعليه أن ينتهج سيرة الإمام (ع).

ثم يتطرق الإمام عليه السلام إلى مسألة أرض فدك بقوله: «بَلَى كَانَتْ فِي أَيْدِينَا فَدَك...».

وحديثنا في هذا المجلس حول فدك وما يتعلق بها.

ما هي أرض فدك؟

عندما نراجع التاريخ نجد أن فدك كانت قرية زراعية تقع خارج المدينة. وفي المصباح: فدك بلدة بينها وبين مدينة النبي صلى الله عليه وآله يومان وبينها وبين خيبر دون مرحلة وهي مما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وآله. وقد صالح اليهود عليها رسول الله صلى الله عليه وآله بغير قتال فهي ممّا يعبر عنها القرآن الكريم: **فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ^(١)**. فالأراضي التي لم يُوجب عليها بخيل ولا ركاب أي لم يقاتل عليها المسلمون، تكون ملكاً طلقاً لرسول الله صلى الله عليه وآله لا يشترك بها أحد من المسلمين.

وفي معجم البلدان للحموي: هي مما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وآله في سنة سبع صلحاً وذلك أن النبي صلى الله عليه وآله لما نزل خيبر وفتح حصونها ولم يبق إلا ثلاثة، واشتدّ بهم الحصار أرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يسألونه أن ينزلهم على الجلاء^(٢).

فأرسلوا إلى النبي صلى الله عليه وآله أن يصالحهم على النصف من ثمارهم وأموالهم،

(١) المحشر: ٦.

(٢) الخروج من مكانهم.

فأجابهم إلى ذلك فهو مما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب فصارت خالصة لرسول الله ﷺ. فصارت فدك ملكاً طلقاً لرسول الله ﷺ.

نعم دخل الخوف والرعب في قلوب اليهود فجاؤوا وقدموا هذه الأرض هدية للنبي ﷺ، ولكن تعال وانظر اليوم إلى حال المسلمين حيث تركوا ما أمرهم النبي ﷺ من اتباع أهل بيته واتبعوا فلاناً وفلاناً نجد اليهود الذين خافوا من رسول الله ﷺ آنذاك نجدهم اليوم يتلاعبون بمصير الأمة ويسفكون دماءهم ويبتزون أموالهم وذخائرهم ولا يتوانون عن الكيد بمقدرات المسلمين وبدمائهم وأموالهم وكل شيء. المسلمين الذين كانوا في عز وقوة وفي غرة القافلة اليوم أصبحوا في ضعف وصاروا في ذيل القافلة والسبب هو عدم العمل بما أمرهم النبي ﷺ حيث قال لهم:

«إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتما بهما لن تضلوا بعدي أبداً». حيث أنهم تركوا أهل البيت ذلوا.

فعلى أي حال كانت فدك من مصاديق هذه الآية الكريمة: «وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ»^(١).

أرض فذك ملك للزهراء عليها السلام

فانطلاقاً من الحكم الشرعي السماوي الذي مرّ أصبحت أرض فذك ملكاً للرسول ص ثم وردت الروايات فيما ترويه الشيعة والسنة من انه لما نزلت آية: ﴿قَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾، دعى النبي صلى الله عليه وآله ابنته فاطمة ومنحها فذكاً نحلة يعني هبة.

روي عن أبي سعيد الخدري وغيره انه لما نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وآله اعطى فاطمة فذكاً وسلّمه إليها وهو المروي عن الإمام الباقر والإمام الصادق عليهما السلام وهو المشهور بين جميع علماء الشيعة. وقد ذكر علماء السنة ذلك بطرق متعددة منها:

عن كنز العمال عن سعيد الخدري قال: لما نزلت ﴿قَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾، قال النبي صلى الله عليه وآله: «يا فاطمة لك فذك».

قال: رواه الحاكم في تاريخه وفي تفسير الدر المنثور للسيوطي^(١) في تفسير الآية قال: اقطع رسول الله فاطمة فذكاً.

وقال ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح النهج لما نزلت الآية، دعى النبي صلى الله عليه وآله فاطمة فأعطاها فذكاً^(٢).

(١) تفسير الدر المنثور: ٤ / ١٧٧.

(٢) فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد (للعامة المرحوم السيد محمد كاظم القزويني رحمته الله): ٢٧٧ بتصرف.

ثم إن النبي ﷺ أشهد على ذلك علياً والحسن والحسين أم أيمن .
ومما لا شك فيه أن السيدة فاطمة ؑ ليست من طلاب الدنيا ولكن المسألة
ترمز إلى أمر مهم، بالإضافة إلى أنه لون من الجزاء المادي والمقابلة لمواقف
أما خديجة لما بذلته في سبيل الإسلام وفي سبيل الرسالة الإسلامية .

وقد روى العلامة المجلسي عن كتاب الخرائج :

لَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ وَبَعْدَ اسْتِيلَائِهِ عَلَى فِدْكَ دَخَلَ عَلَى
فَاطِمَةَ ؑ فَقَالَ : « يَا بَنِيَّةُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَفَاءَ عَلَى أَبِيكَ بِفِدْكَ ، وَاخْتَصَّ بِهَا
فَهِيَ لَهُ خَاصَّةٌ دُونَ الْمُسْلِمِينَ ، أَفْعَلْ بِهَا مَا أَشَاءُ وَإِنَّهُ قَدْ كَانَ لِأُمِّكَ
خَدِيجَةَ عَلَى أَبِيكَ مَهْرٌ ، وَإِنْ أَبَاكَ قَدْ جَعَلَهَا لَكَ بِذَلِكَ وَأَنْحَلَهَا لَكَ
وَلَوْلَدُكَ بَعْدَكَ » .

قال : فدعا بأديم ودعا بعلي بن أبي طالب فقال : « اكتب لفاطمة
بفدك نحلة من رسول الله » فشهد على ذلك علي بن أبي طالب ومولئ
لرسول الله وأم أيمن .

ففدك منذ ذلك اليوم أصبحت بيد فاطمة ؑ وكان عُمَالُهَا يشتغلون
في فدك وقد كان لها واردات كثيرة جداً والبعض يقدرها بـ (٢٤) ألف
دينار، وفي رواية أخرى بسبعين ألف دينار، ولعلّ هذا الاختلاف في
واردتها بسبب اختلاف السنين ^(١)، كانت الصديقة فاطمة ؑ تصرفها
على الفقراء والمساكين ولا يبقى له شيء .

(١) فاطمة الزهراء من المهدي إلى اللحد (للعامة المرحوم السيد محمد كاظم القزويني ؑ)، بتصرف .

تاريخ أرض فدك

لقد ذكرنا آنفاً أنه في السنة السابعة صالح اليهود النبي ﷺ على أرض فدك، وبعد نزول الآية صارت ملكاً للزهراء ؑ واستمر ذلك إلى وفاة رسول الله ﷺ، فلما توفي النبي ﷺ تلاقت الأيدي هذه الأرض الزراعية واستولى أبو بكر على منصة الحكم وبعد عشرة أيام بعث إلى فدك من اخرج وكيل فاطمة وعُمّالها.

وإلى هذا يشير الإمام أمير المؤمنين ؑ في رسالته إلى عثمان بن حنيف حيث يقول: «فَسَحَّتْ عَلَيْهَا نَفُوسُ قَوْمٍ وَسَحَّتْ عَنْهَا نَفُوسُ قَوْمٍ آخَرِينَ وَنِعْمَ الْحَكْمُ اللَّهُ»، يعني أن بعض الحكام بخلو بفدك علينا وأخذوها وغصبوها عنا.

واستمر التلاعب والتلاقف لانه بعد بعد مضي أبي بكر أرجعت ثم في حكومة عثمان غُصبت وأعطيت لمروان بن الحكم ووُزعت على الأمويين وفي خلافة الإمام رجعت إلى أهل البيت.

وهكذا استمر الأمويون في غصبها، إلى أن جاء دور عمر بن عبد العزيز فأرجعها إلى أهل البيت ؑ ثم من بعده غصبوها، إلى أن وصل الدور إلى المأمون العباسي فأرجعها إلى أهل البيت ؑ وإلى الهاشميين، وإلى هذا أشار دعبل الخزاعي فقال:

أصبح وجه الزمان قد ضحكا برء مأمون هاشماً فدكا

وبعد المأمون أيضاً سلبوا فدك، إلى أيام المتوكل العباسي فكانت فدك في زمانه صغيرة فيها نخيلات وكان العلويون يعيشون في ظروف اقتصادية صعبة جداً حتى ذكر أن عدّة علويات لم يملكن سوى ثوب واحد وكنّ يتبادلن لأداء فريضة الصلاة.

وكان لبعض العلويين إشرافاً مؤقتاً على فدك يأخذ من ثمار هذه المزرعة من الرطب والتمر ويقدمه كهدية للحجاج، والحجاج جزاءً على هذه الهدية كانوا يقدمون بعض الأموال وبعض الهدايا للعلويين. فعرف المتوكل العباسي أن العلويين يعيشون على فدك فأرسل رجلاً يدعى عبد الله بن البازيار وأمره بأن يقطع هذه النخيل، وقد نفذ ما أمر من قطعها، ويقال ان عبدالله بن البازيار لمّا رجع إلى البصرة سُئل ثم مات، عليه لعنة الله.

وآخر توثيق للتاريخ عن فدك وتاريخها هي زمن المتوكل العباسي.

مطالبة حقها من السلطة الغاصبة

ما هو موقف الزهراء عليها السلام قبال حقها وهو الحق الشرعي بنصّ القرآن الكريم كما مر؟ وماذا عملت تجاه السلطات الغاصبة؟
فمع غض النظر عن دوافع القوم في غضبهم فدك وله بحث في محلّه، فإن الزهراء عليها السلام اكتسحت الميدان ونزلت إلى الساحة وطالبت بحقها لأنه

من الطبيعي لصاحب الحق الشرعي أن يطالب بحقه بأي طريق ممكن ومشروع، فأول خطوة خطتها في مطالبتها بفدك طالبت بها من باب النحلة. قال الحلبي: ان فاطمة أتت أبا بكر بعد وفاة رسول الله ﷺ وقالت: «إن فدكاً نحلة أبي، أعطانيها حال حياته». وأنكر عليها أبو بكر وقال: أريد بذلك شهوداً فشهد لها علي، فطلب شاهداً آخر فشهدت لها أم أيمن فقال لها: أبرجل وامرأة تستحقينها^(١)؟

وذكر الطبرسي في الاحتجاج: فجاءت فاطمة ﷺ إلى أبي بكر ثم قالت: «لِمَ تمنعني ميراثي من أبي رسول الله؟ وأخرجت وكيلي من فدك وقد جعلها لي رسول الله ﷺ بأمر الله تعالى؟».

فقال: هاتي على ذلك بشهود، فجاءت أم أيمن فقالت: لا أشهد يا أبا بكر حتى أحتج عليك بما قال رسول الله ﷺ أنشدك بالله أأنت تعلم أن رسول الله قال: أم أيمن امرأة من أهل الجنة؟ فقال: بلى.

قالت: فاشهد أن الله - عز وجل - أوحى إلى رسول الله ﷺ: «فَاتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ». فجعل فدك لها طعمة بأمر الله تعالى.

فجاء علي ﷺ فشهد بمثل ذلك، فكتب لها كتاباً ودفعه إليها، فدخل عمر فقال: ما هذا الكتاب؟

فقال: إن فاطمة ادّعت في فدك وشهدت لها أم أيمن وعلي، فكتبته لها. فأخذ عمر الكتاب من فاطمة، فتفل فيه فمزّقه، فخرجت فاطمة عليها السلام تبكي. وفي سيرة الحلبي^(١) أن عمر أخذ الكتاب فشقّه. وروى عن الإمام الصادق عليه السلام أن السيّد فاطمة عليها السلام جاءت إلى أبي بكر - بأمر من الإمام أمير المؤمنين عليه السلام - وقالت له: «ادّعت مجلس أبي وانك خليفته، وجلست مجلسه، ولو كانت فدك لك واستوهبتها منك لوجب عليك ردّها عليّ». فقال: صدقت.

ودعا بكتاب فكتب فيه بارجاع فدك، فخرجت والكتاب معها، فلقيها عمر فقال: يا بنت محمد ما هذا الكتاب الذي معك؟ قالت: «كتاب كتب لي أبو بكر برّد فدك». فقال: هلمّيه إليّ.

فأبت أن تدفعه إليه، فرفسها برجله... ثم لطمها، ثم أخذ الكتاب فخرقه^(٢). فقالت: «بقرت كتابي بقر الله بطنك»^(٣).

(١) السيرة للحبي: ٣ / ٣٩١.

(٢) الاختصاص (للشيخ المفيد)، الشافي (للسيّد المرتضى): ٢٣٦، تلخيص الشافي (للطوسي): ٤٨، وذكر ابن حجر المصقلاني في لسان الميزان: ١ / ٢٦٨، والذهبي في ميزان الاعتدال: ١ / ١٣٩: إن عمر رفس فاطمة....

(٣) وفاة الصديقة الزهراء (للمقرّم): ٧٨.

حوار بين الإمام علي وأبي بكر

نعود إلى ذكره الطبرسي قال: فلما كان بعد ذلك جاء علي عليه السلام إلى أبي بكر وهو في المسجد وحوله المهاجرون والأنصار فقال: يا أبا بكر لم منعت فاطمة ميراثها من رسول الله ﷺ وقد ملكته في حياة رسول الله؟ فقال أبو بكر: هذا فيء للمسلمين، فإن أقامت شهوداً أن رسول الله جعله لها، وإلا فلا حق لها فيه!

فقال علي عليه السلام: «يا أبا بكر تحكم بيننا بخلاف حكم الله في المسلمين؟». قال: لا.

قال عليه السلام: «فإن كان في يد المسلمين شيء يملكونه فادّعت أنا فيه من تسأل البيّنة؟». قال: إياك أسأل.

قال عليه السلام: «فما بال فاطمة سألت البيّنة على ما في يديها، وقد ملكته في حياة رسول الله وبعده، ولم تسأل المسلمين البيّنة على ما ادّعوها شهوداً كما سألتني على ما ادّعت عليهم؟».

فسكت أبو بكر فقال: يا علي دعنا من كلامك، فإنّا لا نقوى على حجتك، فإن أتيت بشهود عدول، وإلا فهي فيء للمسلمين، لا حق لك ولا لفاطمة فيه! فقال علي عليه السلام: «يا أبا بكر تقرأ كتاب الله؟».

قال: نعم.

قال: «أخبرني عن قول الله - عزّ وجلّ -: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً»^(١)، فيمن نزلت؟ فينا أو في غيرنا؟».

قال: بل فيكم!

قال: «فلو أن شهوداً شهدوا على فاطمة بنت رسول الله ﷺ بفاحشة ما كنت صانعاً بها؟».

قال: كنت أقيم عليها الحد كما أقيم على نساء المسلمين!

قال علي عليه السلام: «كنت إذن عند الله من الكافرين».

قال: ولم؟

قال: «لأنك رددت شهادة الله بالطهارة وقبلت شهادة الناس عليها».

كما رددت حكم الله وحكم رسوله أن جعل لها فدك وزعمت أنها فيء للمسلمين وقد قال رسول الله ﷺ: «البينة على المدعي، واليمين على من ادّعى عليه أو على من أنكر».

قال: فدمدم الناس، وانكر بعضهم بعضاً وقالوا: صدق - والله - علي عليه السلام.

ثم ما معنى مطالبة البيّنة والشهود من الزهراء عليه السلام؟

ترى هل يستطيع مسلم على جه الأرض منذ أن جاء الإسلام وإلى اليوم أن ينسب الكذب إلى فاطمة الزهراء والعياذ بالله؟! وهل يمكن أن تطالب ما ليس بحقها؟

هل يستطيع مسلم ويتجراً بذلك في حين ان رسول الله قال: «فاطمة رضي الله لرضاها ويغضب لغضبها؟» فمن العبث أن يطالبوا الزهراء رضي الله بالبينه، ولكن الذي بيده القوة ظلماً يصنع ما يشاء. ذكر ابن أبي الحديد في شرحه قال: سألت علي بن الفارقي مدرّس المدرسة الغربية ببغداد فقلت له: أكانت فاطمة صادقة؟ قال: نعم، قلت: فلم لم يدفع إليها أبو بكر فداً وهي عنده صادقة؟ فتبسم، ثم قال كلاماً لطيفاً مستحسنًا مع ناموسه وحرمة وقلّة دعابته قال: لو أعطاه اليوم فداً، بمجرد دعواها ل جاءت إليه غداً وادعت لزوجها الخِلافة وزحزحته عن مقامه، ولم يكن يمكنه الاعتذار، والموافقة بشيء، لأنه يكون قد سجل على نفسه بأنها صادقة فيما تدّعي، كائناً ما كان من غير حاجة إلى بينة وشهود.

لما رأت الصديقة فاطمة رضي الله أن القوم أبطلوا شهودها الذي شهدوا لها بالحنلة ولم تنجح مساعيها سراً، سلكت طريقاً آخر للمطالبة بفدك، فجاءت تطالب بحقها علناً وعن طريق الإرث وهي تعلم ان السلطة لا تخضع للدليل الواضح والبرهان القاطع.

فإذا لم تكن فدك نحلة وكذبتم الدعوى، فإن هناك مسألة أخرى وهي أنكم تقولون أن فدك كانت بيد الرسول ﷺ والرسول ليس بدعاً عن بقية البشر، الرسول يورث اقاربه وأنا وريثة الرسول، أنا بنت النبي ﷺ فجاءت بشكل علني وخطبت تلك الخطبة الخالدة التي هزت عرش أبي بكر.

وإليك خطبتها في المسجد.

روى عبد الله بن الحسن بإسناده عن آباءه، أنه لما أجمع أبو بكر على منع فاطمة فدك، وبلغها ذلك. لاثت خمارها على رأسها، واشتملت بجلبابها، وأقبلت في لمة من حفدتها ونساء قومها، تطأ ذيولها^(١)، ما تخرم مشيتها مشية رسول الله ﷺ، حتى دخلت على أبي بكر، وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم، فنيطت دونها ملاءة^(٢). فجلست ثم أنت أنه أجهش القوم بالبكاء فارتجّ المجلس ثم أمهلت هُنَيْئَةً حتى إذا سكن نشيج القوم وهدأت فورتهم. افتتحت الكلام بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسول الله.

ثم قالت: «الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا أَنْعَمَ، وَلَهُ الشُّكْرُ عَلَى مَا أَلْهَمَ، وَالْتِنَاءُ بِمَا قَدَّمَ مِنْ عُمومٍ نِعَمٍ ابْتَدَأَهَا، وَسُبُوحٌ آلاءٍ أَسْدَاها، وَتَمَامٌ مِنْ أَوْلَاهَا.

(١) كناية عن شدة التستر.

(٢) نيطة: علقت والملاءة: الإزار والتوب.

جَمَّ عَنِ الْإِخْصَاءِ عَدَدُهَا، وَنَأَى عَنِ الْجَزَاءِ أَمَدُهَا، وَتَفَاوَتْ عَنِ
الْإِذْرَاقِ أَبَدُهَا، وَنَدَبَهُمْ لَاسْتِرْزَادَتِهَا بِالشُّكْرِ لِاتِّصَالِهَا، وَاسْتَحْمَدَ إِلَى
الْخَلَائِقِ بِإِجْزَالِهَا، وَتَنَّى بِالنَّدْبِ إِلَى أُمَثَالِهَا.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، كَلِمَةً جَعَلَ الْإِخْلَاصَ
تَأْوِيلَهَا، وَضَمَّنَ الْقُلُوبَ مَوْصُولَهَا، وَأَنَارَ فِي الْفِكْرِ مَعْقُولَهَا.

الْمُتَمَنِّعُ مِنَ الْإِبْصَارِ رُؤْيِيَّتُهُ، وَمِنَ الْأَلْسُنِ صِفَتُهُ، وَمِنَ الْأَوْهَامِ كَيْفِيَّتُهُ.
ابْتَدَعَ الْأَشْيَاءَ لَا مِنْ شَيْءٍ كَانَ قَبْلَهَا، وَأَنْشَأَهَا بِلاَ اخْتِدَاءٍ أَمْثِلَةً
امْتَثَلَهَا، كَوْنَهَا بِقُدْرَتِهِ، وَذَرَأَهَا بِمَشِيَّتِهِ، مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ مِنْهُ إِلَى
تَكْوِينِهَا، وَلَا فَائِدَةٍ لَهُ فِي تَصْوِيرِهَا إِلَّا تَثْبِيثًا لِحُكْمَتِهِ، وَتَنْبِيهًا عَلَى
طَاعَتِهِ، وَإِظْهَارًا لِقُدْرَتِهِ، وَتَعَبُّدًا لِبَرِّيَّتِهِ، وَإِعْزَازًا لِدَعْوَتِهِ.

ثُمَّ جَعَلَ الثَّوَابَ عَلَى طَاعَتِهِ، وَوَضَعَ الْعِقَابَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ، ذِيَادَةً
لِعِبَادِهِ عَنْ نِقْمَتِهِ، وَحَيَاشَةً^(١) لَهُمْ إِلَى جَنَّتِهِ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ أَبِي مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، اخْتَارَهُ قَبْلَ أَنْ أُرْسَلَهُ، وَسَمَّاهُ
قَبْلَ أَنْ اجْتَبَاهُ، وَاصْطَفَاهُ قَبْلَ أَنْ ابْتَعَثَهُ، إِذِ الْخَلَائِقُ بِالْغَيْبِ مَكْنُونَةٌ،
وَبَسِطَ الْأَهْوِيلَ مَصُونَةٌ، وَبِنَهَايَةِ الْعَدَمِ مَقْرُونَةٌ، عِلْمًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى
بِمَا يَلِ الْأُمُورَ، وَإِحَاطَةً بِحَوَادِثِ الدُّهُورِ، وَمَعْرِفَةً مِنْهُ بِمَوَاقِعِ الْمَقْدُورِ.

ابْتَعَثَهُ اللَّهُ إِتِمَاماً لِأَمْرِهِ، وَعَزِيمَةً عَلَى إِمْضَاءِ حُكْمِهِ، وَإِنْفَاذاً لِمَقَادِيرِ حُكْمِهِ، فَرَأَى الْأُمَمَ فِرْقاً فِي أَدْيَانِهَا. عُكِّفَ عَلَى نِيرَانِهَا، عَابِدَةً لِّأَوْثَانِهَا، مُنْكَرَةً لِلَّهِ مَعَ عِزِّهَا.

فَأَنَارَ اللَّهُ بِأَبْنِي مُحَمَّدٍ ﷺ ظُلْمَهَا، وَكَشَفَ عَنِ الْقُلُوبِ بُهْمَهَا، وَجَلَّى عَنِ الْأَبْصَارِ غُمَمَهَا، وَقَامَ فِي النَّاسِ بِالْهُدَايَةِ، وَأَنْقَذَهُمْ مِنَ الْغَوَايَةِ، وَبَصَّرَهُمْ مِنَ الْعَمَايَةِ، وَهَدَاهُمْ إِلَى الدِّينِ الْقَوِيمِ، وَدَعَاهُمْ إِلَى الطَّرِيقِ (السرط) الْمُسْتَقِيمِ.

ثُمَّ قَبَضَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ قَبْضَ رَافَةٍ وَاخْتِيَارٍ، وَرَغْبَةٍ وَإِثَارٍ، فَمُحَمَّدٌ عَنْ (من) تَعَبِ هَذِهِ الدَّارِ فِي رَاحَةٍ، قَدْ خُفَّ بِالْمَلَانِكَةِ الْأَبْرَارِ، وَرِضْوَانِ الرَّبِّ الْغَفَّارِ، وَمُجَاوَرَةِ الْمَلِكِ الْجَبَّارِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَى أَبِي نَبِيِّهِ، وَأَمِينِهِ، وَخَيْرَتِهِ مِنَ الْخَلْقِ وَصَفِيِّهِ، وَالسَّلَامُ عَلَيْهِ وَرَحْمَتُهُ وَبَرَكَاتُهُ. ثُمَّ التَفَتَتْ إِلَى أَهْلِ الْمَجْلِسِ وَقَالَتْ:

أَنْتُمْ عِبَادَ اللَّهِ نُصِبَ أَمْرُهُ وَنَهْيُهُ، وَحَمَلَتْهُ دِينُهُ وَوَحْيُهُ، وَأَمْنَاءُ اللَّهِ عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَبُلْغَاؤُهُ إِلَى الْأُمَمِ، وَزَعَمْتُمْ حَقَّ لَكُمْ لِلَّهِ فِيكُمْ، عَهْدٌ قَدَمُهُ إِلَيْكُمْ، وَبَقِيَّةٌ اسْتَخْلَفَهَا عَلَيْكُمْ. كِتَابُ اللَّهِ التَّاطِقُ، وَالْقُرْآنُ الصَّادِقُ، وَالنُّورُ السَّاطِعُ، وَالضِّيَاءُ اللَّامِعُ، بَيِّنَةٌ بِصَائِرُهُ، مُنْكَشِفَةٌ سَرَائِرُهُ، مُتَجَلِّيةٌ ظَوَاهِرُهُ، مُغْتَبِطَةٌ بِهِ أَشْيَاعُهُ، قَائِدٌ إِلَى الرِّضْوَانِ اتِّبَاعُهُ، مُؤَدٍّ إِلَى النَّجَاةِ إِسْمَاعُهُ.

بِهِ تُنَالُ حُجَجُ اللَّهِ الْمُنَوَّرَةُ، وَعَزَائِمُهُ الْمُفَسَّرَةُ، وَمَحَارِمُهُ الْمُحَذَّرَةُ،
وَبَيِّنَاتُهُ الْجَالِيَّةُ، وَبَرَاهِينُهُ الْكَافِيَّةُ، وَفَضَائِلُهُ الْمُنْدُوبَةُ، وَرُخْصُهُ
الْمَوْهُوبَةُ، وَشَرَائِعُهُ الْمَكْتُوبَةُ، فَجَعَلَ اللَّهُ الْإِيمَانَ تَطْهِيراً لَكُمْ مِنَ
الشُّرْكِ، وَالصَّلَاةَ تَنْزِيهاً لَكُمْ عَنِ الْكِبَرِ، وَالزَّكَاةَ تَزْكِيَةً لِلنَّفْسِ وَنَمَاءً
فِي الرِّزْقِ، وَالصَّيَامَ تَثْبِيثاً لِلْإِخْلَاصِ، وَالْحَجَّ تَشْيِيداً لِلدِّينِ، وَالْعَدْلَ
تَنْسِيقاً لِلْقُلُوبِ، وَطَاعَتَنَا نِظَاماً لِلْمِلَّةِ، وَإِمَامَتَنَا أَمَاناً مِنَ الْفُرْقَةِ.

وَالْجِهَادَ عِزّاً لِلْإِسْلَامِ، وَالصَّبْرَ مَعُونَةً عَلَى اسْتِجَابِ الْأَجْرِ، وَالْأَمْرَ
بِالْمَعْرُوفِ مَصْلَحَةً لِلْعَامَّةِ، وَبِرَّ الْوَالِدَيْنِ وَقَايَةً مِنَ السَّخَطِ، وَصِلَةَ
الْأَرْحَامِ مَنَامَةً لِلْعَدَدِ، وَالْقِصَاصَ حِصْناً لِلدِّمَاءِ، وَالْوَفَاءَ بِالنَّذْرِ تَغْرِيضاً
لِلْمَغْفِرَةِ، وَتَوْفِيَةَ الْمَكَائِلِ وَالْمَوَازِينَ تَغْيِيراً لِلْبَخْسِ، وَالنَّهْيَ عَنِ
شُرْبِ الْخَمْرِ تَنْزِيهاً عَنِ الرَّجْسِ، وَاجْتِنَابَ الْقَذْفِ حِجَاباً عَنِ اللَّعْنَةِ،
وَتَرْكَ السَّرْقَةِ إِيْجَاباً لِلْعِفَّةِ، وَحَرَّمَ اللَّهُ الشُّرْكَ إِخْلَاصاً لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ.
فَاتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ، وَأَطِيعُوا اللَّهَ
فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ وَنَهَاكُمْ عَنْهُ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ.
ثُمَّ قَالَتْ:

أَيُّهَا النَّاسُ! اْعْلَمُوا أَنِّي فَاطِمَةُ، وَأَبِي مُحَمَّدٌ، أَقُولُ عَوْداً وَبَدَؤاً
(بِدءاً)، وَلَا أَقُولُ مَا أَقُولُ غَلْطاً، وَلَا أَفْعَلُ مَا أَفْعَلُ شَطْطاً.

لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ^(١).

فَإِنْ تَغْرَوْهُ وَتَغْرِفُوهُ تَجِدُوهُ أَبِي دُونِ نِسَائِكُمْ^(٢)، وَأَخَا ابْنِ عَمِّي دُونَ رِجَالِكُمْ، وَلِنِعْمِ الْمُعْزِي إِلَيْهِ ﷺ^(٣)، فَبَلَغَ الرِّسَالَةَ، صَادِعاً بِالنَّذَارَةِ، مَائِلاً عَنِ مَذْرَجَةِ الْمُشْرِكِينَ، ضَارِباً ثَبَجَهُمْ^(٤)، آخِذاً بِأَكْظَامِهِمْ^(٥)، دَاعِياً إِلَى سَبِيلِ رَبِّهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، يَكْسِرُ الْأَضْنَامَ، وَيَنْكُثُ الْهَامَ^(٦).

حَتَّى انْهَزَمَ الْجَمْعُ وَوَلَّوْا الدُّبُرَ، حَتَّى تَفَرَّى^(٧) اللَّيْلُ عَنْ صُبْحِهِ، وَأُسْفَرَ الْحَقُّ عَنْ مَخْضِهِ، وَنَطَقَ زَعِيمُ الدِّينِ، وَخَرِسَتْ شَقَاشِقُ^(٨) الشَّيَاطِينِ، وَطَاحَ وَشَيْطُ^(٩) النَّفَاقِ، وَانْحَلَّتْ عُقْدُ الْكُفْرِ وَالشَّقَاقِ، وَفُتِّمَتْ بِكَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ فِي نَفَرٍ مِنَ الْبَيْضِ الْخِمَاصِ^(١٠)، الَّذِينَ أَذْهَبَ

(١) سورة التوبة : ١٢٨.

(٢) تغزوه، تنسبوه.

(٣) المعزي إليه : المنسوب إليه.

(٤) الشج - بفتح الناء والباء - : الكاهل، ووسط الشيء.

(٥) الكظم - بفتح الكاف والظاء - : الغم أو الحلق أو مخرج النفس.

(٦) نكته على هامته : إذا ألقاه على رأسه.

(٧) تفرَّى : انشقَّ.

(٨) شقاشق - جمع شقشقة - وهي شيء يشبه الرثة يخرج من فم البعير إذا هاج.

(٩) الوشيظ : الأنباغ والمخندم.

(١٠) الخماص - جمع خبيص - : وهو الجماع.

اللَّهُ عَنْهُمْ الرَّجَسَ وَطَهَّرَهُمْ تَطْهِيراً.

وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ، مُذَقَّةَ الشَّارِبِ^(١)، وَنَهْزَةَ الطَّامِعِ^(٢)،
وَقُبْسَةَ الْعَجَلَانِ^(٣)، وَمَوْطِئِ الْأَقْدَامِ، تَشْرَبُونَ الطَّرْقَ^(٤)، وَتَقْتَاتُونَ الْقِدَّ
وَالْوَرَقَ^(٥)، أَذِلَّةٌ خَاسِسِينَ، تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِكُمْ،
فَأَنْقَذَكُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِمُحَمَّدٍ ﷺ، بَعْدَ اللَّتَا وَالَّتِي، وَبَعْدَ أَنْ مَنِيَ بِهِمْ
الرِّجَالُ^(٦)، وَذُؤْبَانِ الْعَرَبِ وَمَرْدَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ.

كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ، أَوْ نَجَمَ^(٧) قَرْنُ لِّلشَّيْطَانِ،
وَفَقَرَتْ^(٨) فَاعِرَةٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَذَفَ أَخَاهُ فِي لَهَوَاتِهَا، فَلَا يَنْكَفِي
حَتَّى يَطَأَ صِمَاخَهَا بِأَخْمَصِهِ^(٩)، وَيُخِمِدَ لَهَبَهَا بِسَيْفِهِ.
مَكْدُوداً فِي ذَاتِ اللَّهِ، مُجْتَهِداً فِي أَمْرِ اللَّهِ، قَرِيباً مِنْ رَسُولِ اللَّهِ،

(١) المذقة - بضم الميم - شرة من اللبن المزوج بالماء.

(٢) النهزة - بضم النون -: الفرصة.

(٣) قبسة العجلان: الشعة من النار التي يأخذها الرجل العاجل.

(٤) الطرق - بفتح الطاء وسكون الراء -: الماء الذي خوضته الإبل، وبوئت فيه.

(٥) تقتاتون: تجعلون قوتكم. القد - بكسر القاف -: قطعة جلد غير مدبوغ، ويحتمل أن يكون
بمعنى القديد وهو اللحم المجفف في الشمس.

(٦) مني - فعل ماضي مجهول -: ابتلي. والبهم - على وزن الغرف - جمع بهمة، وهو الشجاع الذي
لا يبتدى من أين يؤتى.

(٧) نجم - فعل ماضي -: طلع. وقرن الشيطان: اتباعه.

(٨) ففر: فتح. فاعرة فاها: أي فاتحة فها.

(٩) ينكفي: يرجع، يطاء: يدوس، صماخها: أذنها. بأخمصه: بباطن قدمه.

سَيِّدًا فِي أَوْلِيَاءِ اللَّهِ، مُشْمَرًا نَاصِحًا، مُجِدًّا كَادِحًا لَا تَأْخُذُهُ فِي اللَّهِ
لَوْمَةٌ لَا تَمُ.

وَأَنْتُمْ فِي رَفَاهِيَةٍ مِنَ الْعَيْشِ، وَادْعُونَ فَاكِهِونَ آمِنُونَ، تَتَرَبَّصُونَ بِنَا
الدَّوَائِرِ^(١)، وَتَتَوَكَّفُونَ الْأَخْبَارَ^(٢)، وَتَتَكَصُّونَ عِنْدَ النَّزَالِ^(٣)، وَتَتَفَرِّقُونَ
مِنَ الْقِتَالِ.

فَلَمَّا اخْتَارَ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ دَارَ أَنْبِيَائِهِ وَمَأْوَى أَصْفِيَائِهِ، ظَهَرَ فِيكُمْ حَسَكَةُ
(حَسِيكَةُ) النَّفَاقِ، وَسَمَلَ جِلْبَابُ الدِّينِ، وَنَطَقَ كَاطِمُ الْغَاوِينَ، وَنَبَعَ
خَامِلُ الْأَقْلِينَ، وَهَدَرَ فَنِيْقُ الْمُبْطِلِينَ فَخْطَرَ فِي عَرَصَاتِكُمْ، وَأَطْلَعَ
الشَّيْطَانُ رَأْسَهُ مِنْ مَغْرِزِهِ، هَاتِفًا بِكُمْ، فَأَلْفَاكُمْ لِدَعْوَتِهِ مُسْتَجِيبِينَ،
وَلِلْغَرَّةِ فِيهِ مُلَاحِظِينَ. ثُمَّ اسْتَنْهَضَكُمْ فَوَجَدَكُمْ خِفَافًا، وَأَخْمَشَكُمْ
فَأَلْفَاكُمْ غَضَابًا، فَوَسَمْتُمْ غَيْرَ إِبِلِكُمْ، وَأَوْرَدْتُمْ غَيْرَ مَشَرِّكُمْ.

هَذَا وَالْعَهْدُ قَرِيبٌ، وَالْكَلَمُ رَحِيبٌ، وَالْجُزْءُ لَمَّا يَنْدَمِلُ، وَالرَّسُولُ
لَمَّا يُقْبَرُ، ابْتِدَارًا زَعَمْتُمْ خَوْفَ الْفِتْنَةِ، أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ
لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ.

فَهَيَّاهَاتَ مِنْكُمْ، وَكَيْفَ بِكُمْ، وَأَنْتَى تُؤَفِّكُونَ؟ وَكِتَابُ اللَّهِ بَيْنَ

(١) الدوائر: العواقب المذمومة وحوادث الأيام.

(٢) تتوكلون: تتوقعون بلوغ الأخبار.

(٣) تنكصون: ترجعون وتأخرون. والنزال: القتال.

أَظْهَرِكُمْ، أُمُورُهُ ظَاهِرَةٌ، وَأَحْكَامُهُ زَاهِرَةٌ، وَأَعْلَامُهُ بَاهِرَةٌ، وَزَوَاجِرُهُ لَاحِظَةٌ، وَأَوَامِرُهُ وَاضِحَةٌ، قَدْ خَلَفْتُمُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ، أَرَغَبَةً عَنْهُ تُرِيدُونَ، أَمْ بِغَيْرِهِ تَحْكُمُونَ، بِشَسِّ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا، وَمَنْ يَسْتَبَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ .

ثُمَّ لَمْ تَلْبَثُوا إِلَّا رَيْثَ أَنْ تَسْكُنَ نَفَرْتُهَا، وَيَسْلَسَ قِيَادُهَا ثُمَّ أَخَذْتُمْ تَوَرُونَ وَقَدْتَهَا، وَتَهَيَّجُونَ جَمَرَتَهَا، وَتَسْتَجِيبُونَ لِهَتَافِ الشَّيْطَانِ الْغَوِيِّ، وَاطْفَاءِ أَنْوَارِ الدِّينِ الْجَلِيِّ، وَاهْمَادِ سُنَنِ النَّبِيِّ الصَّفِيِّ، تُسِرُّونَ حَسَوًا فِي ارْتِغَاءٍ، وَتَمْشُونَ لِأَهْلِهِ وَوَلَدِهِ فِي الْخَمْرِ وَالضَّرَاءِ، وَنَضْبِرُ مِنْكُمْ عَلَى مِثْلِ حَزِّ الْمُدَى، وَوَخْزِ السَّنَانِ فِي الْحَشَى .

إلى أن وصلت إلى موضوع الإرث فقالت:

وَأَنْتُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّ لَا إِرْثَ لِي مِنْ أَبِي . أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ تَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ .

أَفَلَا تَعْلَمُونَ بَلَى تَجَلَّى لَكُمْ كَالشَّمْسِ الضَّاحِيَةِ أَنِّي ابْنَتُهُ .

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ أَغْلَبَ عَلَى إِرْثِي!

يَا ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ! أَفِي كِتَابِ اللَّهِ أَنْ تَرِثَ أَبَاكَ، وَلَا ارِثَ أَبِي؟ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا^(١)، أَفَعَلَى عَمْدٍ تَرَكْتُمْ كِتَابَ اللَّهِ، وَنَبَذْتُمُوهُ

وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ، إِذْ يَقُولُ: «وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ»^(١).
 وَقَالَ -فِيمَا اقْتَصَصَ مِنْ خَبَرِ زَكَرِيَّا- إِذْ قَالَ: «فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ
 وَلِيًّا» * يَرْتْنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ»^(٢).
 وَقَالَ: «وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ»^(٣).
 وَقَالَ: «يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ»^(٤).
 وَقَالَ: «إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا
 عَلَى الْمُتَّقِينَ»^(٥).
 وَزَعَمْتُمْ أَنْ لَا حِظَّوَةً لِي؟ وَلَا إِرْثَ مِنْ أَبِي، أَفَخَصَّكُمُ اللَّهُ بِآيَةٍ
 أَخْرَجَ مِنْهَا أَبِي؟ أَمْ تَقُولُونَ: إِنَّ أَهْلَ مِلَّتَيْنِ لَا يَتَوَارَثَانِ؟ -يعني إذا كان
 الأب مسلماً والابن كافراً فالكافر لا يرث المسلم فالزهراء قالت له:-
 أَوَلَسْتُ أَنَا وَأَبِي مِنْ أَهْلِ مِلَّةٍ وَاحِدَةٍ؟ أَمْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِخُصُوصِ الْقُرْآنِ
 وَعُمُومِهِ مِنْ أَبِي وَابْنِ عَمِّي؟
 -فهنا الزهراء عليها السلام هددتهم قائلة:- فَدُونَكِهَا مَخْطُومَةٌ مَرْحُولَةٌ^(٦)،

(١) سورة النمل : ١٦ .

(٢) سورة مريم : ٥ - ٦ .

(٣) سورة الأنفال : ٧٥ .

(٤) سورة النساء : ١١ .

(٥) سورة البقرة : ١٨٠ .

(٦) ناقة مخطومة ومرحولة، المخطاط -بكسر الخاء-: الزمام ومرحولة من الرجل وهو للناقة

كالسرج للفرس .

تَلْقَاكَ يَوْمَ حَشْرِكَ، فَنِعْمَ الْحَكَمُ اللَّهُ، وَالزَّعِيمُ مُحَمَّدٌ، وَالْمَوْعِدُ الْقِيَامَةُ،
وَعِنْدَ السَّاعَةِ مَا تَخْسِرُونَ، وَلَا يَنْفَعُكُمْ إِذْ تَتَدَمُّونَ، وَلِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ
وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ».

ثم رمت بطرفها نحو الأنصار فقالت:

« يَا مَعْشَرَ الْفِتْيَةِ (النقية)، وَأَعْضَاءِ الْمِلَّةِ، وَحَضَنَةِ الْإِسْلَامِ^(١)، مَا
هَذِهِ الْغَمِيزَةُ فِي حَقِّي وَالسَّنَّةُ عَنْ ظِلَامَتِي، أَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَبِي
يَقُولُ: الْمَرْءُ يُحْفَظُ فِي وَلَدِهِ سَرْعَانَ مَا أَخَذْتُمْ، وَعَجَلَانَ ذَا إِهَالَةٍ،
وَلَكُمْ طَاقَةٌ بِمَا أَحَاوِلُ وَقُوَّةٌ عَلَى مَا أَطْلُبُ وَأَزَاوِلُ.

أَتَقُولُونَ مَاتَ مُحَمَّدٌ، فَخَطَبُ جَلِيلٍ اسْتَوْسَعَ وَهْنُهُ، وَاسْتَنْهَرَ فَتْقُهُ،
وَانْفَتَقَ رَتْقُهُ، وَأَظْلَمَتِ الْأَرْضُ لِغَيْبَتِهِ، وَكُسِفَتِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
وَانْتَشَرَتِ النُّجُومُ لِمُصِيبَتِهِ، وَأَكْدَتِ الْأَمَالُ، وَخَشَعَتِ الْجِبَالُ، وَأَضِيعَ
الْحَرِيمُ، وَأَزِيلَتِ الْحُرْمَةُ عِنْدَ مَمَاتِهِ.

فَتِلْكَ وَاللَّهِ النَّازِلَةُ الْكُبْرَى، وَالْمُصِيبَةُ الْعُظْمَى، لَا مِثْلَهَا نَازِلَةٌ
وَلَا بَائِقَةٌ عَاجِلَةٌ أَعْلَنَ بِهَا كِتَابُ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي أَفْنِيَّتِكُمْ، وَفِي
مُمْسَاكُمُ وَمُضْجِحِكُمْ هِتَافاً وَصُرَاخاً وَتَبْلَاوَةً وَأَلْحَاناً، وَلَقَبْلَهُ مَا حَلَّ
بِأَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَرُسُلِهِ، حُكْمٌ فَضْلٌ وَقَضَاءٌ حَتْمٌ.

«وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ» .

أَيُّهَا بَنِي قَيْلَةَ !

أَهْضَمُ ثَرَاثِ أَبِيهِ وَأَنْتُمْ بِمَزَايِ مَنِّي وَمَسْمَعٍ، وَمُبْتَدَأٍ وَمَجْمَعٍ؟! تَلْبَسُكُمْ الدَّعْوَةُ، وَتَشْمُلُكُمْ الْخَبْرَةُ، وَأَنْتُمْ ذَوُو الْعَدَدِ وَالْعُدَّةِ، وَالْأُدَاةِ وَالْقُوَّةِ، وَعِنْدَكُمْ السَّلَاحُ وَالْجُنَّةُ؛ تُوَافِيكُمْ الدَّعْوَةُ فَلَا تُجِيبُونَ، وَتَأْتِيكُمْ الصَّرَخَةُ فَلَا تُغِيثُونَ.

وَأَنْتُمْ مَوْصُوفُونَ بِالْكَفَاحِ، مَعْرُفُونَ بِالْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ، وَالتُّجَبَةُ الَّتِي انْتَجَبْتَ، وَالْخَيْرَةُ الَّتِي اخْتِيرْتَ لَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ، قَاتِلَتُمُ الْعَرَبَ، وَتَحَمَّلْتُمُ الْكَدَّ وَالتَّعَبَ، وَنَاطَحْتُمُ الْأَمَمَ، وَكَافَحْتُمُ الْبُهْمَ، فَلَا نَبْرَحُ أَوْ تَبْرَحُونَ، نَأْمُرُكُمْ فَتَأْتِمِرُونَ.

حَتَّى إِذَا دَارَتْ بِنَا رَحَى الْإِسْلَامِ، وَدَرَّ حَلَبُ الْأَيَّامِ، وَخَضَعَتْ نَعْرَةُ الشُّرْكِ، وَسَكَنَتْ قَوْرَةُ الْإِفْكِ، وَخَمَدَتْ نِيرَانُ الْكُفْرِ، وَهَدَأَتْ دَعْوَةُ الْهَرَجِ، وَاسْتَوْسَقَ نِظَامُ الدِّينِ؛ فَأَنَّى جُرْتُمْ بَعْدَ الْبَيَانِ، وَأَسْرَرْتُمْ بَعْدَ الْإِعْلَانِ، وَنَكَصْتُمْ بَعْدَ الْإِقْدَامِ، وَأَشْرَكْتُمْ بَعْدَ الْإِيمَانِ.

«أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَاؤُكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» .

أَلَا قَدْ أَرَى أَنْ قَدْ أَخَذْتُمْ إِلَى الْخَفْضِ ، وَأَبْعَدْتُمْ مَنْ هُوَ أَحَقُّ بِالْبَسْطِ
وَالْقَبْضِ ، وَرَكَنْتُمْ إِلَى الدَّعَةِ ، وَنَجَوْتُمْ مِنَ الضِّيقِ بِالسَّعَةِ ، فَمَجَّجْتُمْ مَا
وَعَيْتُمْ ، وَدَسَعْتُمْ الَّذِي تَسَوَّغْتُمْ ، « إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ
جَمِيعاً فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ » .

أَلَا وَقَدْ قُلْتُ مَا قُلْتُ عَلَى مَعْرِفَةِ مِنِّي بِالْخَذَلَةِ الَّتِي خَامَرْتَكُمْ ،
وَالْغَدْرَةِ الَّتِي اسْتَشْعَرَتْهَا قُلُوبُكُمْ ، وَلَكِنَّهَا فَيْضَةُ النَّفْسِ ، وَنَفْثَةُ الْغَيْظِ ،
وَحَوْرُ الْقَنَا ، وَبَثَّةُ الصُّدُورِ ، وَتَقْدِمَةُ الْحُجَّةِ .

فَدُونُكُمْوَهَا فَاحْتَقِبُوهَا دَبْرَةَ الظَّهْرِ ، نَقِيبَةَ الْخُفِّ ، بَاقِيَةَ الْعَارِ ،
مَوْسُومَةَ يَغْضَبِ الْجَبَّارِ وَشَنَارِ الْأَبَدِ ، مَوْصُولَةَ بِنَارِ اللَّهِ الْمُوقَدَةِ الَّتِي
تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْتِدَةِ . فَبَعَيْنِ اللَّهِ مَا تَفْعَلُونَ ، « وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ
مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ » وَأَنَا ابْنَةُ نَذِيرٍ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيِ عَذَابٍ شَدِيدٍ ، فَاعْمَلُوا
« إِنَّا عَامِلُونَ » * وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ » .

ماذا كان رد القوم على الصديقة عليها السلام ؟!

وماذا كان جوابهم ؟!

لقد وضعوا حديثاً ونسبوه إلى الرسول ﷺ أنه قال: نحن معاشر
الأنبياء لا نورث ذهباً ولا فضة ولا داراً ولا عقاراً وإنما نورث الكتاب
والحكمة والعلم والنبوة .

من روى هذا الحديث ؟

عائشة ومالك بن أوس النضري البوال على عقبه.
 هنا تقبل شهادة عائشة ولا تقبل شهادة بنت رسول الله ﷺ، تقبل
 شهادة مالك بن أوس ولا تقبل شهادة أمير المؤمنين عليه السلام الذي هو نفس
 رسول الله وأعز الخلق عليه.

اقرأ ثم احكم، ان هذه الدعوى تتناقض مع القرآن الذي يصرح
 ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾ وغيرها من الآيات التي مرّت.
 في كتاب كشف الغمة: انه لما ولي عثمان قالت عائشة: اعطني ما
 كان يعطيني أبي وعمر.

فقال عثمان: لا اجد له موضعاً في الكتاب ولا في السنّة، ولكن كان
 أبو بكر وعمر يعطيانك من طيبة أنفسهما، وأنا لا أفعل.
 فقالت: فاعطني ميراثي من النبي ﷺ.

قال: أليس جئت وشهدت أنت ومالك بن أوس النضري أن رسول
 الله ﷺ قال: لا نورث؟ فأبطلت حق فاطمة، وجئت تطليبه؟!
 إلى آخره^(١).

وإذا كان النبي ﷺ لا يورث لماذا تمنع عائشة من دفن الإمام الحسن
 في حجرة النبي حتى قال الشاعر الصقري البصري في حقها:

(١) فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد (للمعلّامة المرحوم السيّد محمد كاظم القزويني رحمه الله): ٤٠٢
 عن كشف الغمة: ١ / ٤٧٨.

ويوم الحسن الهادي على بقلك اسرعت
وبايعة ومانعة وخاصمة وقاتلة
وفي بيت رسول الله بالظلم تحكمت
هل الزوجة أولى بالمواريث من البنت
لك التسع من الثمن وبالكلي تصرف
تجملت تبغلت وان عشت تفيلت

فجاءت إلى قبر النبي ﷺ فرمت بنفسها عن البغلة وقالت: والله
لا يدفن الحسن هاهنا ابداً او تُجرّ هذه واومات بيدها إلى شعرها.
فالزهاء رضي فندت هذه الحجة الواهية من أبي بكر وبيّنت زيف
الحديث المنسوب إلى أبيها قائلة:

سُبْحَانَ اللَّهِ! مَا كَانَ أَبِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ كِتَابِ اللَّهِ صَادِقاً،
وَلَا لِأَحْكَامِهِ مُخَالَفاً، بَلْ كَانَ يَتَّبِعُ أَثَرَهُ، وَيَقْفُو سُورَهُ.
أَفْتَجْمَعُونَ إِلَى الْغَدْرِ أَعْتِلَالاً عَلَيْهِ بِالزُّورِ وَهَذَا بَعْدَ وَفَاتِهِ شَبِيهِهُ
بِمَا بُغِيَ لَهُ مِنَ الْغَوَائِلِ فِي حَيَاتِهِ هَذَا كِتَابُ اللَّهِ حَكَمًا عَدْلًا وَنَاطِقًا
فَضْلًا يَقُولُ:

«يَرِثُنِي وَيَرِثُ مَنْ آلِ يَعْقُوبَ»، فَبَيْنَ عَزٍّ وَجَلٍّ فِيمَا وَرَعَ مَنْ
الْأَقْسَاطِ، وَشَرَعَ مِنَ الْفَرَائِضِ وَالْمِيرَاثِ، وَأَبَاحَ مَنْ حَظَّ الذُّكْرَانِ

وَالْإِنَاثِ، مَا أَزَاحَ عِلَّةَ الْمُبْطِلِينَ، وَأَزَالَ التَّظَنِّي وَالشُّبُهَاتِ فِي
الْغَابِرِينَ، « قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ
الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ »^(١).

شكوى إلى رسول الله ﷺ

لقد اتمت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام الحجة على الجميع وادت ما
عليها من الواجبات وسجلت آلامها في سجل التاريخ ثم توجهت إلى
قبر أبيها رسول الله ﷺ قائلة:

قد كان بعدك انباء وهنبتة	لو كنت شاهدا لم تكثر الخطب
انا فقدناك فقد الأرض وابلها	واختل قومك فاشهدهم وقد نكبوا
أبدت رجال لنا نجوى صدورهم	لما مضيت وحالت دونك التراب
تجهمتنا رجال واستخف بنا	لما فقدت، وكل الإرث مغتصب



نعم عصبوا حقها ورجعت إلى الدار غاضبة ولكن استطاعت أن
تنتصر عليهم على المدى الطويل ولذا استمرت على موقفها الرافض لم
تتنازل قيد انملة.

ولذلك رفعت يدها إلى السماء وقالت ﷺ: «اللهم اشهد عليهم فإنهم
أذوني وأغضبوني».

واستمرت على موقفها حتى اللحظات الأخيرة من حياتها، فمن جملة ما أوصت إلى أمير المؤمنين أنها قالت:

«أَنْ لَا يَشْهَدَ أَحَدٌ جِنَازَتِي مِمَّنْ ظَلَمَنِي وَمَنْعَنِي مِيرَاثِي، وَلَا يُصَلُّوا عَلَيَّ وَإِذَا قُضِيَتْ نَحْبِي فَعَسَلْنِي وَخَطَّنِي مِنْ فَاضِلِ خُتُوطِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَفَّنِي وَصَلَّ عَلَيَّ وَادْفَنَنِي بِاللَّيْلِ.

إِذَا هَدَّتِ الْأَصْوَاتُ وَنَامَتِ الْأَبْصَارُ وَلَا تَقْطَعَنِي مِنْ زِيَارَتِكَ لِأَنَّ لِي بِكَ أُنْسًا عَظِيمًا»^(١).

وصايا فاطمة الزهراء عليها السلام

إذن: فالسيدة فاطمة في أواخر ساعات الحياة، وقد حان لها أن تكشف زوجها بما أضمرته في صدرها (طيلة هذه المدة) من الوصايا التي يجب تنفيذها ولو بأعلى الأثمان ولا يمكن التسامح فيها أبداً، لأن لها غاية الأهمية. كأنني بها وقد فرغت من أعمالها المنزلية وعادت إلى فراشها وقالت: يا ابن عم! إنه قد نعت إلي نفسي، وإنني لا أرى ما بي إلا أنني لاحقة بأبي ساعة بعد ساعة، وأنا أوصيك بأشياء في قلبي.

قال لها علي عليه السلام: أوصيني بما أحببت يا بنت رسول الله، فجلس عند رأسها، وأخرج من كان في البيت.

(١) وفاة الصديقة (للشيخ عباس القمي رحمته الله)، ووفاء فاطمة (للبلادي رحمته الله).

ثم قالت: يا ابن عم! ما عهدتني كاذبة ولا خائنة ولا خالفتك منذ
عاشرتني.

فقال علي عليه السلام: معاذ الله! أنت أعلم بالله وأبر وأتقى وأكرم، وأشدَّ
خوفاً من الله من أن اوبّخك بمخالفتي. وقد عزّ عليّ مفارقتك وفقدك.
إلا أنه أمر لا بد منه. والله جدّد عليّ مصيبة رسول الله، وقد عظمت
وفاتك وفقدك فإننا لله وإنا إليه راجعون. من مصيبة ما أفجعها وآلمها،
وأمضّها وأحزنها. هذه مصيبة لا عزاء منها، ورزية لا خلف لها.

ثم بكيا جميعاً ساعة، وأخذ الإمام رأسه وضّمّه إلى صدره ثم قال:
أوصيني بما شئت، فإنك تجديني وفياً أمضي كلما أمرتني به،
وأختار أمرك على أمري.

فقالت: جزاك الله عني خير الجزاء. يا ابن عم! أوصيك أولاً أن
تتزوج بعدي بابنة أختي أمانة، فإنها تكون لولدي مثلي، فإن الرجال
لا بدّ لهم من النساء.

ثم قالت: أوصيك أن لا يشهد أحد جنازتي من هؤلاء الذين
ظلموني، فإنهم عدوي وعدو رسول الله، ولا تترك أن يصلي عليّ
أحد منهم، ولا من أتباعهم، وادفني في الليل إذ هدأت العيون ونامت
الابصار^(١).

الوصية بصورة أخرى:

قالت: يا بن العم! إذا قضيت نحبي فغسلني ولا تكشف عني، فإني طاهرة مطهرة، وحنطني بفاضل حنوط أبي رسول الله. وصل عليّ، وليصل معك الأدنى فالأدنى من أهل بيتي، وادفني ليلاً لا نهاراً، وسراً لا جهاراً، وعفّ موضع قبري، ولا تشهد جنازتي أحداً ممن ظلمني.

يا بن العم! أنا أعلم أنك لا تقدر على عدم التزويج من بعدي فإن أنت تزوّجت امرأة اجعل لها يوماً وليلةً، واجعل لأولادي يوماً وليلةً. يا أبا الحسن! ولا تصح في وجهيهما فيصبحا يتيمين غريبين منكسرين، فإنّهما بالأمس فقداهما واليوم يفقدان أمّهما، فالويل لأمة تقتلهما وتُبغضهما.

أويلي وحين حضرتها المنية	حضر عدها الوصي بوكت الوصية
تكله اگر ب يبعد الروح ليه	گرب ليها او من عينه الدمع خر
يگلّها دگليلي اشتهمسين	مردتي چبدتي يم حسن وحسين
تكله ابوكت غسلي يبو الحسين	اريد آلي تشوفه اعليه تصبر
تراني طاهره ولو غسلتني	اريدك لا تمس ضلعي او متني
أخاف يذوب گلبك لو جستني	او خل ثوبي عليّ ليتوخر

ولما فارقت الحياة قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

والله لقد أخذتُ في امرها وغسلتها في قميصها ولم اكشفه عنها،
فوالله لقد كانت ميمونة طاهرة مطهرة، ثم حنطتها من فاضل حنوط
رسول الله صلى الله عليه وآله وكفنتُها، فلما هممت ان أعقدَ الرداء ناديت: يا أم
كلثوم، يا زينب، يا حسن، يا حسين، هلمّوا وتزوّدوا من أمكم فهذا
الفراق واللقاء في الجنة.

فأقبل الحسن والحسين عليهما السلام وهما يناديان: واحسرتاه لا تنظفي أبداً
من فقد جدنا محمد المصطفى وأمنا فاطمة الزهراء، يا أمّ الحسن يا أمّ
الحسين، إذا لقيت جدنا محمداً المصطفى فاقراييه منا السلام وقولي
له: إنّنا قد بقينا بعدك يتيمين في دار الدنيا.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: إني أشهد الله أنها قد حنّت وأنت ومدت
يديها وضمتهما إلى صدرها ملياً، وإذا بهاتف من السماء ينادي: يا ابا
الحسن ارفعهما عنها فلقد أبكيا والله ملائكة السماوات فقد اشتاق
الحبيب إلى حبيبه.

كضت وامصابها ما مر شبیه	بجو سبطینها او شبگو علیها
حنّت آه شبگتھم بدیها	اوھتف بالعرش نخبھم ببو حسین
یحیدر شیل سبطین الزجیہ	شیل الحسن یا حیدر وخیہ
ارضها والسما حنّت سویہ	الفکد بضعة الهادی اوینحب الدین

أيها الناس أي بنت نبي عن مواريث ابوها زواها؟
كيف يزوي عني ترائي عتيق بأحاديث من لدنه افتراها



وهذا شيء ذكرناه استعجالاً تيمناً وتبركاً بالسيدة أم البنين عليها السلام وان يكون
الختام مسكاً بذكر الزهراء عليها السلام وولدها الإمام المهدي عليه السلام فعجل الله تعالى
فرجه الشريف وسهل مخرجه وجعلنا من أنصاره وأعوانه والآخذين بشاره
وممن يكر في رجعتة ويملك في دولته وتقر عيوننا برؤيته .

«اللَّهُمَّ إِنَّا نَرْغِبُ إِلَيْكَ فِي دَوْلَةٍ كَرِيمَةٍ، تُعِزُّ بِهَا الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ،
وَتُذِلُّ بِهَا النِّفَاقَ وَأَهْلَهُ، وَتَجْعَلُنَا فِيهَا مِنَ الدُّعَاةِ إِلَى طَاعَتِكَ، وَالْقَادَةِ
إِلَى سَبِيلِكَ، وَتَرْزُقُنَا بِهَا كَرَامَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» .

ونستغفر الله تعالى من الزيادة والنقصان والسهو والغلط والنسيان انه
غفور منان والله عالم بعواقب الأمور ومصالح العباد والسلام عليكم
ورحمة الله وبركاته .

تم بعون الله تعالى

١١ ذي القعدة / المحرم / ١٤٣١

قم المقدسة

الفهرست

٩	 زيارة السيدة أم البنين عليها السلام
١١	 تقرّظ

المجلس الأول : حول نسب أم البنين عليها السلام وولادتها (١٣ - ٣٢)

١٣	 في مولد أم البنين عليها السلام
١٥	 قصيدة أخرى
١٦	 من هي أم البنين عليها السلام
١٨	 بشائر ولادتها عليها السلام
٢٠	 تاريخ ولادتها عليها السلام
٢٣	 منزلتها وشأنها عليها السلام
٢٤	 أولادها الأربعة
٣٠	 مدائح في ولادتها وأولادها

المجلس الثاني : حول زواج أم البنين عليها السلام (٣٣ - ٥٨)

٣٥	 زواجها من أمير المؤمنين عليه السلام
٣٧	 مهمة عقيل عليه السلام
٣٨	 لماذا التشاور مع عقيل؟

- ٤٠ تاريخ الزواج المبارك.
- ٤٣ عقيل يخطبها لعلي عليه السلام.
- ٤٥ الرؤية الصادقة العجيبة.
- ٤٧ حزام يستشير ثمامة.
- ٤٩ مهرها عليه السلام ومهر السنة.
- ٥٠ من مثلها عليه السلام ولها زوج كعلي عليه السلام.
- ٥٢ حديث الزواج يصل إلى كربلاء.
- ٥٧ فجيعة أم البنين.

المجلس الثالث : أحفاد أم البنين عليه السلام

(٨٤ - ٥٩)

- ٦٣ أحفاد أم البنين والعلم والأدب والشجاعة والإمارة.
- ٦٧ نديتها للحسين عليه السلام يوم عاشوراء في المدينة.
- ٧٠ إشارها الوحدة والوحشة ذوداً عن الحسين عليه السلام.
- ٧٢ إشارها الحسين عليه السلام على أولادها وسؤالها عنه.
- ٧٤ استقبالها الحوراء زينب بصرخة (وا ولداه واحسيناه).
- ٧٦ تأكدها من وفاء أولادها.
- ٨١ قصيدة ملا عطية بن علي بن عبد الرسول البحراني الجمري.
- ٨٤ لطمية عتاب.

المجلس الرابع : حول أم البنين وما جرى من المصائب على أهل البيت عليه السلام

(١١٠ - ٨٥)

- ٨٦ أم البنين وزينب.
- ٨٧ إيمانها الراسخ في أهل البيت عليه السلام.
- ٨٨ أم البنين عليه السلام ومصاب أمير المؤمنين عليه السلام.

- ۹۴ أم البنين عليها السلام عند جثمان الإمام الحسن عليه السلام
- ۹۷ وداعها عليها السلام للإمام الحسين عليه السلام وأولادها
- ۱۰۲ أم البنين عليها السلام تودع زينب وأم كلثوم والأطفال
- ۱۰۳ سؤالها من بشر عن الإمام الحسين عليه السلام
- ۱۰۵ بكائها عليها السلام وزينب عليها السلام على الإمام الحسين عليه السلام
- ۱۰۷ لطمية عن أم البنين عليها السلام

المجلس الخامس : حول مقام المرأة في الإسلام ومنزلة أم البنين عليها السلام

(۱۱۱ - ۱۳۲)

- ۱۱۲ المرأة والرجل في مضمار السباق
- ۱۱۴ اشتراك الرجل والمرأة في الخطابات الإلهية
- ۱۱۷ معايير التفاضل بينهما
- ۱۲۲ أم البنين عليها السلام والحياة الزوجية الناجحة
- ۱۲۴ أم البنين عليها السلام وذكريات أليمة للزهاء عليها السلام مع أم كلثوم عليها السلام
- ۱۲۸ وفاء الزهاء عليها السلام لأم البنين عليها السلام في يوم القيامة

المجلس السادس : إيثار أم البنين عليها السلام على الدنيا وزينتها

(۱۳۳ - ۱۴۸)

- ۱۳۴ زهد أم البنين عليها السلام في بيت أمير المؤمنين عليه السلام
- ۱۳۹ وفاتها في بيت الزهاء عليها السلام
- ۱۴۱ تمريرها عليها السلام للحسين عليه السلام
- ۱۴۳ حرصها على مشاعر أبناء الزهاء عليها السلام
- ۱۴۵ خروجها عليها السلام الى البقيع للنياحة
- ۱۴۶ لطمية لأم البنين عليها السلام

المجلس السابع : حول مجربات التوسل بأم البنين ؑ (١٤٩-١٧٠)

١٥٠	حقيقة التوسل إلى الله وأوليائه
١٥٣	التوسل في القرآن الكريم
١٥٥	التوسل في الروايات الإسلامية
١٥٨	ملاحظات ضرورية في التوسل
١٦١	مجربات التوسل بأم البنين ؑ
١٦٢	إهداء زيارة عاشوراء واطعام الطعام لأم البنين ؑ
١٦٥	زينب ؑ عند احتظار أم البنين ؑ
١٦٧	لطمية لأم البنين ؑ

المجلس الثامن : حول كرامات أم البنين ؑ (١٧١-٢٠٠)

١٧٣	حقائق حول كرامات أهل البيت ؑ
١٧٥	شرائط نيل عناية أهل البيت ؑ
١٧٧	اعتراف المخالفين كرامات أهل البيت ؑ
١٨١	أم البنين ؑ والكرامات الباهرة
١٨٣	أهديت صلوات لها ؑ فشفي ولدي
١٨٥	لماذا لم تهتم لزيارة والدتي؟
١٨٧	مخالفة الإقامة
١٨٨	الإمام الصادق ؑ يقيم المأتم على جده الحسين ؑ
١٩١	تزوجت بفضلها ؑ
١٩٢	حملت ببركة سفرتها
١٩٥	الإمام الحسين ؑ عند مصرع أخيه العباس ؑ
١٩٩	أبيات في إيثار أم البنين ؑ

المجلس التاسع : حول صبر أم البنين عليها السلام
(۲۰۱-۲۲۸)

أنواع الصبر	۲۰۳
صبر العارفين	۲۰۴
الصبر عند فقد الولد	۲۰۵
ماتا وأحياهما الله لصبر الأم	۲۰۶
أجر الصبر وما يحبطه من الجزع في الروايات	۲۰۸
الولد لا يدخل الجنة إلا مع الأبوين	۲۱۰
اشتبهى موت ولده لرؤية رآها!	۲۱۲
تزوج رجاء أن يرزق ولداً فيموت!	۲۱۳
دعا الله فرزقه ولداً ثم دعا ليموت	۲۱۹
أم البنين عليها السلام وصبرها على فراق أولادها	۲۲۰
سؤالها عن وفاء أولادها	۲۲۱
إعلانها عليها السلام مظلومية الحسين عليه السلام على الملأ	۲۲۳
لطمية عن أم البنين والسجاد عليهما السلام	۲۲۶

المجلس العاشر : وفاة أم البنين عليها السلام وفلسفة الإبتلاء
(۲۲۹-۲۵۸)

المقبولة العباسية	۲۳۰
البلاء سنة الحياة	۲۳۴
لماذا الإختبار الإلهي؟	۲۳۵
الإختبار الإلهي عام	۲۳۷
موقف الناس من الإبتلاء	۲۳۹
عوامل النجاح في الإمتحان	۲۴۰
الرضا بقضاء الله تعالى	۲۴۴

- أُسْلِمَ لو جعلني الله جسراً إلى جهنم ثم أدخلني فيها ٢٤٧
 وفاة أم البنين (عليها السلام) أو شهادتها ومحل قبرها ٢٤٩
 هل دُسَّ إليها السُّمُّ ٢٥٢
 اللحظات الأخيرة عند احتضارها (عليها السلام) ٢٥٤
 لطمية عن أم البنين تحية ٢٥٦

المجلس الحادي عشر : مسك الختام عن الإمام الحجة بن الحسن العسكري (عليه السلام)

والزهراء فاطمة (عليها السلام)

(٢٨٠ - ٢٥٩)

- الإمام المهدي (عليه السلام) والمستقبل السعيد ٢٦١
 ضرورة الاعتقاد بالمهدي (عليه السلام) ٢٦٣
 حكومة المستضعفين العالمية ٢٦٦
 فارق اعتقاد أهل العامة مع الشيعة في المهدي (عليه السلام) ٢٦٨
 قصة الرمانة ٢٧٢
 الإمام الحجة (عليه السلام) يحامي عن زوار الحسين (عليه السلام) ٢٧٧
 الإمام الحجة ومصائب كربلاء ٢٧٩

المجلس الثاني عشر : مسك الختام حول موضوع أرض فدك

(٢٨١ - ٣١٤)

- ما هي أرض فدك؟ ٢٨٤
 أرض فدك ملك للزهراء (عليها السلام) ٢٨٦
 تاريخ أرض فدك ٢٨٨
 مطالبة حقها من السلطة القاصبة ٢٨٩
 حوار بين الإمام علي وأبي بكر ٢٩٢
 شكوى إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ٣٠٩
 وصايا فاطمة الزهراء (عليها السلام) ٣١٠